أنا والكتاب

«تجارب الكتاب مع الكتاب جمعاً وقراءة وتأليفاً»

عبد العزيز أحمد الرفاعي

من الطبيعي أن تكون بداياتي مع الكتاب في مكة المكرمة حيث نشأت ، ويعرف رصفائي ، والذين سبقونا ، أو الذين اقتربوا من جيلنا ، أن المكتبات في مكة المكرمة كانت أغلبيتها مجتمعة في صعيد واحد ، هو (باب السلام) بفرعيه ، أعني باب السلام الكبير ، وباب السلام الصغير . أما الصغير فكان زقاقاً يمتد من المسعى ويفضي إلى الحرم ، ورحبة باب السلام ... أما باب السلام الكبير فطريق على جانب من السعة يفضي من الحرم إلى المسعى .. أي أن كليهما كانا طريقين يؤديان من المسعى إلى الحرم ، حيث تقوم عقود الأبواب لثلاثة التي يجمعها اسم (باب السلام) .. كان مشاهير الكتبية في باب السلام الكبير ، أو في الرحبة المواجهة للعقود . إن الخارج من تلك العقود تقابلة دكاكين تحتل الصدارة ، لعل أولها مكتبة الشيخ (عبد الفتاح فدا) شيخ الكتبية ، بعد وفاة الباز الكبير الذي كان شيخهم . وكان العم عبد الفتاح فدا يرحمه الله رجلاً دمث الأخلاق ، لطيفاً مع زبائنه .. ولا يزال بعض أبنائه يتعلق بالمهنة .. ويجاوره دكان الشيخ (عبد الصمد فدا) يرحمه الله ، وهو من أسرة الشيخ .. وكنت أفضل أن أتعامل معه ، فقد كان يحتفي بي ، وإذا لم يكن الكتاب الذي أطلبه موجوداً لديه ، وعرف مكان وجوده ، رمى إليّ بمقعدة صغيرة من القطن ، لأجلس عليها فوق بلاط رحبة باب السلام ، فقد كانت الرحبة الأمامية مرمرية البلاط ، منتظراً جولته الصغيرة على جيرانه ريثما يحضر إليّ الكتاب الذي أطلبه . وكانت طريقته في التعامل تعجبني .. فهو لا يميل إلى المماكسة . وسعره محدد ومعقول .. وله مبدأ يردده هو : (كلام واحد لا ينقص أبداً) . ويلاحظ أنه ينطق العبارة بأداء نحوي سليم ، ومع هذه الصرامة إلا أن مبدأه كان يريحني .. وكان الشيخ (عبد الصمد فدا) يرحمه الله كتبياً محترفاً . يعرف تماماً مكان أي كتاب من كتبه ، بل يعرف مظان وجود الكتاب عند جيرانه . وهو إلى ذلك مقرىء يحفظ القرآن الكريم . وكثيراً ما ترددت تلاوته من الإذاعة السعودية .. وربما كانت تحتفظ ببعض تسجيلاته .. ولعل لدى أسرته شيئاً منها ، والشيخ عبد الصمد فدا هو والد المربي المعروف الأستاذ (محمد فدا) يرحمه الله ، الذي كان مديراً لمدرسة الثغر النموذجية ، وقد اشتهر ببراعته التربوية ، ومن أبناء الشيخ عبد الصمد ، صديقنا عبد الغفار فدا ، من كبار موظفي وزارة التجارة ..



ومن آل (فدا) الذين عملوا في حقل بيع الكتب ، الأستاذ عبد الله فدا ، وكان صديقاً للأدباء الرواد ، ولعله أول من فتح باب استيراد الكتب الحديثة .. وكانوا يعدونه من الأدباء والكتاب ، وإن لم أقرأ له شيئاً ، وقلما ترددت على مكتبته .

ومنهم الشيخ (عبد الكريم فدا) يرحمه الله ، وقد كان واسع العلاقات (بشكجيا) يحب القيلات والخرجات والسمرات مع أصدقائه وثلته ..

ومنهم الشيخ (حسن فدا) يرحمه الله ، وقد كان له دكان صغير لبيع الكتب في باب السلام على الرحبة ، وعلى يمين الخارج من الحرم . وكان يلي دكانه دكان آخر صغير أيضاً ، هو دكان الصديق (عبد الحليم الصحاف) ، الذي أصبح فيما بعد (مكتبة الثقافة) وكان هذا الدكان في عهديه ، الأول والثاني ، مركزاً مفضلاً عندي ، للاجتماع وقت العصاري ، مع لفيف الأصدقاء مؤسسي مكتبة الثقافة التي كان لها دور فعال في تنشيط الحركة الثقافية ، فقد فتحت باب الاستيراد واسعاً للكتب الحديثة ، والمجلات العربية بأنواعها ، وخاصة من مصر ، وصادف زمن تأسيسها أن الحركة الأدبية والفكرية في مصر كانت في أوج اندفاعها . على أن تأسيس هذه المكتبة إنما كان في الستينات الهجرية على ما أذكر ، ولعل مديرها الأستاذ (صالح جمال) يحدث القراء عن شيء من نشأتها . أما قبل ذلك ، فقد كانت السيادة للكتاب التراثي ، وخاصة في طبعاته القديمة ، في الورق الأصفر ، وكثيراً ما كان المجلد الواحد ، يحتوي على أكثر من كتاب ، ففي المتن كتاب ، وفي الهامش كتاب أو أكثر ، وربما انقسم المتن إلى قسمين أيضاً ، قسم علوي وآخر سفلي ، فضم المتن كتابين . ومن العجيب أننا كنا نصغي لدعاية مركزة ضد هذه الكتب المباركة ، التي نعتوها بالكتب الصفراء . ثم أدركت فيما بعد أن بها لباب العلم .. إلا ما شذّ .. وما شذّ لا يهدم

القاعدة .

أما باعة الكتب الحديثة ، قبل مكتبة الثقافة ، فقد كانوا يستوردونها على حذر .. كان يفعل ذلك الأستاذ عبد الله فدا ، والأستاذ الحلواني يرحمهما الله . وربما أحد آل الباز .. وقد تابع هؤلاء فيما بعد قلة آخرون ، كان منهم الشيخ عمر عبد الجبار يرحمه الله ، وعبد الرحمن العفاني ، وقد كان للشيخ عمر عبد الجبار مكتبة في باب السلام أسماها (مكتبة المعارف) نقلها فيما بعد إلى باب الزيادة ، وذلك قبل أن ينتقل للعمل في الدوائر الحكومية ، وكذلك العفاني ، فقد كان في باب السلام ثم انتقل بمكتبته إلى باب الزيادة ، وقد كنت أشتري منه بعض الإصدارات الجديدة ، سواء من كتب التراث أو من غيرها .

وبعد أن نتجاوز الرحبة المرمرية البيضاء ونتخطى الحجر المستطيل الذي يعترض الطريق ، مرتفعاً بحوالي أربعين سنتمتراً (والمكيون يظنونه بقايا «هبل» كبير أصنام قريش ، وأنه وضع حيث هو ليداس بالنعال ، ولكني لم أقف في التاريخ على ما يؤيد هذه الشائعة) .

أقول : بعد أن نتخطى هذا الحاجر خارجين من الحرم ، نجد رحبة أخرى ، أرضها مرصوفة بالحجارة السوداء أو الرمادية ، فتكون أولى المكتبات على يمين الخارج ، مكتبة (السناري) يرحمه الله .. وكان صديقاً حميماً للوالد يرحمه الله ، وقلما يجد الباحث في هذه المكتبة شيئاً من كتب العلم المعتمدة ، ولكنه يجد كتب الملاحم الشعبية ، (الأميرة ذات الهمة) و(حمزة البهلوان) و(الزير سالم) و(ألف ليلة وليلة) و(عنترة) ، كما يجد الروايات الكبيرة المسلسلة من أمثال (روكامبول) و(جونسون) ولدى الشيخ السناري تسهيلات لا نظير لها ، فهو يؤجر هذه الكتب لمن لا يستطيع شراءها أو لا يريد .. وقد نجد بعضها لديه أجزاء صغيرة مجلدة تجليداً شعبياً بالكرتون الأحمر ، يكتب على أغلفتها بخطه ، وقد قرأت شيئاً من هذه الكتب ، وأنا بعد صبي ، فقد كنت أجدها لدى والدي فاقرأ منها ما يقع تحت يدي .. وبالقدر الذي أجده فائضاً من وقتي . وقد كانت روايات الجيب بالذات تستهويني .. فأنا إذن مدين للشيخ السناري بالكثير مما قرأت من هذه القصص .. ولكنه دين غير مباشر ، وإن كان قد دلني على التراث الشعبي في ميدان القصة .. كما عرفني بروائع القصص الغربي ، عن طريق مترجمات (طانيوس عبده) الذي ترجم (روكامبول) و(جونسون) أو مترجمات غيره ممن ترجم (روايات الجيب) .

وبعد مكتبة الشيخ السناري ، مجموعة من المكتبات لم أعرف أصحابها ، ولم تكن لي بهم صلة تعامل .

أما عن يسار الخارج من باب السلام ، بعد اجتياز الحاجز المستطيل ، فكانت تقع مكتبة الشيخ الباز ، وقد أدركت الشيخ الكبير ، متقدماً في السن أنهكته الشيخوخة .. وكان شيخاً للكتبية .. وكانت مكتبته زاخرة بكتب مهمة من كتب التراث .. وإن كان ابنه قد اتجه إلى استيراد شيء من إصدارات مصر الحديثة ، حينما كانت مصر في مركز القيادة للكتاب العربي ، تأليفاً وطباعة وإخراجاً وتحقيقاً .

وحينما توفي الشيخ الباز الكبير انتقلت مشيخة الكتبية إلى الشيخ (عبد الفتاح فدا) .. رحم الله الشيخين — كما انتقلت المكتبة إلى ابنه الكبير عبد الكريم الباز .. ومنه اشتريت نسخة من كتاب (معجم الأدباء) من مراجعة (فريد رفاعي) .. وكان الباز الابن قد اشترى منه صفقة كبيرة .. فباعه بسعر رخيص .. وما زلت أحتفظ بتلك النسخة ، وأعد من نعم الله علي ، التي لا يحصرها عد ، اقتنائي لتلك النسخة .. وأعتقد أن هذه المكتبة اشترت أيضاً مؤلفات الشيخ (حسين عبد الله باسلامة) بعد وفاته ، صفقة واحدة بالميزان . وقد رأيت بأم عيني (نعم أم عيني) هذه الكتب ترص في كفة الميزان ، فترتفع رأسياً في مقابل ما يوضع في الكفه الأخرى من (الصنج) . بالأقة وبحساب القنطار .... والقنطار أربعون أقة . ومن الباز الابن اشتريت نسخة من كل كتاب من كتب الشيخ باسلامة ، الذي بذل فيها جهداً وعرقاً وسهراً .

ومن الباز الابن استعرت نسخة من كتاب (ليلى المريضة في العراق) وكنت قرأته من قبل مقالات منجمة في مجلة (الرسالة) وكان لمؤلفه زكي مبارك أثر مذكور في تحبيب الأدب إليّ ..

أما مكتبة (المعارف) التي جاءت لفترة زمنية قصيرة ، فقد كان موقعها قبل مكتبة (الباز) وقبل الحاجز الحجري .. وكان صاحبها أستاذنا الشيخ (عمر عبد الجبار) يرحمه الله ، معنياً بالكتب المدرسية يستوردها ويؤلفها ، ويستورد أيضاً جانباً من الكتب الحديثة ، وعن طريقه عرفت كتاباً عن الأدب العراقي الحديث ، فيه مشاهير من شعرائه منهم : البصير ، والجواهري ، والرصافي ، والزهاوي ، وغيرهم . على أن أستاذنا ما لبث أن نقل مكتبته إلى (باب الزيادة) ثم أغلقها .

وإذا كان تصوري عن مكتبات «باب السلام» صحيحاً ، ولو إلى حد ما ، فإن مكتبة الشيخ «الميرة» تقع بعد مكتبة الشيخ الباز بالنسبة للخارج من الحرم من باب السلام الكبير ، وهي في دكان أوسع ، منسقة تنسيقاً جيداً ، وتحتوي نفائس كتب التراث ، وقلما تسأل عن كتاب مهم من كتب التراث ، إلا وتجده بها .. وصاحبها رجل مهيب جاد .. يدعوك منظره لاحترامه .. فإن لم تجد عنده

البشاشة ، فلن تعدم لطف المعاملة .. والكلمة المهذبة .. وكنت إذا أعياني البحث عن كتاب قديم ، قصدت مكتبة «الميرة» ، وكثيراً ما أجده لديه .. فإن لم أجده ، تضاءل الأمل في أن أجده عند غيره .

وفي هذا الجانب ، يأتي مدخل حنفية باب السلام أو الميضأة الكبيرة .. التي تشتمل على دورات مياه كثيرة ، وقبة كبيرة تحيط بها صنابير الماء للمتوضئين . وهي تقع بعد دكان الميرة ، ربما بدكان أو أكثر لا أدري .. وعندها ترتفع الرحبة إلى درجات تصعد إلى رحبة أخرى صغيرة ، تفضي إلى درجات قليلة أيضاً ، وهذه تفضي إلى المسعى .. الذي كان سوقاً عجيباً ، يختلط فيه السعاة الذين يؤدون الشعيرة ، مع المتسوقين العابرين .. عرضاً أو طولاً .. وكانت الدكاكين على جوانبه فيها كل شيء تقريباً إلا الخضروات واللحوم .

بعد بوابة الحنفية ، تأتي مكتبة «المرزا» ، وربما جاء بعدها أو قبلها دكان صغير هو دكان «البوصي» وهذا كنت أشتري منه كتيبات صغيرة في ورقات تحتوي على قصص مجتزأة من «ألف ليلة وليلة» .. في الواقع إنني مدين لهذا الرجل .. فقد كنت ، وأنا بعد صبي، لم أتقن فك الحرف بعد تماماً ، أشتري منه هذه الكتيبات «اللذيذة» بهللة أو هللتين ، وأستمتع بقراءتها ، وأقرأها على بعض أهلي .. وإن كانت قراءتي لاتستلزم بطبيعة الحال قدرتي على استيعاب المعاني .. أو قراءة الكلمات قراءة سليمة .. ولكن هذه الكتيبات كانت الخطوة الأولى التي قادتني إلى هواية المطالعة .. إنها الدرجة الثانية من السلم الطويل .. أما الدرجة الأولى فقد كانت كتاب «المطالعة الرشيدة» أي الكتاب المدرسي للقراءة .

كان العم «البوصي» رجلاً طيباً متهاوداً .. وربما كان يدرك أنني إنما أوفر تلك الهللة أو الهللتين من مصروفي الجيبي .. الذي كنت لا أكاد أجده ..! فكان أحياناً يكتفي بهللة واحدة للكتاب ..

دكان «المرزا» أو مكتبته ، كان واسعاً بعض الشيء .. ولكنه لم يكن يحتوي كتباً بل «قرطاسية» كان متخصصاً ببيع ورق الكتابة والدفاتر والأقلام والمراسم .. الخ .. وكان مؤسسه الشيخ «عبد العزيز مرزا» رحمه الله رجلاً ذكياً .. وسّع من تجارته ، واستطاع أبناؤه من بعده أن يسيروا على خطواته .. وأن يطوروا تجارته ..

من الشيخ المرزا ، كنت أشتري وأنا تلميذ أوراق الكتابة . «الفروخ» والأقلام البوص ، قبل أن تنتشر «الريش الملا» نمرة واحد واثنين وثلاثة .. وكذلك المحبرة الحبر و«الزية» بعد أن بطل استعمال الأقلام البوص .. ثم بطل أيضاً استعمال «الريش» بعد أن وفد قلم الحبر .. ثم الأقلام الجافة ..الخ ..

هذا ما أذكره من حوانيت الكتبية التي كانت إلى يسار الخارج من المسجد الحرام متجهاً إلى المسعى ..

أما في الجانب الآخر .. أي من يمين الخارج من الحرم . فقد ذكرت من قبل دكان السناري .. وفاتني أن أذكر بعده دكان «النهاري» وأحسبه كان مختصاً ببيع المصاحف ، ومصورات الكعبة والمدينة .. التي يسع الحاج أن يكتب عليها ، أو أن يستكتب تاريخ حجه وزيارته .. ليحتفظ بها في منزله إذا عاد شهادة تدل على أنه صار «حاجاً» ... وهو لقب تشريف جدير بالذكر والتسجيل ..

في باب السلام الصغير .. كانت تأتي بعد «مكتبة الثقافة» للخارج من الحرم متجهاً في ذلك الزقاق الضيق المستطيل النافذ أيضاً إلى المسعى ـــ كانت تأتي «مكتبة الجيل» ، وهي على ما أذكر مكتبة للكتب الحديثة ، قام بتأسيسها ثلاثة من الشباب أحبوا الأدب والكتب هم : يحيى المعلمي .. وحسن جوهرجي ، وعبد القادر الفاسي .. وقد استطاعوا أن يصابروا بعض الوقت على تجارة الكتب .. وهي تجارة لا يصبر عليها إلا أولو العزم !

ويحيى المعلمي .. هو الآن الفريق يحيى المعلمي ، الكاتب والناقد والشاعر المعروف .

وحسن جوهرجي .. هو الآن الأستاذ حسن جوهرجي .. الذي لاتنقطع صلته بالأدب والكتب .. فتطل كتاباته الاجتماعية بين الحين والحين على القراء .. وقد كان من كبار الموظفين قبل أن يتقاعد ، وكذلك كان الفريق المعلمي من كبار رجال الأمن .

أما الأستاذ عبد القادر الفاسي .. فقد آثر البقاء بمكة المكرمة .. ولعله لم يبرحها ، وهو من أسرة مكية عريقة .

كانت «مكتبة الجيل» على يمين الصاعد من الحرم إلى المسعى .. وأحسب أن دكانها كان لأحد آل الباز .. أما على يسار الصاعد فكانت تأتي مكتبة أخرى للباز ، ابن شيخ الكتبية الأسبق .. وكان يدير المكتبة الأخ «عبد الله العرابي» الذي لايزال وثيق الصلة بالكتب ، صديقاً للأدباء .. وفياً لمهنته حفياً بها .. وطالما اتخذنا مكتبته في باب السلام الصغير مركزاً أو «مركازاً» لاجتماعاتنا .. وخاصة مع الأستاذ «عبد الله الغاطي» .. وكان العرابي ، لايضن علينا أحياناً بإعارة بعض الكتب .. خاصة تلك التي تندر نسخها .. وعندما يؤرخ للأدب ، يجب أن يؤرخ لمكتبته على أنها ملتقى للأدباء من جيلنا .. كما كانت مكتبة الثقافة .. وإن كانت علاقتنا بهذه الأخيرة أكثر لصوقاً ..

ويقفر باب السلام الصغير من المكتبات ، غير ما ذكرت ، على امتداده .. وإن كان يتحول في الليل إلى بعض «بسطات» أصحاب الحلويات الهندية .. ومن «اللدو» و«اللبنية» و«القل» واللوز المقلي .. الخ .. أي أنك في باب السلام الصغير كنت تستطيع أن تجد بالنهار كتباً وأدباً ، وبالليل لوزاً وحلوى .. وكلها أطايب .

وإذا كانت المكتبات التجارية ، قد تركزت في باب السلام بفرعيه : الكبير والصغير .. فلم تخل من المكتبات جهات أخرى في البلد الحرام .

فقد أشرت من قبل أن الكتبي العفاني «عبد الرحمن» فتح مكتبة في «باب الزيادة» وقبله الشيخ عمر عبد الجبار «يرحمه الله» نقل مكتبته «مكتبة المعارف» إلى باب الزيادة .. ولا أحسب أن هناك غيرهما .

إلا أنه مما يجدر ذكره أن الشيخ «الغازي» مؤرخ مكة في القرن الماضي «الرابع عشر» كانت له بسطة «كحل» في باب الزيادة ، وكان أثناء جلوسه في دكانته هذه يشتغل بتدوين تأريخه لمكة ورجالاتها وأحداثها ، وتاريخه مودع الآن على ما أعلم بمكتبة الحرم المكي .

وأعرف في «باب العمرة» صاحب مكتبة وحيدة هناك ، هي مكتبة الشيخ الكتبي ، والد زميلي في الدراسة «أمين كتبي» ، وهي مكتبة صغيرة ، قليلة الكتب ، وأظنها كانت لاتحتوي إلا كتباً فقهية ، كنت أرى صاحبها مكباً على المطالعة لايملها .. ثم أخذ مكانه في دكانه الشيخ «مصطفى يغمور» بعد أن تقاعد .. وأخذ بدوره يكب على المطالعة .

والشيخ اليغمور ، كان مديراً لمدرسة «الصفا» التحضيرية التي درست بها ، وكان رجلاً عطوفاً حليماً ، رحمه الله ، وكنا نهرب من شدة الشيخ «عبد الله خوجه» يرحمه الله إلى حلمه ورحمته ..

ولا أحسب أن هناك في أبواب الحرم الأخرى غير ما ذكرت من عني ببيع المصاحف والكتب .. إلا أنه كان في مواجهة باب الصفا في الطريق الرئيسي الموصل من «القشاشية» إلى سوق الصغير وأجياد ــ أي طريق وادي إبراهيم ــ دكان الفخراني ، وكان يبيع المجلات ، وربما باع بعض الكتب ..

كما كان يوجد في أول القشاشية في منطقة «الخاسكية» إلى جوار بيت «باناجة» أو مواجهته دكان «قاسم ميمني» ، وكان يبيع المصحف ، والمجلات ، وبعض الكتب ، ولكنه كان يغلو في أسعاره .. صارماً .

وفي القشاشية ، كان دكان أو مكتبة «أحمد حلواني» صديق الأدباء من الأجيال التي سبقتنا .. وكان يحضر بعض الكتب الحديثة من مصر ، ومنه اشتريت نسخة من «كشف الظنون» بستين ريالاً وهو ثمن مرتفع جداً آنذاك ، إن لم يكن راتب شهر فهو نصفه .. وهو الآخر كان صارم الأسعار .. متغالياً فيها ..

ولم تخل مكة المكرمة ، من باعة الكتب القديمة ، الذين يلتقطونها من سوق الحراج ، أو من حراج العصر .. وعرفت من هؤلاء «أحمد سيام» كانت له بسطة في «سوق الليل» أو «شعب علي» يعرض فيها بضاعته من المجلات القديمة ، والكتب المستعملة .. وكان لمثل هذه الأشياء هواتها .. وقد نجد فيها أحياناً كتباً نادرة .. ولكن صاحب هذه البسطة ما كان يتهاود في أسعاره .. ولكن مجالس «السيام» كانت أنيسة .. لكثرة ما يحفظ من القصص والحكايات والنوادر .. التي كان يجسّدها بإلقائه المعبر .. مستعيناً بحركات وأصوات تمثيلية .. رحمه الله .

وأسواق الحراج لا تخلو عادة من بسطات لباعة الكتب المستعملة .. كما أن هناك باعة شبه متجولين يبيعون كتب الطواف والأدعية ، وربما المصاحف ، وكتب قصص الأنبياء وما إليها .. وهؤلاء يتابعون مواطن ازدحام الأقدام ، ويصعدون ببضاعتهم إلى «عرفات» ويفيضون مع الناس إلى «منى» .

وقلما تبتعد المكتبات التجارية عن المسجد الحرام ، إما في الطرقات المفضية إلى أبوابه .. أو أمام الأبواب .

لقد ذهب بعض أصحاب المكتبات ، وخاصة بعد توسعة الحرم المكي ، إلى أماكن أخرى ، ولكنهم حرصوا على أن لايبتعدوا عن الحرم ، الذي هو المركز الأول بالنسبة إليهم .

لقد ذهب «أحمد حلواني» إلى «القشاشية» .. وكذلك فعل الباز .. وذهبت مكتبة الثقافة إلى «سوق الليل» .. ثم أخذت المكتبات بعد ذلك تنتشر في كل مكان ، وذهبت إلى الحواري البعيدة ، واقترب بعضها من المدارس والكليات ومقر الجامعة ، وإن ظل بعض مشاهير الكتبية إلى جوار الحرم على مقربة من «المروة» وباب السلام الجديد .

واشتهر بمكة المكرمة بعض دلالي الكتب .. الذين ربما اشتروا «تركاتها» أو سمسروا عليها ، وكان من أشهرهم «العم بعرورة» ولكن «البارودي» كان اكثر التزاماً في السمسرة على الكتب وبيعها ، وقد تكونت لديه مع الأيام خبرة فيها ، واعتمد عليه بعض هواتها ، وهواة جمع الصحف والمجلات ، في العثور على ماينقصهم من أعداد .. أو ما يتطلعون إليه من نوادر .. وقد اشتهر بحزمه وصرامة أسعاره .. وهو بائع متجول مع ذلك ، فقد يحمل على رأسه بضاعته ليعرضها على زبائنه .

وتجارة الكتب في مكة المكرمة ، تعتمد في الدرجة الأولى على المصاحف ، خاصة في المناطق القريبة من المسجد الحرام ، وكانت من قبل تعتمد في الدرجة الثانية على الكتب التي تدرس في حلقات الحرم ، وكانت هذه الحلقات كثيرة .

لقد كتبت هذه المعلومات من الذاكرة ، بعيداً عن الوطن ، حيث يتعذر عليّ الاستعانة بذاكرة الأصدقاء والمعارف ، لأصحح

معلوماتي ، ولأوضح بعض معالمها وخاصة الأسماء الكاملة لمن غابت عني أسماؤهم .. بعد هذا الفاصل الزمني الشاسع ، الذي يمتد طولاً حوالي أربعين سنة .

وقد سرني ، بعد عودتي إلى الوطن ، أن ألتقي الأستاذ (عبد الرزاق بليلة) ، وأن أجد عنده بعض التصحيحات ، والإضافات ، والمعلومات القديمة .



وقد استطعت في اللقاء العابر الذي ضمّنا ، أن أختطف اختطافاً بعض ما حضره من ملاحظات ، وأعتقد أن لديه مزيداً من التعليقات لو انفسح الوقت .. وأسعفت الذاكرة .. وهاأنذا أذكر ما دونت من ملاحظاته ، أو ما اختطفت منها :

١ ـ لا أدري كيف فاتني أن أذكر من عدة مؤسسي (مكتبة الثقافة) الأستاذ (محمد حسين أصفهاني) صاحب المطابع المشهورة (مطابع الأصفهاني) التي اضطلعت ولا تزال بأعمال طباعية كبيرة منذ تأسيسها حتى الآن .. وتعد مطبعته من أضخم وأحدث المطابع الخاصة في المملكة .. وقد تولت طبع عدد من صحف المملكة .. أما أعمالها في طبع الكتب والتقاويم فأشهر من أن تذكر .

لقد ذكّرني الأستاذ (عبد الرزاق بليلة) بأن الأستاذ الأصفهاني من مؤسسي مكتبة الثقافة التي تأسست سنة ١٣٦٤ هـ ولا أدري كيف غابت عني هذه الحقيقة التي لم أكن أجهلها .. فقد تضافرت على نجاح مكتبة الثقافة عدة جهود شابة .: فقد اطلع بالإدارة في مكة المكرمة الأستاذ (صالح محمد جمال) واطلع بعملية استيراد الكتب والمجلات الأستاذ (أحمد صالح ملائكة) واطلع الأستاذ (محمد حسين أصفهاني) باستقبال الكتب والمجلات الواردة من مصر وتخليصها وإرسالها إلى مكة المكرمة .

ولم يكن العمل في الكتب والمجلات غريباً على الأستاذ الأصفهاني ، فقد عمل في هذا الحقل بجدة ، وكانت مكتبته تستورد أحدث المجلات من مصر .. وكنت كلما أتاحت لي الظروف في غابر الزمان ، أن أقدم إلى جدة أزور مكتبته في سوق الندى ، لأشتري ما يتيسر من الصحف والمجلات .. وإن لم يتم بيننا تعارف ولكني كنت أعرفه .. وإن لم يكن يعرفني .. إلى أن استقر بي المقام في جدة عام ١٣٧٦ هـ واتصلت أسبابي بمطبعته التليدة وأصبحنا صديقين .

ولقد كنت أوفر الحديث عن مكتبته إلى أن تصل رحلتي مع المكتبات إلى جدة .. وما زلت .. إلا أن هذه الومضة جاء بها السياق ، فإن من حق الأصفهاني ، أن يملأ مكاناً رحباً في تاريخ الحرف في هذه البلاد ، سواء في أولويته في استيراد الصحف والمجلات ، أو في عمله الجليل في دنيا الطبع ، أو في مساهماته الفعالة في مكتبة الثقافة التي تُعدّ مناراً رائداً في تاريخ الثقافة والمعرفة .

٢ ـ وذكرني الأستاذ (عبد الرزاق بليلة) برجل أديب ، كان رائداً في استيراد الصحف والمجلات قبل أن تدخل مكتبة الثقافة بفعاليتها الجبارة .

إنه الأستاذ (هاشم علي نحاس) الذي كان وكيلاً لدار الهلال المصرية التي كانت داراً ضخمة للنشر بالقاهرة .. تصدر عدداً من المجلات المتنوعة .. تأتي مجلة (الهلال) الشهرية في مقدمتها .. ومن المجلات التي أصدرتها : المصور ، والكواكب ، وحواء ، وكل شيء ، والدنيا ، وهاتان ضمتا في مجلة واحدة هي (كل شيء والدنيا) ثم انضمت هذه إلى الكواكب فصدرت مجلة (الاثنين) وهي التي كانت تصدر وما تزال روايات الهلال .. وغير ذلك مما لا يحضرني ذكره الآن .

ولم يكن السيد هاشم يستورد المجلات للبيع ، فلم يكن تاجراً ، بل كان موظفاً بوزارة المالية .. حينما كان مقرها بمكة المكرمة في (أجياد) ولكنه كان الوكيل الذي يشترك في هذه المجلات وأمثالها ، بأسماء طالبي الاشتراك ، ليتلقى كل صاحب اشتراك مجلته على عنوانه .. وأحسب أن السيد النحاس اتخذ بعد تقاعده دكاناً في سوق الصغير لبيع المجلات ، وربما بعض الكتب ، ثم نقله فيما بعد إلى جدة .

إن تاريخ الحركة الثقافية في مكة لا ينبغي أن ينسى ما اضطلع به هذا الرجل من جهد في سبيل إتاحة الفرصة للقراء للحصول على أشهر المجلات المصرية .

٣ ـ ومادام الحديث لا يزال متصلاً عن مشيخة المكتبات أو الكتبية ، وهي مشيخة من حق صاحبها أن يعتز بها لصلتها بالحرف وشرفه ومكانته في الحضارات ، فقد أعلمني أيضاً الأستاذ

عبد الرزاق ، ولم أكن أعلم أن شيخها الحالي هو الأستاذ (صالح محمد جمال) أحد كبار مؤسسي مكتبة الثقافة التي لا تزال قائمة ، وهو راعيها ومحركها ، وصلته بالثقافة وثيقة ، فلا يكاد يغيب قلمه عن الصحف ، وقد خاض غمار الصحافة فترات من الزمن معروفة ، كما أسس مطبعة الثقافة التي لا تزال تؤدي مهمتها في دنيا الكلمة .

وللشيخ عباس قطان ، يرحمه الله، مأثرة يجب أن تظل ماثلة في ذاكرة التاريخ ، فقد اشترى مكتبة صديقه الشيخ (ماجد كردي) يرحمه الله ، وهي مكتبة عرفت بثرائها وما تحتويه من مخطوطات ، ومن مطبوعات نادرة الوجود ، وخاصة مطبوعات المطبعة الماجدية التي كان يملكها الشيخ ماجد نفسه ، اشترى الشيخ عباس هذه المكتبة من ورثة الشيخ ماجد ، واستوهب من الملك المؤسس عبد العزيز يرحمه الله الأرض التي استفاضت شهرتها عند أهل مكة المكرمة ، على أنها مولد الرسول ﷺ ، ليبني عليها داراً للكتب يودع فيها المكتبة الماجدية . وقد وافق الملك عبد العزيز على ذلك ، ولكن الشيخ عباس قطان توفي قبل أن يتمكن من إتمام بناء المكتبة ، أو قبل أن ينقل الكتب إليها ، فتولى ذلك أبناؤه من بعده .

ومما قرأت فأعجبني ، تحقيق صحفي جيد نشرته جريدة (الحياة) في عددها الصادر في ٢٨ ذي الحجة ١٤٠٩ هـ بعنوان (مكتبة المثنى في بغداد سجل أمين لتاريخ الثقافة العربية) ، تحدث فيه كاتبه عن منشىء هذه المكتبة ، أعني (قاسم محمد الرجب) فذكر عنه ، استناداً إلى ما كتبه هو عن نفسه في مجلته التي كان يصدرها بعنوان (المكتبة) ، أنه ترك الدراسة في مدرسة (الأعظمية الابتدائية) ، ليعمل صبي مكتبة عند (نعمان الأعظمي) صاحب (المكتبة العربية) في (سوق السراي) الذي كان قديماً سوق الوراقين ، ثم عمل بعد ذلك في استيراد الكتب وخاصة من لندن ، متجهاً إلى كتب التراث العربية ، التي كان يصدرها المستشرقون ، ثم استأجر دكاناً صغيراً في السوق نفسه لاتزيد مساحته عن مترين مربعين جعله مكتبة أسماها مكتبة (المعري) ، وأنه جعل رفوفها من أخشاب الصناديق وملأها بالمجلات المستعملة وبعض الكتب القديمة ، ثم طور مكتبته ، ووسع علاقاته وصلاته في الداخل والخارج ، واستجاب لاقتراح من صديقه (عبد الستار القره غولي) ، فغير اسم مكتبته من مكتبة (المعري) إلى مكتبة (المثنى) ، نسبة إلى (المثنى بن حارثة الشيباني) .

وكان أن انتقلت (مكتبة المثنى) من سوق السراي إلى شارع المتنبي ، وذلك عام ١٩٥٢ م ، وفي سنة ١٩٦٢ م أصدر مجلته التي عهد بتحريرها إلى صديقه ومعاونه (مهدي القزاز) وقد ظلت تصدر إلى سنة ١٩٧٤ م حيث توقفت في السنة التي توفي فيها صاحبها في (بحمدون) بلبنان .

وقد أصدرت (مكتبة المثنى) عدداً من الكتب .

وكتب الرجب ٢٦ حلقة من مذكراته بعنوان (مذكراتي في سوق السراي) ، ونشرها في مجلته ..

وتحدث التحقيق أن كلاً من محمد الرجب وأنسي الرجب ابني صاحب المكتبة المؤسس ورثا عن أبيهما المهنة ، وكانا يحفظان أسماء الكتب عن ظهر قلب ، ويستطيعان الاهتداء إلى أماكنها بيسر .

هذا بعض ما ورد في التحقيق ، مما رأيت أهمية ذكره .

أما كاتبه فهو الأستاذ (محمد أبو سمرة) ..

وقد أعاد إليّ هذا التحقيق ، بعض ما أذكره عن هذه المكتبة الشهيرة ، التي كانت بحق مَعْلماً ثقافياً فريداً ، ما شهدتُ مكتبة تجارية في ضخامتها وسعتها ، ووفرة ما كانت تضم من الكتب ، فيما زرت من بلدان .. وفيما زرت من مكتبات .

وقلما زرت بلداً في الشرق والغرب ، فلم أحاول أن أشاهد شيئاً من مكتباته التجارية . وأنا هنا أنص على التجارية نصاً محدداً . فالمكتبات العامة ، أو الخاصة ليست من هدف هذا الحديث .

وتعود بي ذكرى (مكتبة المثنى) إلى أول زيارة لي لبغداد . لعلها كانت سنة ١٩٦٨ م ، حيث انعقد مؤتمر للأدباء كنت أحد حاضريه ، وقد حرصت على أن أزورها ، فهي معلم من معالم بغداد لابد من زيارته .. وقد كانت تتمتع بسمعة واسعة .

وبرغم أن زيارتي لبغداد كانت ضيقة جداً ، لم تزد على خمسة أيام ، وكانت مزدحمة بالبرامج والرحلات ، إلا أنني تخطيت كل الصعاب ، فزرت المكتبة مرتين ، وتعرفت بصاحبها الذي أولاني ثقته ووده ، وعاملني كما لو كنا صديقين من عهد بعيد .

رحب بي في غرفته الصغيرة .. التي حدثني باعتزاز عمن كانت تضم من كبار الرجال ، وزعماء الأدب والسياسة .. وهم أجيال وأصناف مختلفة . وكان يسهل على السلطة أن تطلب منها من تشاء طلبه .

كان نجم المكتبة قد أخذ في الأفول . ولم يعد صاحبها يستطيع أن يمارس نشاطه على النحو الذي كان يستطيعه من قبل بسبب قيود العملة والاستيراد .

وكانت مجلته تحتضر ، ولم تعد تصدر بانتظام ، وكانت مادتها تتدهور .

بدا لي أن الرجل كان فارساً مغامراً .. وكانت معالم الذكاء والألمعية ماثلة على ملامحه .. لم تكن تخفى ..

في الزيارة الأولى .. اشتريت من المكتبة ، ما تم شحنه لي في كيس خيشي كبير ، تولى شحنه لي السفير الفذ الشيخ (محمد الحمد

الشبيلي) يرحمه الله ، فقد كانت زيارتي لبغداد في عهده .. وقد لاحظت أن الرجب والعاملين في مكتبته يسهل عليهم معرفة أماكن الكتب ، ولم يكد الواحد منهم يسمع باسم كتاب أطلبه إلا ويبادر بإحضاره .. ولم أسمّ كتاباً إلا ووجدته في تلك المكتبة العجيبة !

عرّفني الرجب على جلساء مكتبته واحداً واحداً .. كانت الأسماء معهودة لدي في غالبيتها .. فقد كانوا من مشاهير الرجال والعلماء والأدباء .

أما في زيارتي الثانية ، فقد بثني الرجل بعض همومه ، حينما أدرك اهتمامي بمكتبته وثنائي عليها ، وإعجابي بها ، وبمؤسسها ، وقدرته الفذة على تطويرها وإنمائها والوصول بها إلى ما وصلت إليه من مكانة .

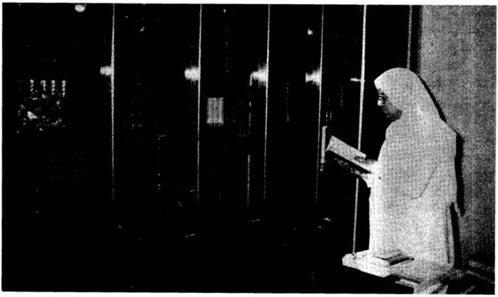
وبرغم من أن المكتبة كانت تقع في دورين مرتفعين ، من بناية قديمة على الطراز العربي العتيق ، ممتلئة بالكتب .. في أرفف ودواليب متراصة بعضها إلى بعض تصل إلى السقف العالي .. بالرغم من ذلك .. فقد أخبرني قاسم الرجب رحمه الله ، أن هذا المبنى لم يعد يسع الكتب ، وأنه بنى بناء عالياً واسعاً لينقل إليه مكتبته ، ولكنه عاد فعدل ، واكتفى بإبقاء المكتبة حيث هي ، وأجرَّ المبنى الجديد لإحدى المصالح الحكومية ، إلا البدروم أو القبو ، فقد احتفظ به لنفسه ، وملأه كتباً ، وطلب إلي أن أشهد المبنى الجديد ، فصحبته إلى مبنى قريب ، كان مبنى حديثاً في عدة طوابق ، وأطلعني على ما ضم الطابق الأرضي منه من كتب كانت تصل إلى السقف المرتفع جداً ، فكان دليلاً جديداً على ضخامة مكتبته وكثرة ما تضم من عناوين .

وبرغم أن مجلة (المكتبة) لم تكن ذات حجم كبير ، أو ورق صقيل ، أو غلاف جذاب ، إلا أنها كانت في إصداراتها الأولى مجلة دسمة ، عنيت بالكتب ونقدها ، وتقديم دراسات جادة عنها ، ولكنها لم تستطع أن تستمر على منهجها ذلك ، فأصبحت المادة الدسمة بها قليلة ، وطغت عليها المادة الإعلانية التي كانت تخدم إصدارات الرجب ، مع مذكراته ، بالإضافة إلى تعريفات لبعض الكتب ، تتصل بنشاط صاحب المجلة في عالم النشر . ولم ينتظم صدورها .

وأحسب أن الأستاذ الرجب كان السابق في العالم العربي ، الذي يصدر مجلة مختصة بالكتاب ، وإن لم نغفل عن هدفه الإعلاني ..

فإن لم تكن لها هذه الأسبقية ، فلا أقل من أن نحتفظ بأولية المثابرة ، فإن مجلة «الكتاب العربي» التي أصدرتها (دار المعارف بمصر) وهي مجلة راقية ، تحقق لها الكثير من أسباب النجاح لم تستطع أن تعمر طويلاً . بل لقد توارت (دار المعارف) نفسها وتقوقعت وإن لم تزل باقية الاسم والرسم .

وفي العالم العربي اليوم ، أكثر من مجلة ، تصدر لخدمة الكتاب .. منها في الرياض مجلة (عالم الكتب) . وفي مصر (عالم الكتاب) وفي لبنان مجلة (المكتبة) .. وهذه تطغى عليها المادة الإعلانية .. عدا أنها ليست منتظمة الصدور .



الانتساخ

فؤاد حمد فرسوني
مكتبة معهد الإدارة - الرياض

مستخلص

يمثل الانتساخ طريقة نقل لسانية مهمة بين اللغات ، وتتنامى أهميته والأخذ به مع اضطراد التقدم ونمو العلاقات بين الدول والحضارات المختلفة ، وتُعنى به المقالة لأهميته البيليوجرافية في أنشطة المكتبات والمعلومات ، هذه الأهمية التي لا تنفصم معالجتها عن تناول جوانب الموضوع اللسانية ، وتعرض المقالة للانتساخ باتجاهاته وممارسته وقواعده والقضايا التي تواجهه وتطبيقاته المقارنة بين مصادر ولغات متنوعة ، متوسلة بالجداول والأمثلة ، ومستخدمة الرموز اللغوية كثيراً لتوضيح المباحث المطروحة.

Abstract

Transliteration has been assuming a significant role, being a linguistic channel deemed to render information transfer easy among various countries; relative bibliographical & linguistic aspects have been considered, in addition to practices, standards, and obstacles encountering it.

تتفاوت الحضارات الإنسانية في مدى الرقي الفكري والمادي المتحقق ، بيد أنها جميعاً تلتقي عند جسر مشترك متمثل بالاتصال ، فإذا كان الاتصال بمثابة الوسيلة فإن التنمية والإثراء في شتى المضامير تكون الغاية . ويتخذ الاتصال صوراً متباينة لعل من أهمها الاتصال اللغوي الذي يتوسّل بما يلي :

١ ــ الترجمة وتكرس لنقل المعنى .

٢ ــ الانتساخ ويكرس لنقل اللفظ .

وهذه المقالة مكرّسة لتناول الانتساخ ، وستسلك المقالة منهجاً وصفياً تحليلياً في معالجة الموضوع ، مع استخدام المقارنة في مواقعها من المقالة التي ستبحث فيما يلي :

أ ــ الانتساخ اشتقاقاً ومعنى .

ب ــ المصطلحات المستخدمة في المجال .

جـ ــ أهمية المعالجة .

د ــ اتجاهات الانتساخ ومتناولاته .

هـ ــ القضايا المطروحة في الانتساخ .

و ــ الانتساخ التطبيقي .

وتتناول الفقرات التالية الجوانب السابقة :

أ ــ الانتساخ اشتقاقاً و معنى :

الانتساخ مشتقة من نسخ ، ونسخ الكتاب تعني نقله وكتبه حرفاً بحرف وتناسخت الأشياء تعني أنها تداولت فكان بعضها مكان بعض(١) والانتساخ مصدر انتسخ ، وهو لفظ مولّد حديث المعنى ، اصطفاه أعضاء **مجمع اللغة العربية** في القاهرة ، وتعلقت رغبتهم باستخدامه مقابل المصطلحين الانجليزيين Transliteration, Transcription(٢) .

وقد عُرّف الانتساخ بأنه نقل حروف لغة إلى حروف لغة أخرى(٣) ، وعرفته **موسوعة علم المكتبات والمعلومات** أنه استخدام أو استبدال هجائية محلّ أخرى ، وقد اعتبرت الموسوعة أن المصطلح Transcription معبر بشكل أوفى عن المعنى بالمقارنة مع المصطلح الآخر Transliteration(٤).

ب ــ المصطلحات المستخدمة في المجال :

استخدم لموضوع المقالة بالإضافة إلى اللفظ المومأ إليه :

١ ــ الانتساخ ،

٢ ــ النقحرة ، وهو لفظ منحوت من كلمتين : نقل الحروف ، واستخدمته قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية بطبعتها الثانية بالعربية(٥) ، كما استخدم في قاموس المورد(٦) .

٣ ــ الكرشنة : وقد عرفها المنجد بأنها «كتابة أحرف عربية بأحرف أجنبية أو بالعكس» وأشير لاستخدامها المخصص أكثر المتصل «بكتابة الألفاظ العربية بأحرف سريانية»(٧)، وهذه الممارسة متجسدة في القرائح(٨) أو أوائل المطبوعات العربية المطبوعة في لبنان مستخدمة الحرف السرياني(٩).

وقد استخدمها محمود أحمد اتيم في (قاف ٢) مترادفة مع «النقحرة» ، وأحسب أن واقع معنى هذه الكلمة وتاريخ ومناسبة استخدامها لا يجعل معاملتها مترادفةً مع «النقحرة» إجراء صائباً ، وهي عندي بالنسبة للعربية وتسجيلها بالحرف السرياني مشاكهة «للرومنة» بالنسبة لأي لغة يراد تسجيلها بالحرف اللاتيني .

٤ ــ الرومنة : وهي اللفظ المنتسخ مقابل المصطلح Romanization(١٠)، واللفظ كما أشير آنفاً يحمل مدلولاً أضيق من «الانتساخ» لاقتصاره على نقل الحروف بأية لغة أخرى إلى الهجائية اللاتينية ، ولذا اعتبر مكافئاً في مضمونه لعملية اللّيْتنة Latinization . وخلاصة القول أن كلمة «انتساخ» تبقى أفضل كلمة معبرة عن الموضوع لدقة معناها وبساطة صيغتها وتجذّر مفهومها في العربية .

٥ ــ وأشير إليه في مصطلحات قليلة أخرى مثل «النقل الصوتي» ، «نقل الحروف» .

ج ــ أهمية المعالجة :

تتجلى أهمية معالجة موضوع المقالة التي تأخذ بعين الاعتبار الجانب

اللساني(١١) والببليوجرافي له في الأغراض التالية :

١ ــ الأغراض العلمية التي تتصل بعملية النقل اللغوي المتبادل من العربية وإليها في أدب الموضوعات المختلفة الإنسانية والبحتة والتطبيقية .

٢ ــ الأغراض المعجمية المتصلة بحصر المفردات المتخصصة في تخصص معين أو في طائفة رحبة من التخصصات وبخاصة في هذا الوقت الذي تكثر فيه الكلمات الدخيلة Loan words المتبادلة فيما بين اللغات .

٣ ــ الأغراض الاستنادية الخاصة بالأعمال الاستنادية التي تشمل مثلاً :

أ ــ الأعلام البشرية ، مثلاً : وليم شكسبير .

ب ــ الأماكن الجغرافية ، مثلاً : رومانيا ، فنزويلا .

ج ــ الكائنات النباتية والحيوانية .. ، مثلاً : الصويا ، الكنغر .

د ــ العناصر الكيماوية ، مثلاً الهيليوم ، المغنيسيوم . والمستخرجات المعدنية مثلاً ، البترول .

هـ ــ المستنبطات والتقنيات والوسائل الحديثة كالالكترود .

و ــ الاستهلاليات ، مثلاً : اليونسكو ، الويبو .

ز ــ المنظمات والمؤسسات بأنواعها ، مثلاً : الروتاري .

ح ــ الواصفات (ورءوس الموضوعات (يسود الاتجاه لكتابة الهمزة مفردة تجنبا لاجتماع الواوين) مثل الميكانيكا .

٤ ــ متطلبات التحسيب .

٥ ــ متطلبات التصفيف للمداخل بشتى أنواعها : لأوعية معلومات ، موضوعات ، عناوين ، أسماء مؤلفين ، طلاب ، جنود ، مواطنين مسجلين لأي غرض .

د ــ اتجاهات الانتساخ ومُتناولاته :

يأخذ الانتساخ في عالمنا العربي اتجاهين في الغالب :

١ ــ انتساخ العربية إلى الحروف اللاتينية .

٢ ــ انتساخ الحروف اللاتينية إلى العربية .

أما مُتناولاته فتشمل من حيث التكوين :

١ ــ حروف المباني ومنها تتكون الكلمات مثل ب ، ت ، ث .

٢ ــ حروف المعاني وهي حروف لا يتم معناها إلا بإضافتها إلى الاسم أو الفعل مثل حتى .

٣ ــ حروف العلة Vowel letters مثل [ū] في root

٤ ــ المزجيات Diphthongs مثل [ei] في state

٥ ــ المعْربنات وهي ألفاظ معربات ومبنيات(١٢) مثل مُذ ، قبل ، كأن .

ومن حيث التركيب فتشمل :

أ ــ اللفظة الكاملة، مثلاً : تلفاز التي تقابل Television .

ب ــ المقاطع Syllables كما في graphy التي تنتسخ إلى جرافيا أو غرافيا كما في البيليوجرافيا ، الجغرافيا . وتعالج الفقرات التالية اتجاهات الانتساخ ومتناولاته بالتفصيل .

بالنسبة لانتساخ العربية بحروف لاتينية أي رومنتها فإن مجمع اللغة العربية الذي يضم علماء من شتى أقطارنا العربية قد أوصى بهذا النظام ، وإن كان لهذا النظام ميزة فإنما هي منبثقة عن اجتماع نخبة عربية متخصصة ، وأن اتباعها مُفْضٍ إلى تقنين الممارسة تعلّة أن تجري كيفما اتفق :

نظام كتابة الكلمات العربية والسامية بحروف لاتينية

الحروف :

الهمزة	ʾ	اللام	l
الباء الشديدة	b	الميم	m
الباء الرخوة	ḇ	النون	n
الجيم العبرية الشديدة	g	السامخ العبرية والسين العربية	s
الجيم العبرية الرخوة	g	السين العبرية	ś
الجيم العربية المعطشة	j	العين	ʿ
الدال	d	الباء	p
الذال	ḏ	الفاء	f
الهاء	h	الصاد	ṣ
الواو	w	الضاد	ḍ
الزاى	z	الطاء	ṭ
الحاء	ḥ	الظاء	ẓ
الخاء	ẖ	القاف	q
الطاء	ṭ	الراء	r
الياء	y	الشين	š
الكاف الشديدة	k	التاء	t
الكاف الرخوة	ḵ	الثاء	ṯ

الحركات :

الفتحة	a	الضمة الطويلة	ū
الفتحة الطويلة	ā	الحولم	o
الكسرة	i	الحولم الطويلة	ō
الكسرة الطويلة	ī	القامص حاطوف	ǫ
الصيرى	e	الشوا المتحركة	ᵉ
الصيرى الطويلة	ē	الحاطيف بتح و الفتحة المسروقة	ᵃ
السجول	ę	الحاطيف قامص	ᵒ
السجول الطويلة	ę̄	الحاطيف سجول	ᵉ̨
الضمة	u	الفتحة مع واو ساكنة بعدها	au
		الفتحة مع ياء ساكنة بعدها	ai (١٣)

وقد قوبلت ألفاظ الحروف العربية والسامية بالرموز الصوتية : phonemes المحددة في النظام بيد أن هذا النظام قد ورد عاماً ودون توضيح من خلال كلمات تدخل فيها الحروف والحركات المُمثّلة ، وبُعيد صدور هذا النظام في **المعجم الكبير** بعام صدر نظام قريب من ذلك وواضح ابتحته ووضعه متخصصون عرب استجابة لتوصية «مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في جنيف سنة ١٩٦٧ ، حول توحيد الأسماء الجغرافية» ، وينتمي هؤلاء المتخصصون إلى خمس عشرة دولة عربية التأم جمعهم في بيروت سنة ١٩٧١ بهدف تقنين انتساخ العربية بالحروف اللاتينية ، ونقدم فيما يلي صورة لهذا النظام تعكس تفصيله وإحكامه وجلاءه :

انتساخ الحروف العربية بالرموز اللاتينية كما تقرر في مؤتمر بيروت لسنة ١٩٧٦

Examples		Roman letters	Arabic letters	
Khaybar	خيبر	Kh		خ
Dammām	دمام	D		د
Dhahbān	ذهبان	Dh		ذ
Rafaḥ	رفح	R		ر
Zabid	زبيد	Z		ز
Sinā'	سيناء	S		س
Shibin	شبين	Sh		ش
Safad	صفد	S		ص
Dabah	ضبه	D		ض
Tanṭā	طنطا	T		ط
Zhahrān	ظهران	Zh		ظ
Ákkā	عكا	Á	بالفتحة	ع
Írāq	عراق	Í	بالكسرة	
Úmān	عمان	Ú	بالضمة	
Bā'labak	بعلبك	.:.	بالسكون	ع
Ghadir	غدير	Gh		غ
Fālūjah	فالوجه	F		ف
Qaṭar	قطر	Q		ق
Kūt	كوت	K		ك
Libyā	ليبيا	L		ل
Misr	مصر	M		م
Najd	نجد	N		ن
Hit	هيت	H		هـ
Wahrān	وهران	W		و
Yaman	يمن	Y		ي
	وتوضع على الحروف المطلوبة في الوسط وفي آخر الكلمة مثل بئر	.:.		
Bi'r Karbalā	— كربلاء			الهمزة
Tall	تل	A		الفتحة
Irbid	إربد	I		الكسرة
Al Quds	القدس	U		الضمة
Bāb Al Mandab	باب المندب	Ā		الفتحة مع الألف
Al Madinah	المدينه	Ī		الكسرة مع الياء
Sūr	صور	Ū		الضمة مع الواو
Tarhūnah	ترهونه	H		التاء المربوطة في آخر الكلمة
Birkat as-Sabā	بركة السبع	T		التاء المربوطة في الكلمة المركبة

أل للتعريف:
بالنسبة للكلمات الشمسية يكتب الحرف الأول مكرر مع فاصل (شرطة) بين الحرفين مثل:
السيدة as-Syyidah
الشارقة ash-Shāriqah
وبالنسبة للكلمات القمرية تكتب الألف واللام ال — مثل
الجبيل Al Jabal
الوادي، Al Wādi

RESULTS OF THE STUDY BY ARAB EXPERTS AT THE CONFERENCE HELD AT BEIRUT IN 1971

Examples		Roman letters	Arabic letters
Arbil	أربيل	A	ا
Banhā	بنها	B	ب
Tadmur	تدمر	T	ت
Tharthār	ثرثار	Th	ث
Jabal	جبل	J	ج
Ḥims	حمص	Ḥ	ح

TRANSLITERATION OF THE ARABIC ALPHABET انتساخ الحروف العربيـة:

THE BEIRUT SYSTEM (1971) MADE IN ACCORDANCE WITH RESOLUTION 8 OF THE SECOND UNITED NATIONS CONFERENCE ON THE STANDARDIZATION OF GEOGRAPHICAL NAMES*

Table 1. Transliteration of Arabic consonants

Arabic letter	Name of letter	Beirut transliteration system	Recommended amendment	Example	
ء	hamzah	-----	omit (initial)	Abū Kamāl	أبوكمال
ء		-----	' (medial)	Bi'r	بئر
		-----	' (final)	Ṣan'ā'	صنعاء
ا	alif	a	omit	Inshāṣ	إنشاص
ب	bā	b		Banhā	بنها
ت	tā	t		Tadmur	تدمر
ث	thā	th	th	Tharthār	ثرثار
ج	jīm	j		Jabal	جبل
ح	ḥā	ḥ	ḥ	Ḥimṣ	حمص
خ	khā	kh	kh	Khaybar	خيبر
د	dāl	d		Dammām	دمام
ذ	dhāl	dh	dh	Dhahbān	ذهبان

Arabic letter	Name of letter	Beirut transliteration system	Recommended amendment	Example	
ر	rā	r		Rafah	رفح
ز	zāy	z		Zabid	زبيد
س	sin	s		Sinā'	سيناء
ش	shin	<u>sh</u>	sh	Shibin	شبين
ص	ṣād	ṣ	ṣ	Ṣafad	صفد
ض	ḍād	ḍ	ḍ	Ḍab'ah	ضبعه
ط	ṭā	ṭ	ṭ	Tanṭā	طنطا
ظ	ẓā	<u>zh</u>	ẓ	Zahrān	ظهران
ع	'ayn	'		'Akkā	عكا
غ	ghayn	<u>gh</u>	gh	Ghadīr	غدير
ف	fā	f		Fālūjah	فالوجله
ق	qāf	q		Qaṭar	قطر
ك	kāf	k		Kūt	كوت
ل	lām	l		Lībyā	ليبيا
م	mim	m		Miṣr	مصر
ن	nūn	n		Najd	نجد
ه	hā	h		Hīt	هيت
و	wāw	w		Wahrān	وهران
ى	yā	y		Yaman	يمن

* See *Volume I. Report of the Conference* (United Nations publication, Sales No. E.74.I.2).

Table 2. Transliteration of Arabic vowels, diphthongs and dacritical marks

Arabic letter	Name of letter	Beirut transliteration system	Recommended amendment	Example	
َ	fatḥah	--------	a	al-Baṣrah	البصره
ِ	kasrah	--------	i	ar-Riyāḍ	الرياض
ُ	ḍammah ṭawīlah	--------	u	al-Burj	البرج
ُ	ḍamah qaṣirah	--------	o	'Omān	عمان
ْ	sukūn	--------	omit	Aḍḥā	أضحى
آ	alif fatḥah	--------	ā	Bāb	باب
أ	alif maddah	--------	ā	Qur'ān	قرآن
ى	alif maqṣūrah	--------	á	Marsá Maṭrūk	مرسى مطروح
ي	yā kasrah	--------	ī	al-Madīna'h	المدينة
ً	tanwin fatḥah	--------	a^n	Bāba^n	باباً
ٍ	tanwin kasrah	--------	i^n	Bābi^n	بابٍ
ٌ	tanwin ḍammah	--------	u^n	Bābu^n	بابٌ
ّ	shaddah	--------	doubling	Abu Rommānah	أبورمانه
ال (شمسية)	al (shamsiyah)	doubling		a<u>sh</u>-shāriqah	الشارقة
ال (قمرية) (١٤)	al (qamariyah)	al		al-wādī	الوادي

أما بالنسبة لانتساخ الحروف اللاتينية إلى العربية فقد يطلق عليه التعريب ، والتعريب بالنسبة للعربية صنْوٌ للرومنة بالنسبة للاتينية من حيث النقل ، والتعريب في لغتنا ليس بجديد ، وقد أخذ به أجدادنا من اللغويين القُدامى فنقلوا كثيراً من الكلمات من اللغات الأخرى كالفارسية ، اليونانية ، السريانية ، القبطية ، الحبشية ،.... وعملوا على تهذيب الألفاظ الأعجمية المنقولة طبقاً لقواعد العربية التي لا تقبل التنافر والنطق العسير ، كأن تُحول التاء إلى طاء كما في أرسطو ، حيث تقابل الطاء هنا التاء في الأصل : Aristotle ، وتجنب اجتماع الساكنين كما يتجلى في تحريكهم للحرف الأخير كما في اسطاطيكا ، وتحوير الهاء في أواخر الكلمات الفارسية المعرّبة إلى قاف أو جيم أو كاف كما في نيزك من نيزه .

وبذا وقع في ممارساتهم تغيير لبعض الأحرف الأعجمية أو زيادة أو خصر فيها تيسيراً للنطق بها وتوضيحاً للكلمات كتابةً ونطقاً ؛ ولا يُلجأ للتعريب جزافاً بل عند الضرورة مع التأكيد على إدماج اللفظة الأعجمية في أحد الأوزان العربية ،

ولا مرية أن وجود مثل هذه الألفاظ في العربية وترشيد إثرائها بها له مزيّة الاتصال بالحضارات الأجنبية ، ولكن مرتبته بين طرائق إثراء اللغة العربية الأخرى تأتي في نهاية سلم الأولويات التالي ، ذلك بأن التعريب أسلوب حساس دخيل على اللغة وتهدد كثافة الأخذ غير المرشّد به أصالة اللغة وعراقتها :

١ — الاشتقاق .
٢ — المجاز .
٣ — التضمين .
٤ — إحياء القديم .
٥ — ثم التعريب(١٥) .

ومن أمثلة الألفاظ المنتسخة التي نقلها العرب عن اللغات الأخرى عبر القرون الماضية ، ووضعوها في قالب عربي ميسر :

— من التركية

الكلمة	الأصل
برتقال	بورتوقال
بصمة	باصِمه
كُرز	كَراز
لُغم	لَغم

— من الفرنسية :

بوليس	police
غاز	Gaz
كرتون	Carton
متر	mètre

— من الألمانية :

قرش وغرش	Groschen

— من اليونانية :

أبرشية	ابنوس	أسطول	طقس	إقليم	ملنخوليا
بطريق	درّاق	سفسطة	فلس	قاموس	إنجيل
بطريرك	درهم	أسقف	فلسفة	قانون	نوتي
بطاقة	دلفين	صابون	فندق	ألْماس	يونان
بقدونس	دِفْلى	اسطرلاب	فرسق	مطران	
ترياق		طلسم	قيراط		

— من السريانية :

كرشوني

كهنوتي

ملكوت

شماس

نبرات

آذار ، أيلول ، أيار ، حزيران ، شباط .

— من الفارسية :

الكلمة	الأصل
باذنجان	بادنكان
بابونج	بابوش
برذون	بُرْزون
برنامج	برنامه
بيكار	بركار
بوتقه	بوته
جاموس	كَاوميش
جَنْباز	جان باز
جوهر	كُوهَر
فولاذ	بولاد
كهربا	كارَبا
نيزك	نيز

— من الاسبانية :

الكلمة	الأصل
قرصان	Corsario

— من اللاتينية

الكلمة	الأصل
دينار	Denarius
قيصر	Cesar
قنصل	Consul
لاتين	Latinus

— من العبرية

توراة

جهنم

سوسَن

عَنْصَرَه

يسوع

— من الإيطالية :

الكلمة	الأصل
بركان	Vulcano
بطاطا	Patata
بطارية	Batteria
بوليصة	Polizza
بنك	Banca

وقد عملت بعض المعاجم على وسم الألفاظ المعربة ، فأشير إليها بالألفاظ «المعربة» في **المعجم الوسيط** وعرفها بأنها الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية فعالجها العرب وغيروها بالنقص أو الزيادة أو القلب مثل الأبِرا ، والألفاظ «الدخيلة» التي عُرفت بأنها ألفاظ أجنبية دخلت العربية دون تغيير كالأكسجين ، التليفون ، الأبرشية ورمز للألفاظ الأولى بـ (مع) أي معربة ، والألفاظ الأخرى بـ (د) أي دخيلة .

وهناك ألفاظ متنسخة دخلت **المعجم الوسيط** ولم يُشَر إليها كذلك بل اكتُفي بالإشارة إلى أن المجمع قد أقر استخدامها مثل الأرستقراطية وتقابل Aristocracy، البترول Petrol ، البَنْدول pendulum ، البنك Bank ، التِّلِبائي Telepathy ، التكيَّة (وهي لفظة تركية) ، وفي مجال تقنين انتساخ اللاتينية بالحروف العربية ظهرت ممارسات كثيرة ، وبرز من بينها النظام الصادر في الطبعة العربية المنشورة في عمان سنة ١٩٨٣ من : قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية ، ط ٢ التي اشتركت في إعدادها أشهر جمعيات المكتبات في العالم وأكثرها عطاء وهي :

— جمعية المكتبات الأميركية ، جمعية المكتبات البريطانية ، لجنة الفهرسة الكندية ، بالإضافة للمكتبتين الشامختين مكتبة الكونجرس والمكتبة البريطانية .

وأعد الترجمة محمود أحمد اتيم بتكليف من جمعية المكتبات الأردنية ، وراجعها المرحوم محمود الأخرس خبير إدارة التوثيق والمعلومات في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ففي الملحق [هـ] من هذه الترجمة العربية جداول بقواعد وحالات الانتساخ أسهم بها المترجم إذْ لم تك موجودة في الأصل الإنجليزي(١٦) .

ومن القواعد التي وضعت لضبط وتوحيد عملية الانتساخ للحروف اللاتينية بالعربية ما يلي(١٧) :

القاعدة هـ ، ١ ـــ ترشد إلى انتساخ الحروف اللاتينية بالعربية على أساس صوتي تركيبي أي في إطار لفظها في الكلمة ككل ، مع التنكب عن انتساخ الحروف التي تكتب ولا تلفظ مثل :

K	في Know ; Knife
b	في Comb ;
L	في Calm

القاعدة هـ، ٣ ـــ ترشد في الشطر الأول منها (هـ، ٣ أ) إلى تجنب الانتساخ بالحروف العربية الدخيلة التي أدخلها البعض في المغرب العربي والعراق ومصر مثل :

چ	بدل	تش	
ك	بدل	ج	المصريّة
ڤ	مقابل	V	

أما القواعد هـ ٤ أ ـــ هـ ١٦ فإنها تضرب الأمثلة المتعددة لإيضاح لفظ الحروف اللاتينية حسب ورودها في أسماء الأعلام ، وهي في رأيي أمثلة تطبيقية لمضمون القاعدة الأولى والثانية التي سنفرد لها قسماً خاصاً فيما بعد لبياناتها الكثيرة المُجَنْولة .

وفي القاعدة هـ ، ١٦ يُجذب الانتباه لتباين طرائق نطق حروف معينة بين اللغات الأوربية ، مثلاً :

V	بالألمانية	تقابل	W بالإنجليزية
W	بالألمانية	تقابل	V بالإنجليزية

والقاعدة هـ ، ١٧ ـــ تلفت نظرنا إلى استخدام الصيغ المستقرة بالعربية لبعض الأعلام الأجنبية وتجنب النقل الحرفي لها ، ومنها :

ـــ توما الأكويني	Thomas Aquinas
ـــ أرسطو	Aristotle
ـــ الإسكندر	Alexander
ـــ اقليدس	Euclid
ـــ نيرون	Nero
ـــ طاليس	Thales
ـــ جالينوس	Galen
ـــ يوليوس قيصر	Julius Caesar
ـــ شارل	Charles
ـــ واشنطن	Washington
ـــ لوقا	Luke
ـــ يوحنا المعمدان	John the Baptist
ويضيف إليها الكاتب : سقراط	Socrates
أبقراط	Hippokrates
افلاطون	Plato

وقد يضيف القارىء أسماء جغرافية وأسماء كائنات وكتباً وعناصر كيماوية ومعادن ووسائل وتقنيات وأقواماً وشعوباً وعائلات ومجان ومُنشآت وكثيراً مما يشرب أو يؤكل أو يُرتدى أو يستخدم من أدوات مستوردة من الغرب أو الشرق ، مثلاً :

الأوديسة	Odessey
الإلياذة	Eliad
عُطَيْل	Othello

أما القاعدة ١٧ ب ـــ فتتطرق لصيغ الأسماء العربية المُرومنة التي اعتورها تغيير وتحوير يلبس الأمر على القارىء غير المطّلع فيشكل عليه ، ويتعذر تمييز الأصل العربي الذي استوعب واستقرت صيغته في اللغات الأوربية لتلك الأسماء التي ينبغي أن ترد للأصل العربي ، ومنها :

الاسم		الأصل بالعربي
Albucasis		الزهراوي
Albumazar	[عند المترجم Albumasar]	أبو معشر
Alhazen		ابن الهيثم
Avenpace	[عند المترجم Avempacel]	ابن باجة
Avenzoar		ابن زهر
Avérroès		ابن رشد
Avicenne	[عند المترجم Avicenna]	ابن سينا
Maiminides		ابن ميمون
Saladin		صلاح الدين
ويضيف إليها كاتب المقال أيضاً :	Alpetraguis	البطروجي [أبو إسحق نور الدين]
Razés		الرازي
Al Gazel		الغزالي
Geber		جابر [بن أفلح]
Mesue Maior		يوحنا بن ماسويه
Abu Baker		أبو بكر [بن الخصيب]
Al Cabtiuis		القابس [عبد العزيز]
Zahel		سهل [بن بشر](١٨)
وكذلك Abraham		إبراهيم
Moses		موسى
Eve		حواء ... لخ

وإذا عدنا للقاعدة هـ، ٢ ـــ التي تعالج انتساخ الحروف اللاتينية بالعربية(١٩) ، فإنها تورد الإرشادات التالية :

هـ . 2. أصوات الحروف .

مع مراعاة الأمثلة والقواعد(٢٠) تكون صور الحروف الإنجليزية وانتساخها على النحو التالي :

ء (همزة) ، ا ، ي	a	A
و	au	Au
ب	b	B
ك ، س	c	C(٢٠)

تش ، ك ، خ	ch	CH
د	d	D
ء (أول الكلمة) ، ، ي	e	E
ي		ee, ie
ج ، غ	g	G
هـ	h	H
ء (أول الكلمة) ، آي ، ، ي	i	I
ج	j	J
ك	k	K
خ	Kh	KH
ل	l	L
م	m	M
ن	n	N
و	o	O
ب	p	P
ف	ph	PH
ك ، ق	q	Q
ر	r	R
س، ز	s	S
ش	sh, sch	SH, SCH
ت	t	T
ث ، ذ ، ط	th	Th
و ، ي ـُـ ، أحياناً (في أول الكلمة)	u	U
ف	v	V
وَ ، وُ ، وِ	w	W
إكس ، ز	x	X
ي ، يَ ، يُ ، يِ	y	Y
ز	z	Z

أما مُتناولات الانتساخ الأولية فتشمل الحروف ، وقد قُسِّمت الحروف العربية إلى حروف المباني وحروف المعاني ؛ فأما حروف المباني فنوضحها في الجدول التالي :

حروف المباني — أحوالها العامّة

حروف المباني	الحروف الشمسيّة	الحروف المعتلّة	الحروف المعجمةُ المنقوطة	الحروف المستَعلية	الحروف الشّديدة	أحرف الحلق	أحرف الصّفير
ء					ء	ء	
ب			ب		ب		
ت	ت		ت				
ث	ث		ث				
ج			ج				
ح						ح	
خ			خ	خ		خ	
د	د				د		
ذ	ذ		ذ				
ر	ر						
ز	ز		ز				ز
س	س						س
ش	ش		ش				
ص	ص			ص			ص
ض	ض		ض	ض	ض		
ط	ط			ط	ط		
ظ	ظ		ظ	ظ			
ع						ع	
غ			غ	غ		غ	

حروف المباني	الحروف الشّمسيّة	الحروف المعتلّة	الحروفُ المعجمةُ المنقوطة	الحروف المستَعْلية	الحروف الشّديدة	أحرف الحلق	أحرف الصّفير
ف			ف				
ق			ق	ق	ق		
ك					ك		
ل	ل						
م							
ن	ن		ن		ن		
ه						ه	
و		و					
ا		ا				ا	
ي		ي	ي				
والأخرى	حروف قمريّة	حروف صَحيحة	حروف مُهمَلة	حروف مستفِلة	حروف رَخوة		

- تسمّى حروفُ العلّة حروفَ مدٍّ إذا سُكّنتْ بعدَ حركةٍ تناسبُها: قالَ. وتُسمّى حروف لينٍ بعدَ حركةٍ لا تناسبُها: قوْمٌ
- تقع الألف بَعْدَ الحروفِ المستَعْلية فتمنعُ الإمالةَ
- تدخُلُ الحروفُ الحلقيّةُ (ما عدا الألِفَ) في عينٍ أو لامٍ كلّ فعلٍ على وزنٍ: فَعَلَ - يَفْعَلُ: سَأَلَ - يَسْأَلُ

أما حروف المعاني التي لا يتم معناها كما أومي آنفاً إلا بإضافتها للأفعال أو الأسماء فتضم الحروف التالية التي سيقت معانيها للإيضاح:

حُروفُ المعَاني	مِن مَعَانيهَا [٧]
ه	استفهام - مصدريّة - نداء
آ	نداء
آيَ	نداء
أجَلْ	جواب
إذْ	تعليل - ظرفيّة - مفاجأة
إذْمَا	شرط - ظرفيّة
إذَنْ	جواب
إذاً	جواب
إذا	ظرفيّة - مفاجأة
ألْ	تعريف - زائدة - بمعنى اسم الموصول
ألا	استفتاح - تحضيض - تنبيه - عرض - نفي
ألاّ	تحضيض - تنديم - نفي - نهي
إلاّ	استثناء - عطف - نفي - بمعنى غير
عَنْ	تعليل - ظرفيّة - بمعنى البدل
ف	ابتداء - عطف - رابطة للجواب
في	تعليل - ظرفيّة - علامة الضَّرب
قَدْ	تحقيق - تقليل - بمعنى حسْب ويكفي
ك	تشبيه - توكيد - للخطاب - وتنوب عن الاسم
كأنَّ	تشبيه - للظَّنّ
كلَّا	ردع
كَيْ	تعليل - غاية - مصدريَّة
ل	ابتداء - أمر - تعجُّب - تعليل - جواب زائدة - ظرفيَّة - قَسَم - نفي
لَعَلَّ	ترجٍّ - بمعنى الإشفاق
لكِنْ	ابتداء - استدراك - إضراب - عطف
لكِنَّ	استدراك

إلى	ظرفيّة- غاية	لَمْ	نفي
أمْ	عطف	لَمّا	ظرفيّة - نفي
أمَا	استفتاح- عرْض- نفي- بمعنى حقًّا	لَنْ	نفي
أمّا	تفصيل- توكيد- شرط	لَوْ	تمنٍّ - شرْط - عرْض - مصدريّة
إمّا	تخيير- تفصيل	لَوْلا	تحضيض - شرْط - عرْض
أنْ	تفسير- توكيد- زائدة- مصدريّة	لَوْما	تحضيض - شرْط - عرْض
إنْ	زائدة- شرط ونفي- توكيد	لاَ	جواب - نفي - نهي
أنّ	توكيد	لات	نفي
أوْ	إضراب- تخيير- تفصيل- عطف بمعنى: إلى و إلاّ	لَيْتَ	تمنٍّ
أيْ	تفسير- نداء	م	تصريف
إيْ	جواب	مُذْ	ظرفيّة
أيَا	نداء	مِنْ	تعليل - تفصيل - ظرفيّة
ب	توكيد- ظرفيّة- قسم- بمعنى بسبب	مُنْذُ	ظرفيّة
بَلْ	ابتداء- إضراب- عطف	ما	استفهام - تعجُّب - زائدة - شرط- ظرف
بَلَى	جواب		نفي - بمعنى اسم الموصول وصفة للإبهام
ت	تصريف- زائدة- قسم- تنوب عن الاسم	ن	تصريف - توكيد
ثُمّ	(وثُمّت) عطف	نّ	توكيد
جَلَل	جواب	نعم	جواب
جَيْرِ	جواب		تنبيه - للسَّكت وتنوبُ عن الاسم
حتّى	ابتداء- استثناء- تعليل- عطف- غاية	هل	استفهام -
حَاشا	استثناء	هَلّا	تحضيض - تنديم
خَلاَ	استثناء	هَا	تنبيه - بمعنى خُذْ
رُبَّ	(ورُبّت) تقليل- تكثير	هَيا	نداء
س	استقبال	و	ابتداء - تصريف - زائدة- ظرفيّة- عطف
سَوْفَ	استقبال		قسم - بمعنى رُبَّ - تنوبُ عن الاسم
عَدا	استثناء	وا	نداء
علّ	ترجٍّ	ا	تصريف
على	استدراك- تعليل- شرط- ظرفيّة- بمعنى ب	ي	تصريف
		يا	نداء

أما حروف العلة فتشمل بالعربية ثلاثة حروف هي : و ، ا ، ي

أما المَزْجيات Diphthongs فتتكون من حرفي علة أُدغما معاً ، ومنها بالعربية

أو كما في الأوس

أي كما في بيت

أما بالنسبة للمُعْرَبنات فنسوقها مُجَدْوَلة في الصفحة التالية ، وقد شكلت مَنْعاً للَبس ، وأُطلق عليها مصطلح «معربنات» لاحتوائها على كلمات مُعْرَبات ومبْنيات جاعلين اللفظة منحوتة في ضوء ذلك من هاتين الكلمتين «مُعْرَبات» و «مبنيات» .

المُعْرَبَناتُ — الكَلِمَاتُ بالتّرتيبِ الهِجَائيّ (٢١)

ء	إلىْ	بغْتَةً	خاصّةً	عدا	كأيِّن	مُذْ	ا
آ	الإمْ	بلْ	دُوْن	عشْرُوْن	كثيْرا	مرة	ي
آمينْ	الآن	بلْه	دُونك	علْ	كذا	معْ	يفعلُوْن
آنفًا	إليْكَ	بلىْ	دواليْك	علّ	كُلُّ	معاذ	يميْن
آناء	أمْ	بيْد	ذلك	علىْ	كلْتا	مُعاويةُ	يا

آه	أمدًا	بين	ذو	علام	كلا	مفاعل
آي	أمس	بينما	ذا صباح	عمّ	كلّما	مفاعيل
أبدًا	أما	بَيْنَا	ذات مساء	عُمُرُ	كَمْ	مكَانكَ
أبو	أمّا	ت	ذان	عمّا	كما	منْ
اثنا عشر	إمّا	تجاهْ	ذيْت	عنْ	كاد	منْ
اثنان	أمام	تَحْتَ	رُبّ	عنْدَ	كَانَ	مُنْذُ
اثنان وعشرون	أمامَكَ	تَعْسًا	رُبّت	عوَض	كَيْ	منْ ذا
أجلْ	أنْ	تسعةُ وتسعُونَ	رُويْدَكَ	عامّةُ	كَيْتَ	مهما
أجْمعْ	إنْ	تلقاء	رَيْث	عينْ	كَيْفَ	مهْ
أحد عشر	أنّ	تَارَةَ	ريْثما	عيانًا	كيْفما	ما
أحْمدُ	أنّى	ثلاثةُ	زعم	غدًا	ل	ما أفْعلهْ
أخرُ	أهْلًا	ثلاثَةَ عشَرَ	س	غداةَ	· لَبّيْكَ	ماذا
أخو	أوْ	ثُمّ	سُبْحان	غَالبًا	لَدُنْ	ن
أرى	أوّل	ثُمّتَ	سَحْقًا	غيْرَ	لَدَى	نَ
إذْ	أولُو	ثَمّ	سُرْعان	ف	لعلّ	نَحْو
إذما	أيُّ	ثَمّةَ	سرًّا	فُرادَى	لعمْرُ	نَعَمْ
إذَنْ	أيْ	جَلَلْ	سَمْعًا	فضْلًا	لَكنْ	نعَمَ
إذًا	إيْ	جميعُ	سَوْفَ	فعْلاء	لَكنّ	نَفسْ
إذا	أيْضًا	جيْر	سوَى	فَعْلَى	لكيْ	نا
إزاء	أيْن	حبّذا	ساء	فعْلان	لمْ	نيّف
أشياء	أيْنما	حبْلَى	شبْهُ	فُلانٌ	لمّا	ه
أصدقاء	أيا	حتّى	شتّان	فُوْ	لنْ	هلْ
أصْلًا	أيّان	حمْدًا	شمال	فوْق	لوْ	هلُمّ
أعطى	إيّاك	حَذارِ	صَبْرًا	في	لوْلا	هلّا
أفّ	ب	حسْبَ	صباح مساء	فيمَ	لوْما	هُنا
أفعلْ	بئس	حقا	صدْقًا	قبْل	لا	هُو
أفعلْ به	بُؤْسًا	حَمُوْ	صَرَاحةً	قدْ	لاتَ	ها
أل	بَخْ	حَاشَا	صَهْ	قطُّ	لا سيّما	هيْهات
الّذي	بضْع	حَيَّ	ضَحْوة	قطْ	لَيْتَ	و
ألفٌ	بُطْآن	حَيْثُ	طُرًّا	قَلَّمَا	لَيْس	وراءَكَ
اللّذان	بعْد	حيْثما	طَالما	قاطبةً	م	وشْكَان
أ لا	بُعْدًا	خَلْفَ	ظَنّ	ك	منّةُ	وا
ألَا	بَعْضُ	خلَا	عُثْمانُ	كأنّ	متَى	واحدٌ
إلّا	بعَلبكُّ	خلافًا	عجبًا	كأيّ	مثْلَ	واحدٌ وعشْرُون (٢٢)

ويُرجح إجراء الانتساخ من ناحية تركيبية ، أي لا ينتسخ الحرف بمعزل عن الكلمة التي ورد فيها جملة ، وهذا الاتجاه المحمود متبع في قواعد الانتساخ التي وردت في **قاف ٢** بطبعتها العربية المومأ إليها سابقاً ، وقد يأخذ المنتسِخ السياق أو الجملة التي وردت فيها الكلمة ناظراً فيما يسبقها وما يعقبها ليقف على حقيقة اللفظ في السياق لاحتمال ورود حالات من الوصل أو الإدغام أو التضعيف التي لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في الانتساخ وبخاصة في اللغة العربية .

أما بالنسبة لانتساخ المقاطع وبخاصة السوابق واللواحق في كثير من الكلمات الإنجليزية فإنه يجري على نحو دقيق يُحرص فيه على تقديم أفضل صيغة مقابلة بالعربية ، وتحاشي الانتساخ الحرفي المسرف أنى كان إلى ذلك سبيل ، مثلاً :

سيرة ببليوجرافية ← **Bio bibliography**

وكذا الحال بالنسبة للنقل إلى العربية للمصطلح المكون من كلمتين كالواصف والموصوف ، مثلاً :

حِمضْ أميني Amino acide

هـ ــ القضايا المطروحة في الانتساخ :

ليست عملية الانتساخ عمل نقل ميكانيكية سهلة ، وما أحسب أنها يمكن أن تنجز على نحو مقنّن معقول ما لم يكتنفها الإعداد والتنظيم وإعمال النظر في القضايا التي تواجهها وحسمها في ضوء المتغيرات اللغوية واللسانية والوطنية والفكرية والتقنية ، التي تمس هذه القضايا التي تعالجها الفقرات التالية :

١ ــ بين النقل الصوتي والحرفي :

تُوسَمُ بعض اللغات بأنها تُنطق كما تكتب بوجه عام كالعربية ، والألمانية والانتساخ من مثل هذه اللغات لا يضع العقابيل أمام مهمة المنتسخ منها ، هذه المهمة التي تصبح أكثر صعوبة لدى الانتساخ من لغات يَغْلُبُ أن يتغاير النطق والكتابة فيها كما في الفرنسية ، والإنجليزية ، مثلاً :

لا تلفظ r, n في الكلمة الفرنسية Monisieur

لا تُلفظ t في الكلمة الانجليزية Restaurant

ومن هنا يُرى أن يُناط الانتساخ من لغة معينة إلى أخرى بشخص عارف لهما كتابة ونطقاً حتى يتسنى له النقل الصوتي القويم فيما بينهما .

٢ ــ التباين اللفظي في تسجيل الكلمة الواحدة :

ويوجد بكثرة في كلمات وأعلام منقولة من العربية إلى اللغات الأوربية كنقل دمشق إلى Damas بالفرنسية ، Damascus, Dimishq, Dimashq بالإنجليزية ، ويُعثر على صيغ متعددة لكتابة اسم الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بالإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية ، مثلاً Mohamet, Mohammed, Mohammad ويسود اضطراب قليل الانتساخ بين اللغات الأوربية ذاتها لتطور عملية التعبير اللسانية phonetic representation فيها ، وتقنين ذلك من خلال قواعد وأنشطة **الجمعية اللسانية الدولية** (جلد) :

International phonetic Association

وصدور الأعمال الاستنادية الكثيرة في أوربا بأسماء الأعلام ، والأماكن ، والتقنيات ، والعناصر ... ، ويلفت انتباهنا هذا الوضع إلى ضرورة توحيد قواعد وممارسات الانتساخ بالعربية ومنها ، والعمل في ضوء ذلك على وضع أعمال استنادية بأسماء الأعلام والأماكن والتراثيات ... العربية .

٣ ــ اختلاف ممارسات المؤسسات والأفراد على نطاق محلي ووطني وقومي ودولي في تنفيذ الانتساخ ، ويساعد في خلق واستمرار هذا الوضع غياب التقعيد لهذه الممارسة ، وخلو أكثر المجلات العربية والأجنبية المتخصصة من ذكر لأية قواعد انتساخية ، وكذا الوضع بالنسبة لأكثر مؤسسات البحث والدراسات اللغوية والعربية والإسلامية ، وميل الكاتب العربي بوجه عام للانتساخ الارتجالي دون التزام بالتقيد بالمعايير ذات العلاقة حتى في نطاق المؤسسة الواحدة ؛ فعلى سبيل المثال ، نرى أن مترجمي وواضعي الكتب التي أصدرتها إدارة التوثيق والمعلومات لم يلتزموا بقواعد الانتساخ المنشورة في **قاف ٢** سنة ١٩٨٣ المترجمة للعربية والتي تبنتها إدارة التوثيق والمعلومات في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وخرقها واضح في أماكن كثيرة من كتب **التقنيات الدولية للوصف البيليوجرافي** ومحتويات مقالات **مجلة المعلومات العربية** الصادرة إلى الآن عن الإدارة المذكورة نفسها ، بل إن معد ترجمة **قاف ٢** عينه لم يلتزم بقواعد الانتساخ الواردة في ترجمته في حالات غير قليلة !!!

٤ ــ الحروف المحذوفة : لعله من المتفق عليه بين أكثرية المتخصصين المعنيين بقضية الانتساخ أن انتساخ **الأصل** كاملاً محبَّذ ، لكن الأصل قد يدوّن بالعربية وقد حذفت منه حروف معينة في بعض السياقات ، كحذف الألف من كلمة [ابن] لدى توسطها بين الولد والوالد ، مثلاً : عبد الله بن عمر ، والذي يعقد المشكلة بالنسبة لهذه الكلمة (ابن) أنها تلفظ بطرائق متباينة في الأقطار العربية بغض النظر عن وجود الألف أو حذفها حيث تنطق بِنْ في المغرب العربي ابن في اليمن الشمالي .

وتوصل كتابةً بما يليها في أحايين كثيرة في أقطار المغرب العربي ، مثلاً بْنَعَمَّار ، بِنْسليمان . بيد أن الكلمة ترد دائماً منفصلة في كتابات المشرق العربي ، وهذا الوضع مربك لو جرى انتساخ الكلمة بإحدى اللغات الأوربية .

٥ ــ تتفاوت اللغات المختلفة في عدد حروف هجائياتها ، وفي نُطق عدد منها ، وقد أشير آنفاً لتباين نطق W, V بين الإنجليزية والألمانية على الرغم من أنهما يستخدمان الحرف اللاتيني ذاته في التدوين ، وعلى الرغم من تبعيتهما لعائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات الجرمانية .

وحرف [كَـ] بالفارسية ينطق على نحو مغاير لنطق الحرف [كـ] بالعربية ، فالأول يقابل في النطق الجيم المصرية ، والثاني يقابل في النطق [K] بالإنجليزية .

ومؤشر انتساخ الحروف حتى لو تشابهت بين لغتين أو أكثر نطقها ، فلا ينبرينّ بعدُ لانتساخ لغة قوم إلا عارفها ، وتخلو بعض اللغات من حروف في لغات أخرى ؛ مثلاً ليس في العربية ما يقابل صوت الحرف [v] - [g] - [z] بالإنجليزية كما في pleasure - good - vice .

ومن هنا طرح البعض ابتداعات تدخل على الحروف العربية لتقابل أصوات هذه الحروف ، مثلاً :

اقترح بعض المشارقة ف ليقابل [V]

واقترح بعض المغاربة ق ليقابل [g] ، واقترح غيرهم [كَـ] ولم تلق هذه الابتداعات استجابة مرضية وكافية حفاظاً على نقاء الحرف العربي كما نزل به كتاب الله العزيز ، واقتناعاً من أن غياب هذه الأصوات لا يعيب ولا يذيم العربية ؛ بالإضافة إلى ذلك ، فإن الآلات الراقنة **ومحارف** الحاسبات العربية keyboards تخلو من هذه الابتداعات التي تؤول بالكتابة العربية إلى التعقيد عوضاً عن التبسيط ، وأحسب أن جمهرة اللغويين لا تُقبل على استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير !

ونرفق فيما يلي جدولاً بالأصوات اللغوية غير المستخدمة في العربية الفصحى .

الأصوات اللغوية غير المستخدمة في العربية الفصحى

اللغة / الرمز الصوتي	p	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	p	ch	sh	[illegible]	[illegible]
[illegible]	p	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
التركية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الحروف العربية المقترحة	پ	چ	ژ	[illegible]	ڤ

٦ ــ الحروف المقلوبة : ترد في الكلمات حروف مقلوبة أو مُبْدلة عن حروف مختلفة أُخرى ، ففي العربية اتّصال مصدر وصل وقبل إبدال واو المصدر الأصلي تاءً كان شكل الكلمة : اوتصال ، وكذا الحال مع المصدر اتّجاه ، وفي الإنجليزية أُبدل الحرف [b] describe ← بالحرف [P] ← description ويأُخذ المنتسِخ بمعالجة الحرف حسب وقوعه في الكلمة أو السياق ونطقه فيها .

٧ ــ الإدغام : وتتفاوت حالاته وصوره بين اللغات ، ومن قبيل حالاته بالإنجليزية ما يطرأ في المزْجيات : Dighthongs مثل [ai, ei] التي يُدغم فيها حرفا علة لينبثق عن الإدغام صوت واحد ، وأُدغم وآدَّغم الحرفَ في الحرف أدخله فيه ، وبالعربية كمثال آخر أوضح ترد حالات الإدغام كثيراً ، ولها اعتبار قوي ومراعاة دقيقة وبخاصة في حقل القراءات ، والرأي أن انتساخ النص العربي بدقة وأمانة يقتضي اعتبار الإدغام ، بيد أُن تدبّر انتساخ الحروف القابلة لإرجاء الإدغام في مواطن الوقف في الجمل أو العبارات العربية أمر ذو بال ، ومن المتعذر في الغالب إغفال الانتساخ لحالات الإدغام الطارئة في الكلمة الواحدة ، كما في الصوت [ط] المتمخض عن إدغام [ضـ]. + [ط] في اضطرّ ، اضطلع .

٨ ــ التضعيف : تضعيف الحرف وارد في شتى مفردات لغات العالم ، غير أن حالاته غير متشاكلة فيما بينها ، فلغات العالم ليست في ذلك صوْغ ، ففي اللغة الإنجليزية لا تتمخص مضاعفة الحرف t في cutting مَصدَر الفعل cut عن أي تغيير في نطقه ، حيث إن التمثيل الصوتي للحرف يبقى واحداً في كلتا الحالتين cutting, cut ، وكذا الحال في تضعيف الحرف l في Allen .

ولو أردنا أن ننظر في مثال آخر بالإنجليزية مثل Narration لوجدنا أن التضعيف هنا أخذ شكلاً أعمق في النطق ، لكن التمثيل الصوتي هنا أيضاً لكلا الحرفين يبقى [r] بالرغم من تباين بُعْدَي نطق rr في Narràtion بالمقارنة مع Nárrative ، وهذا التباين لم يتلج من تضعيف r في الكلمتين ، ولكن من انتقال الشدة accent or stress من المقطع الأول في Nàrrative إلى المقطع الثاني في Narràtionوبذا ينبغي على المنتسخ اعتبار الشدّة والتضعيف في سياقات الجملة أو العبارة الإنجليزية ، وبالعربية يأخذ التضعيف وضعاً كثيفاً في كلمات كاثرة مثل دقّ ، ذُرَّاح ، زُمَّت ، خُطّاف ... ، وحالاته متنوعة ، ومثيرة في الوقت نفسه لمشكلات متصلة بتمثيل الحرف الذي اعتوره التضعيف أو التشديد ، الذي قد ينجم أحياناً عن حالات الإدغام ، كما في :

أن لا ← ألّا

عن ما ← عمّا

٩ ــ الترسيس(٢٣) : وقد أطلق عليه البعض «التأثيل» ، من أَثَل أثولاً إذا تأصَّل وقَدُم ، وأثّل الشيء أي أصَّلَهُ ، وتأثّل تعني تأصّل ، والأَثْلَة هي الأَصْل ، وأما الترسيس فمن الفعل رسَّ بمعنى ثبت وقَدُم ، والرّس أي البدء ، ورسُّ الشيء هو أوَّله(٢٤) وبذا فالمصطلحان يفيدان المعنى نفسه ، واشتُقّا ليطلقا على ظاهرة لسانية هامة وهي «الرجوع لأصل اللفظ في بدائيته مروراً بتطوراته» ، وقد ضُرِب مثلاً الكلمة اللاتينية ripa ومنها الكلمة الفرنسية القديمة **rivier** حيث ردت إلى **رسّه** وتقابلها كلمة **ريف** ، **وكانت تعني الأرض القريبة من الماء** ، **ثم كانت كلمة rio** الإسبانية المقابلة للكلمة الإيطالية أيضاً **riviera** وهنا توسعت دلالة الكلمة مع مرور الوقت ، وتطور معنى **ريف** ليعني الأرض المزروعة الخصبة(٢٥) ، وكذا قد يكون الحال مع كلمة **earth** الإنجليزية و erde الألمانية والأصل العربي **أرض** ، فالإلمام بأصل الكلمة واستخدامه مفضل على انتساخه على جد أمر . وقد تكون دراسات علماء اللسانيات ، وأبحاث الترسيس ، وإسهامات المكتب العربي لتنسيق التعريب بالرباط وبدايات جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة المنشورة في الجزء الأول من **المعجم الكبير** الذي لم يُر بعده ثانٍ عوناً لنا في تتبع أصول الكلمات قبل انتساخها على نحو سُراع ، بل في تنقية اللغة العربية ما أمكن من حُسافها من الألفاظ الأجنبية المتكاثرة التي بلغت حتى منتصف القرن الماضي ما يزيد عن خمسمائة وألفي لفظه(٢٦).

١٠ ــ بين تطابق الانتساخ وتقاربه من الأصل :

لم يلجأ العرب منذ القديم إلى التطابق المسرف ولا إلى الخصْر المجحف في انتساخ الألفاظ الأعجمية ، بل كانوا بين ذلك قواماً ، يسبكون من اللفظ ما تيسر وسلس ، حاذفين منه ما ثقل من الحروف والحركات ، ومضيفين إليه ما يفضي إلى يُسر نطقه وسهولة استخدامه ، ومبدّلين ومغيِّرين في اللفظ بما يناسب اللسان العربي ، ويلحظ هنا على سبيل المثال في انتساخهم لاسم **"Plato"** باللفظة العربية **أفلاطون** ، التي يُلاحَظ أنهم فيها قد غيروا P إلى ف ، وزادو الألف والنون ، وغدت الألف المُمالة في "plate" ألفاً ممدودة في اللفظة العربية ؛ وأما في "Aristotle" فقد انتسخوا الاسم باللفظة العربية «أرسطو» ، وهنا مارسوا الخصر والتبسيط والتيسير في النطق والكتابة للاسم ، ولنا بعدُ فيهم أسوة حسنة في تنفيذنا للانتساخ .

١١ ــ الاعتبارات الدينية والقومية والنفسية ... : لا تُغفل هذه الاعتبارات في عملية الانتساخ ، ومن الأمثلة الموضحة لها ما ساقه لنا عبد الله يوسف علي صاحب ترجمة معاني القرآن الكريم الشهيرة التي نشرتها بالإنجليزية **رابطة العالم الإسلامي** في مكة المكرمة سنة ١٣٨٤/١٩٦٥ ، في معرض معالجته لنظام الانتساخ لحروف العربية بالحرف اللاتيني ، حيث ذكر أنه انتسخ اللفظ العربي الإسلامي لاسم **إسماعيل** عليه السلام **وهاجر** ... متحاشياً الألفاظ الأجنبية ، باستخدام ...,Isma'il, Hajar عوضاً عن ...,Ishmael, Hager التي تتضمن وتتشرَّب صيغها الأوربية هذه مضامين الضّعة والشّزر في الوقت نفسه الذي تمثل فيه هذه الأسماء أشخاصاً يحمل لهم المسلمون كل مشاعر التوقير والتبجيل .

٢٧ ــ بين الوقف والوصل والتحريك :

تثير هذه القضايا وتباين طرائق معالجتها اضطراباً وتغايراً في الانتساخ لكثير من الحروف كالها والتاء المربوطة والتنوين في استمرار السياق ...، وإن تقرير قواعد استنادية تحكم معالجة هذه القضايا ضروري لتقنين الانتساخ ، ومن قبيل تنوع أو تعدد أشكال الانتساخ ما يجري في الكلمات التالية إذا وردت في آخر السياق :

سورة :	Sura	+	Surah
هجرة :	Hijra	+	Hijrah
فاتحة :	Fatiha	+	Fatihah
فاطمة :	Fatima	+	Fatimah

وإذا ما وردت في بداية السياق أو خلاله تباين نطقها بالعربية فنقول مثلاً :

جاءَت **فاطمةُ** الطفل

إنّ **فاطمةَ** الطفل

من **فاطمةِ** للطفل

وهي **فاطمةٌ** للطفل

ومن ثم يترتب على أشكال تدوين ونطق **فاطمة** هنا تغاير أشكال انتساخها Fatimatu, Fatimata, Fatimatin, Fatimatun .

١٣ ــ ألـ التعريف بالعربية :

(أ) تثير أل التعريف إشكالات كثيرة أمام المنتسخ لتباين صور نطقها وتحويرها وفق موقعها في الكلمة أو السياق ، وتحكم ورود **أل** التعريف مع الحروف قاعدتان أساسيتان :

القاعدة الأولى : تختفي لام التعريف وتشدّد مع الحروف الشمسيَّة ؛ فتقول : الشّمس ، السّواني ... Asswani, Ash Shams فهنا تدغم اللام في الحرف الشمسي وتصير من جنسه فيضعّف ، وتضم الحروف الشمسية : ت ، ث ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ل ، ن .

القاعدة الثانية : تظهر أل التعريف وتُخفّف مع الحروف القمرية ، فتقول القمر ، البازي Al Bazi, Al Qamar

وتضم الحروف القمرية : أ ، ب ، ج ، ح ، خ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، م ، ه ، و ، ي

(ب) ويجري تشكيل ونطق أل بالوصل والفتح والضم والكسر

نطق أل	الكلمة	انتساخ ألـ مع الحرف المتقدم مباشرة
موصولة مفتوحة	طيرُ آلبيدق	- ral
مفتوحة	ألقادِمَ	- al
موصولة مضمومة	أبو العزايم	- bul
موصولة مكسورة	بشجرة الخوخ	- tel

(ج) وتتباين أساليب انتساخ ألـ كثيراً في الممارسات الأوربية .

ــ فمنهم من يمارس تسجيلها على نحو ثابت تقريباً بشخصيتها الحقيقية أي : ألـ = al

ــ ومنهم من يشكلها دون أن يصلها من غير اعتبار لما بعدها فترد قبل الكلمة هكذا ألـ ، إل ، أُل = al, el, ul

ــ ومنهم من يمارس الإدغام **لألـ** التعريف باعتبارها ما بعدها ، فيكتبون مثلاً الدامور : Ad-Damour

ــ والغالبية تتراوح بين هذه الخيارات جميعاً بخيرة أو لجهل بأحوال هذه الأداة .

(د) كما أن ورود **أل** التعريف في الأعلام بالذات يثير مسألة استخدام الأشكال الكبيرة capital أو الصغيرة small من الحروف بعدها مباشرة بغض النظر عن وصلها ونطقها ، مثلاً

al Baghdadi,
ibn el Mughirah

(هـ) ويُتبِعها البعض بشرطة ، ويغفل ذلك بعض آخر

al - Baqillani
al Mas'udi

(و) ويتعامل البعض دون تمييز أو اعتبار لأمور العقيدة الإسلامية وما يتوائم معها في إثبات وإبقاء وتدوين **ألـ** في أسماء الله الحسنى ... الواردة في القرآن الكريم ، مثلاً : البارىء ، الخالق ، المصور ، الله ، الرؤوف ...

ــ وتبقى **ألـ** في هذه الأسماء الحسنى سواء وردت مباشرة ، أو في سياقات الأسماء المعبَّدة ، مثلاً :

عبد الكريم ، عبد السميع ، عبد الرحيم ... والرأيُ أن تُنتسخ **أل** التعريف في ألفاظ الجلالة مبدوءة بحرف كبير ، مثلاً Allàh, Al Bàri ولا نوافق محمد خان في استخدامه هذه الصيغ لألفاظ الجلالة في ترجمته **لصحيح البخاري** للإنجليزية :

... (سمع الله) sami 'a-l-lāhu ، (رسول الله) Rasūlul - lāh ، (بالله) billāh

(ز) والذي يُفسِدُ انتساخَ ألـ التعريف الجهلُ بالعربية وقواعدها والخلط بين ألـ التعريف وأل الأصلية في بعض الكلمات ؛ على سبيل المثال يتصرف البعضُ بوجود وتسجيل أل في كلمة الألماس حيث يكتبونها الماس al-Mas علماً بأن **أل** في كلمة ألماس أصلية .

(٤) أما الحالة التالية فمتصلة بما سبق ، حيث إن أل قد تدخل على الفعل المضارع وتكون موصولةً مفيدةً معنى القابلية ،

مثل : اليُناب القابل للنوبان

اليؤْكل القابل للأكل

هنا لا تُنتسخُ ألـ منفصلةً عن الكلمة لأنها أصبحت جزءاً منها .

(ط) ونعامل أل على هذا النحو متصلةً في الأسماء الموصولة لدى انتساخها ، ومن هذه الأسماء مثلاً الذي ، الذين ، التي ، اللائي ، اللتان ، اللتين ، اللذان ، اللاتي .

و ــ الانتساخ التطبيقي :

نعرض في الفقرة التالية لتطبيقات الانتساخ في مصادر مختارة تحرّى الكاتب أن تكون لأعمال مؤسسات أو ناشرين أو مؤلفين عرفوا بإسهاماتهم المتصلة بأوجه الموضوع الذي تبحثه هذه المقالة ، وقد جُنْوِلت بيانات المقارنة بين ممارسات الانتساخ المتعددة وطرائقه وحالاته في المصادر المدروسة ، وتكشف نتائج المقارنة للناظر بإمعان وروية في جداول انتساخ الحروف الصحيحة ، والحركات وحروف العلة والمزجيات التقاء ممارسات الانتساخ حول طرائق وحالات انتساخ غالبية الحروف الصحيحة ما خلا الحروف : ق ، ط ، غ ، ل ، ج ، الهمزة ، ويثير انتساخ حرف s وبخاصة إذا وقع بين حرفي علة الصعوبات أمام بعض المنتسخين ، لأن حرف s في حقيقته غير صوتي voiceless ، فإذا وقع في السياق الإنجليزي بين حرفي علة أصبح صائِتاً voiced ، مثلاً حسن قد تُنتسخ هكذا : hassan لأنها لو انتُسخت Hasan دون تضعيف حرف s لورود س غير مشددة في الأصل العربي لنُطق حرف s بصوت z ، لوقوع s في Hasan بين حرفي علة ، وقد اعتمدَتْ جمعية المكتبات الأردنية لهذا السبب انتساخ س في عنوان مجلتها **رسالة المكتبة** بـ ss بحيث تكون الكلمة بالإنجليزية Rissalat ولو كتبت risalat خشينا من قراءتها هكذا : رزالة ، وفي ذلك إفساد وتشويه للفظ والمضمون .

وحروف العلة بالعربية ثلاثة في مصادر اللغة العربية هي : الألف والواو والياء ، وتكون ممدودة إذا تقدمتها حركة تناسبها ، وهناك في اللغة الإنجليزية كما سبق أن أومي أصوات انبلجت من إدغام حرفي علة ليتمخض صوت يمزج بينهما مثل ... au, ai وتسمى هذه الأصوات اللغوية المزجيَّات Diphthongs ، وتتفق ممارسات الانتساخ الإنجليزية في وجود مقابلين فحسب منها في اللغة العربية هي [au] ، كما في صَوْغ ، [ai] كما في زَيْغ ، على أنه يوجد غيرها مثل [iy] في أُلِيةٌ ، [uw] في بنوة ، [ɔh] كما في إيِه ، [ei] كما في اللفظة العامية الهجيني .

وتذكر مصادر الانتساخ الأصوات اللغوية التالية لحروف العلة العربية : [ā] كما في حارّ ، [ī] كما في تين ، [ū] كما في حوت وتحصر ممارسات الانتساخ بها ، ولكن اللغة العربية غنية بالأصوات اللغوية الأخرى ، فبالإضافة لصوت الألف المفخَّمة أي [ā] ، هناك صوت الألف المرققة [æ] كما في البيات ، والألف الممالة التي يعرض لها الباحث في علم القراءات وتأخذ بها مدارس القراءات المتبعة لجُدَّة حمزة والكسائي في نطقها ، كنطق الألف في ﴿أَلْهَكُمُ التكاثُر﴾ ويرمز لغوياً للألف الممالة [ē] ، ناهيك عن كثافة النطق بها في اللهجات العربية

العامية المتواترة في بلاد الشام ، وبخاصة عند كثير من مواطني لبنان وسوريا وفلسطين بما لا يسمح هذا المقام بالتفصيل فيه ؛ ولا يُفرِّق الأجانب في انتساخ و العربية ، فنحن ننطق و في توت على نحو مغاير لنطقنا إياها في ببليوجرافيا ونوفل ، فالصوت يرمز له [ū] كما في [sūt] : suit في الكلمة الأولى ، وفي الكلمتين التاليتين يُرمز لصوت الواو [ō] كما في [mōd] :mode .

وحروف العربية لغة القرآن الكريم لم يقتصر استخدامها في أقطار وطننا العربي ؛ إنما سادت وانتشرت مع الفتوحات وانتشار الحضارة العربية الإسلامية إلى أصقاع شتى في آسيا وأفريقيا ، ويشير مؤلف : **تاريخ الكتاب الإسلامي** إلى هذه اللهجات التي استخدمت :

١ ــ اللغات التركية وتشمل الطورانية ، التركية العثمانية ، التترية ، القرمية ، التركية الداغستانية .

٢ ــ اللغات الهندية : وتشمل الأوردية الهندستانية ، الأوردية ، الكشميرية .

٣ ــ اللغات الفارسية : وتشمل الفارسية ، الكردية ، والأفغانية في إيران وأفغانستان .

٤ ــ اللغات الأفريقية وتشمل : البربرية الشلحية والقبائلية ، اللغة النوبية ، السواحيلية ، الحوسيّة ، الملجاشية ، الحبشية[٢٧] .

٥ ــ بالإضافة للغات الآسيوية في الأقطار الإسلامية التي احتلها الروس كالأوزبكية ، القرغيزية ... وتقلّص استخدام الحروف العربية مع تقلص القوة العسكرية والسياسية للعالم العربي الإسلامي ، وبسبب النفوذ الأوربي وجهوده في تدعيم «رومنة» «وسلفنة»* اللغات الأخرى ، وأفظع وأخطر طرْءٍ لساني في هذا المجال ما عمد إليه الروس في تقرير حروف الروسية بديلاً عن العربية في الأقطار الآسيوية الإسلامية التي أدخلت في «الاتحاد السوفياتي» ، واستخدام الحروف اللاتينية عوضاً عن العربية في اللغة التركية بعد استيلاء أتاتورك وزمرته على الحكم في تركيا ، مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير !!! إن استخدام الحرف العربي الباقي في لغات أخرى كالفارسية والأوردية بالإضافة لحياته المدونة السابقة في اللغات التي تحولت عن استخدامه كالتركية قد جعله يتشرَّب تأثيرات لسانية أُضفت عليه في الأقطار المعنية زيادات ليوائم الحاجة إلى التعبير عن الأصوات اللغوية غير الموجودة أصلاً بالعربية ، وهي زيادات لسانية دعَّم من وضعها التماس الحضاري مع أوربا والنقل المتبادل بين لغاتها والعربية ، ومنها :

پ	مقابل	[p]	كما في	put
چ	مقابل	[tʃ]	كما في	chat
ژ	مقابل	[ž]	كما في	pleasure
گ	مقابل	[g]	كما في	go
ڤ	مقابل	[v]	كما في	Ever

والجداول التالية تقارن هذه الأصوات اللغوية بين مجموعة من اللغات ووضع العربية بينها . وقد استخلص الكاتب بيانات المقارنة بشكلها الميسر التالي من بيانات الانتساخ وقواعده المعتمدة في **المجلة الدولية للدراسات الشرقأوسطية الأمريكية**[٢٨] .

انتساخ الحروف العربية

الحروف	گ	چ	ء	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
British Museum Catalogue of Arabic Books (٢٩)				b	t	th	j	ḣ	kh	d	ḏ	r	z	s	sh	ṡ	ḍ	ṫ	ẓ	ʻ	gh	f	k̇	k	l	m	n	h	w (u)	y (i)
International Journal of Islami and Arabic Studies (٣٠)				b	t	th	j	h	kh	d	dh	r	z	s	sh	ṣ	ḍ	ṭ	ẓ	.	gh	f	q	k	l	m	n	h	w	y
Muslim World League Pub. Tralslation of the Meanings of Holy Quran (٣١)				b	t	th	j	h	kh	d	ẓ	r	z	s	sh	ṣ	dh	ṭ	ẓ	'	g	f	q	k	l	m	n	h	w	y
The Encyclopedia of Islam (٣٢)				b	t	th	dj	h	kh	d	th	r	z	s	sh	s	ḍ	ṭ	z	'	gh	f	k	k	l	m	n	h	w	y
Arabic Linguistic (Mansell) (٣٣)	g	č ch	?	b		th		ḥ	kh ch	d	dh	r	z	s	sh š	ṣ	ḍ	ṭ	ẓ	ʕ,	gh g	f	9	k	l	m	n	h	w	y j

انتساخ الحروف العربية

الحروف	گ	چ	ء	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ى
صحيح البخاري (٣٤)			a"	b	t	th	j	ḥ	kh	d	dh	r	z	s	sh	ṣ	ḍ	ṭ	ẓ	a'	gh	f	q	k	l	m	n	h	w	y
A Near East Studies Handbook (٣٥)			ʿ	b	t	th	dj	ḥ	kh	d	dh	r	s	s	sh	ṣ	ḍ	ṭ	ẓ	ʿ			ḳ	.	تدغم بما بعدها	m	n	h	w	y
Arab World (٣٦)			a i	b p	t		j	h	kh	d		r	z	s ss	sh	s		t	z	i a	g	f	k	k	l	m	n	h hh	w	y
International Journal of the Middle East. (٣٧)			a	b	t	th	j	ḥ	kh	d	dh	r	z	s	sh	ṣ	ḍ	ṭ	ẓ	ʿ	gh	f	q	k	l	m	n	h	w	y
المنجد في اللغة والاعلام (٣٨)			a	b	t	t	j ĝ	ḥ	ḥ	d	d̲	r	z	s	ṡ	ṣ	ḍ		ẓ	ʿ	ḡ	f	q	k	l	m	n	h	u	y ī

انتساخ الحركات وأحرف العلة والمزجيات

	الفتحة	الكسرة	الضمة	الواو الممدودة	الالف الممدودة	الياء الممدودة	الضمة والواو	الكسرة والياء	الضمة والواو في المقاطع المفتوحة	الكسرة والياء في المقاطع المفتوحة	الضمة والواو آخر المقطع	الكسرة والياء آخر المقطع	الفتحة والياء	الفتحة والواو				
British Museum catalogue of Arabic books	a	i	u		ā		ū	ī	uw	iy	u	i						
Internatiohal Journal of Islamic and Arabic Studies	a	i	u		ā		ū	ī					ay	aw				
Muslim World league Pub. Translation of the Meanings of Holy Quran	a	i	u	ū				i					ai	aw				
The Encyclopaedia of Islam (Brill)				ū	ā	ī							ai	aw				
Arabic Linguistics (Mansell)		a	i	ū	a : ā	i: ī												

انتســـــاخ الحركات وأحرف العلة والمزجيات

	الفتحة	الكسرة	الضمة	الواو الممدودة	الألف الممدودة	الياء الممدودة	الضمة والواو	الكسرة والياء	الضمة والواو في المقاطع المفتوحة	الكسرة والياء في المقاطع المفتوحة	الضمة والواو آخر المقطع	الكسرة والياء آخر المقطع	الفتحة والياء	الفتحة والواو
صحيح البخـــــاري	a		u	ū	ā	ī								
Near East Studies Handbook	'a	i	'u	ū	ā	ī								
Arab World	a	e i	u	u ou	a	ee								
International Journal of Middle East Studies	-a	-i	-u	ū	ā	ī					uww ū	iyy ī	ai or ay	au or aw

وخلاصة القول أن الانتساخ عملية اتصال لغوية حضارية مهمة ، ومن الأجدى تقنين ممارسته والإعلام عن القواعد التي تضبط وتحسن القيام به ، على أن يشرك في وضع هذه القواعد متخصصون من شتى الموضوعات بالإضافة لمتخصصي اللغة واللسانيات والمكتبات والمعلومات الذين يمثلون قوام أية هيئة تتصدى لهذه المهمة ، وأن يستفاد من الجهود السابقة المبذولة لتقنين الانتساخ كالتي تعرضت لها المقالة ، وتبقى قضية التزام المؤسسات العربية المعنية بالموضوع كمجامع اللغة والمؤلفين متطلباً جوهرياً لتوحيد منهج الانتساخ في وطننا العربي ، ومتابعة مسيرة الانتساخ لتلمس أي ثغرة فيه أو تطوير أي جانب منه على ضوء المعطيات اللسانية والحضارية عامة .

الهوامش

١ ــ **المعجم الوسيط** .ــ القاهرة : مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٠ ، ج ٢ ، ص ٩١٧ .

٢ ــ محمد المنجي الصيادي . **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي** . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠ . ص ٥٨ .

٣ ــ منير بعلبكي . **المورد ، ط ١٥** . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١ ، ص ٩٨٥ .

٤ ــ "Translation" in **Encylopedia of library & Information science**. New York: M. Dekker 1981. vol. 31. 134.

٥ ــ **قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية** ، ط ٢ ، تحرير ميشيل جورمان ، وبول ونكلر ترجمة محمود أحمد أتيم ، مراجعة محمود الأخرس . عمان : جمعية المكتبات الأردنية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣ .

٦ ــ منير بعلبكي . **المرجع المذكور** ، ص ٩٨٥ .

٧ ــ انظر «الكرشنة» و «الكرشوني» في :
المنجد ، ط ٢١ . بيروت : دار المشرق ، ١٩٧٣ ، ص ٦٨١ .

٨ ــ القرائح جمع قريحة ، والقريحة أول الشيء وباكورته ، ويقترحها الكاتب لبواكير أو أوائل المطبوعات لمعناها السابق ، ولتفضيل اللغويين العرب استخدام كلمة واحدة ما أمكن للتعبير عن مفهوم معين .

٩ ــ انظر «الطباعة» في **الموسوعة العربية الميسرة** . [**القاهرة : دار القلم ومؤسسة فرانكلين ، ١٩٥٩ ، ص ١٥٢**] .

١٠ ــ انظر Romanization في : منير البعلبكي ، المرجع المذكور ، ص ص ٥١٥ ، ٧٩٥ .
١١ ــ انظر "Linguistics" في : (جروان السابق . معجم اللغات . بيروت : دار السابق ، ١٩٧٤ ، ص ٧١٢) .

١٢ ــ للمزيد حول المعرّبات والمبنيات : انظر : أنطوان الدحداح . معجم قواعد اللغة العربية ... ، راجعه جورج متري عبد المسيح . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٠ .
١٣ ــ مجمع اللغة العربية . **المعجم الكبير** . القاهرة : دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص : ي ــ ك .
١٤ ــ "Transliteration of the Arabic system in the : **Second United Nations Conference on the Standardization of Geographical Names,** London 10-31 May 1972. NY: UN, 1972, vol. 11. p. 31, 170 (document E/Co NF. 61/4/Add. 1).
١٥ ــ مستخلص من : محمد المنجي الصيادي . **المرجع المذكور** ، ص ص ٥٩-٦٣ .
١٦ ــ قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية ، ط ٢ . **المرجع المذكور** ، ص ٨٧١-٨٧٧ .
١٧ ــ ضيغت القواعد بكلمات الكاتب مع المحافظة على المعنى بكل دقائقه .
١٨ ــ هونكه ، زيغريد . **شمس العرب تسطع على الغرب** : ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري . (بيروت): المكتب التجاري ، ١٩٦٤ ، ص ص ٨٩-٢٠٩ .
١٩ ــ يشير المترجم إلى انتساخ حروف اللغة الإنجليزية مع أن نظرته شاملة للحرف اللاتيني .
٢٠ ــ أورد مترجم (قاف ٢) أن الحرف C يلفظ : ك إذا لم يكن متبوعا بأي من الحروف التالية : y, i, e وفي الحالة الثانية يلفظ : س ، إلا في كلمة soccer فيلفظ : ك .
٢١ ــ أنطوان الدحداح . **معجم قواعد اللغة العربية** ، راجعه جورج متري عبد المسيح . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٢ ، ٢٣ .
٢٢ ــ المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .
٢٣ ــ انظر معالجة «الترسيس» عند : محمد المنجي الصيادي . **المرجع المذكور** ، ص ٤٦٤ .
٢٤ ــ **المعجم الوسيط** . المرجع المذكور . ص ص ٦ ، ٣٤٣ .
٢٥ ــ محمد المنجي الصيادي ، المرجع المذكور ، ص ٤٦٤ .
٢٦ ــ انظر الإشارة للدراسة الإحصائية لروفائيل نخلة للألفاظ الأجنبية في : **المرجع نفسه** ، ص ص ٤٦٠ ــ ٤٦٢ .
٢٧ ــ محمود عباس حمودة . **تاريخ الكتاب الإسلامي** . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، ص ٩٥ .
٢٨ ــ **International journal of Middle East studies**: vol. 3, No. 4 (oct. 1972), see, English transliteration system, on the preliminery page.
٢٩ ــ **Catalogue of Arabic books in the British Museum.** London: BM, 1967, vol. p. viii
٣٠ ــ **مجلة المعهد العربي للدراسات الإسلامية العربية** : مج ٣ ، ج ١ (١٩٨٦) انظر "Translation system table" على ظهر الغلاف الداخلي
٣١ ــ **Translation of the meanings of Holy Quran**/by Abdulla Yusuf Ali. Mecca: Muslim world league, 1984 (1969), pp x-xi وانظر "Translation of Arabic" words & names على ظهر الغلاف الداخلي .
٣٢ ــ **The Encyclopedia o Islam**, new ed. vol. 1. Leiden, London: Brill, Luzac, 1960, p. x iii انظر "List of transliterations" .
٣٣ ــ in: Bakalla, M. H. **Arabic linguisties.** London: Man-sell, 1983, p. xlivi
٣٤ ــ **The Translation of Sahih Al-Bukhari**: Arabic-English/by Muhammad M. Khan. New Delhi: Kitab Bhavan, pp x-xi
٣٥ ــ **A Near East studies handbook.** Seatle, Washigton: U Of Washington pr., 1974 pp. 3-5.
٣٦ ــ Mansoor, M. **Arab World political & diplomatic history** 1900-1967. Washington, D.C.: NCR, 1972, p. xiii
٣٧ ــ **International Journal of Middle East**: vol. 19, No. 2 (May 1987), see [English transliteration system] on back cover.
٣٨ ــ **المنجد** . ط ٢١ ، بيروت : دار المشرق ، ١٩٧٣ ، ص ص ١ ، ٦٢٣ .
٣٩ ــ مصدر البيانات : **الدليل العلمي لإعداد التسجيلات البيليوجرافية لنظام المعلومات**/إشراف محمود اتيم . تونس : منعت ، ١٩٨٨ .
٤٠ ــ المصدر : Aman, Mohammed M. use of Arabic in Computerized Information Interchange. Presented at the IFLA 49th Conference, Munich, W. Germany, 1983.
٤١ ــ مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية ١٩٨٥/إعداد لجنة خاصة مقررها أحمد سعيدان ، عمان : المجمع ، ١٩٨٥ ، ص ص ٥-١١١ .

قراءات إضافية :

1 - Akhtar , sayeed: "Arabization: no one has tackled it seriously yet", **Saudi Computerworlds**, 1 (3):March 1984.

2 - Aman, Mohammed M. "Use of Arabic in Computerized Information Interchange," **Journal of the American Society for Information Science**, 35 (4): July 1984, p. 205.

3 - Arab Standard Specification No. 449-1982: Data processing 7-Bit-Coded Arabic Character Set for Information Interchange. Amman, Jordan: Arab Organization for Standardization and Metrology (ASMO), 1982.

4 - Khalid, F.: "Automation in a Special Library in Kuwait," **Information Technology and Libraries**, 2 (4): Dec. 1983, p. 360.

ملحق (١) : الانتساخ من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية وفق قواعد (مدت ٢٣٣) ، و مقررات (معم) في : **إيجاد المقابلات العربية للألفاظ الأعجمية القواعد والمبادىء** . عمان : المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، ١٩٨٣ .

ء	(حسب الحركة للهمزة) a, e, i	ر	r	ف	f
ا	a	ز	z	ق	q
ب	b	س	s	ك	k
ت	t	ش	sh	ل	l
ث	th	ص	s	م	m
ج	j	ض	dh	ن	n
ح	h	ط	t	هـ	h
خ	kh	ظ	zh	و	(حسب اللفظ) o,ou,w
د	d	ع	'	ي	(حسب اللفظ) y, ee, i(٣٩)
ذ	th	غ	gh		

(مدت) : المنظمة الدولية للتقييس ، (معم) : المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس .

الحركات والتنوين

(يتبع ملحق ١)

َ	a
ِ	(حسب اللفظ) e, i
ُ	u, o
ً	an
ٌ	un
ٍ	in

المحارف الخاصة

ّ (الشدة)		يكرر الحرف
ال (القمرية)		(بحرف صغير) له
ال (الشمسية)	بتكرار الحرف المدغم أو غير المدغم الذي يسبقها	
	مثل	
	الشمس	ash-shams

ملاحظـة:

ينطبق هذا الجدول جزئياً مع ما جاء في المواصفة الدولية ايزو 233 وطريقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لنقل الحروف العربية إلى اللاتينية. أما الاختلاف فناتج عن إصرار هذين المصدرين على اعتماد حرف لاتيني واحد مقابل الحرف العربي الواحد، مما دعا الطريقتين إلى استعمال علامات نطقية تجعل مسألة إدخالها أو إخراجها بالنسبة لقاعدة المعلومات صعبة وغير ممكنة في بعض الحالات. فمثلاً:

ص	ṣ
ش	y
	s
غ	ǵ أو ḡ
ح	ḥ أو ḫ
خ	ḳ أو ḫ

ملحق (٢) : تعريب محارف الحاسبات «المواصفة العربية رقم ٤٤٩» وفيه تنطرح قضية انتساخ علامات الترقيم إلى العربية (٤٠)

Table 1

Basic Code Table
ASMO Standard Specification 449

b_7					0	0	0	0	1	1	1	1
b_6					0	0	1	1	0	0	1	1
b_5					0	1	0	1	0	1	0	1
b_4	b_3	b_2	b_1	column / row	0	1	2	3	4	5	6	7
0	0	0	0	0	NUL	TC (DLE)	SP	0	@	ذ	ـ	ـِ
0	0	0	1	1	TC (SOH)	DC	!	1	ء	ر	ف	ـّ
0	0	1	0	2	TC (STX)	DC	"	2	آ	ز	ق	ـْ
0	0	1	1	3	TC (ETX)	DC	#②	3	أ	س	ك	③
0	1	0	0	4	TC (EOT)	DC	¤②	4	ؤ	ش	ل	③
0	1	0	1	5	TC (ENQ)	TC (NAK)	%	5	إ	ص	م	③
0	1	1	0	6	TC (ACK)	TC (SYN)	&	6	ئ	ض	ن	③
0	1	1	1	7	BEL	TC (ETB)	'	7	ا	ط	ه	③
1	0	0	0	8	FE (BS)	CAN	)④	8	ب	ظ	و	③
1	0	0	1	9	FE (HT)	EM	(④	9	ة	ع	ى	③
1	0	1	0	10	FE① (LF)	SUB	*	:	ت	غ	ي	③
1	0	1	1	11	FE① (VT)	ESC	+	؛④	ث	]④	ـً	}④
1	1	0	0	12	FE① (FF)	IS (FS)	،①	ﻻ④	ج	\	ـٌ	|
1	1	0	1	13	FE① (CR)	IS (GS)	-	=	ح	[④	ـٍ	{④
1	1	1	0	14	SO	IS (RS)	.	<④	خ	^	ـَ	-
1	1	1	1	15	SI	IS (US)	/	؟④	د	_	ـُ	DEL

ملحق (٣)

انتساخ رموز العناصر الكيماوية : أمثلة توضيحية .

العدد الذري	العنصر	الرمز المصري	الرمز الأردني			
٨	اكسجين	أ	أ	O	oxygen	8
١٣	المنيوم	لو	لم	Al	aluminium	13
١٨	آرغون	جو	غو	Ar	argon	18
٤٩	إنديوم	ند	ند	In	indium	49
٥١	أنتيمون	نت	نت	Sb	antimony	51
٦٨	إيربيوم	ير	ير	Er	erbium	68
٧٦	(أزميوم) أسميوم	مز	سم	Os	Osmium	76
٧٧	إريديوم	مد	يد	Ir	iridium Ir	77
٨٥	استاتين	ست	ست	At	astatine	85
٨٩	اكتيتيوم	كت	كت	Ac	actinium	89
٩٥	امريشيوم	مر	مر	Am	americium	95
٩٩	انشتاينم	ين	نش	Es	einsteinum	99
٤	بيرليوم	بي	بي	Be	beryllium	4
٥	بورون	ب	ب	B	boron	5
١٩	بوتاسيوم	بو	بو	K	potassium	19
٣٥	بروم	بر	بر	Br	bromine	35
٤٦	بلاديوم	بلد	لد	Pd	palladium	46

ملحق (٤) انتساخ اشارات الاحصاء والرياضيات : امثلة توضيحيـــــــة .

اشـــارات التبايـــن

>	إشارة «أصغر من»: ٣< ٤	3 < 4
≥	إشارة «أصغر من أو يساوي»: أ≤ب يعني أ<ب او أ=ب	≤
≫	إشارة «أصغر من بكثير»: ٣≪ ١٠٠	≪
<	إشارة «أكبر من»: ٤> ٣	4 > 3

≼	إشارة «أكبر من أو يساوي»	≥
⋞	إشارة «أكبر من بكثير»	≫
⊁	إشارة «ليس أصغر من»: س⊀ ٥ يتضمن ان س≥ ٥	
⊀	إشارة «ليس أكبر من»	

إشارات المنطق الرياضي والتحليل العددي

~	إشارة نفي . مثلاً: ~ ن تعني «ليس ن»	~p» = «not p»
ـ	إشارة نفي أخرى	¬
∧	إشارة عطف، مثلا: ن ∧ ض تعني ن و ض	p∧q = p and q
∨	إشارة اختيار بمعنى «أو»، مثلاً ن ∨ ض تعني ن أو ض، أو كليهما	p∨q
⫤	إشارة تحصيل الحاصل	⊧
⊣	إشارة «مستنتج من»، مثلاً ن ⊣ ض تعني ن تنتج من ض	p⊣q
		إشارة إنكار بالخيار. ن | ض تعني ان ن أو ض (أحدهما) خطأ	p|q (٤١)



تدوين المخطوط العربي
في العصر العثماني
٩٢٢ - ١٢٢٥هـ

عدنان عبد الهادي
الرصيفة - الأردن

لعل هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي تُعطي المخطوط العربي في العصر العثماني سماته الحقيقية التي تميزه عن مخطوطات العصور السابقة . ومن خلال هذه السمات نستطيع أن نصل إلى نتائج توضح وتبين الطريقة العلمية والعملية التي اتبعها مؤلفو ونسّاخ هذه الفترة لإخراج المخطوط العربي وكتابته .

وتعتمد هذه الدراسة بشكل كبير على عينة عشوائية تم اختيارها بحيث تمثل قروناً وأماكن مختلفة في العصر العثماني ، إضافة إلى اعتمادها على بعض المراجع والمصادر الأساسية التي كتبت في هذا الموضوع .

وتجدر الإشارة هنا ــ قبل البدء في عرض طريقة النساخ العثمانيين في ترتيب وتنظيم وإخراج المخطوط ــ إلى أن بعض هؤلاء النساخ لم يلتزموا أحياناً بالطرق المقننة المتبعة في عصرهم ، فقد تجاوزوا كثيراً بعض تلك الأمور خاصة فيما يتعلق ببداية المخطوط ونهايته ، أو بطرق تصويب أخطاء النسخ ومقابلة النسخة بنسخ أخرى من المخطوط نفسه ، لذلك سوف نذكر عند الحديث عن كل جزء من أجزاء المخطوط الطريقة أو الطرق المثلى المقننة مع الإشارة قدر الإمكان إلى ما كان مختلفاً اختلافاً بيّناً وواضحاً عند بعض النساخ ، والمقارنة أيضاً بالطرق التي كانت متبعة قبل ذلك عبر عصور المخطوط العربي .

(١) صفحة العنوان :

كان من عادة النساخ عبر العصور المختلفة للمخطوط العربي أن يبدأوا الكتابة على ظهر الورقة الأولى للمخطوط التي يُرمز لها عادةً بالورقة (١ب) ويترك وجهها خالياً من الكتابة . ولعل السبب في ذلك يعود إلى حرصهم الشديد على المحافظة على المداد الذي يكتب به النص من أن تلمسه الأيدي مما يؤدي إلى تلفه لكثرة التداول ، إلى أن يتم تجليد المخطوط ، وللسبب نفسه كانت تترك أوراق عديدة في نهاية المخطوط لاستخدامها لغايات الحفظ والتجليد ، ويأتي من بعدهم من يستخدم تلك الأوراق في كتابة بعض الفوائد أو التملكات أو غيرها[١].

ووجه الورقة ــ الذي يرمز له عادة (١أ) ــ أخذ يستخدم بعد ذلك لكتابة عنوان الكتاب عليه ، ولم يكن الغرض من كتابة العنوان على هذه الصفحة مجرد التكرار له ــ وخاصة أن العنوان يذكر عادة في المقدمة ــ ولكن الغرض هو تسهيل الوصول إلى الكتاب لأول وهلة ، وهذا ما يفسر لنا وجود العنوان على حرف الكتاب وعلى كعبه . ومع مرور الزمن أصبح النساخ يفردون صفحة منفصلة تعد خصيصاً لكتابة عنوان المخطوط واسم مؤلفه ، بل إن بعضهم كان يتفنن في زخرفة صفحة العنوان باستخدام الأشكال الهندسية والنباتية ، وكتابة العنوان بخطوط غاية في الإتقان . وهذا يظهر بوضوح في مخطوط «الطراز للقاري» رقم (٢٣٣٤٠ ب) المحفوظ بدار الكتب القومية بمصر ، حيث قسم الناسخ صفحة العنوان ــ بعد جدولتها بالذهب ــ إلى مستطيلين ودائرة ، جعل في أعلى الصفحة مستطيلاً كتب فيه جزءاً من العنوان ، ودائرة في وسط المتن أكمل فيها العنوان وكتب جزءاً من اسم المؤلف ، أما المستطيل الأسفل فقد كتب فيه باقي اسم المؤلف مع ألفاظ الدعاء له ، وكل ذلك بخط ثلث جميل تحيط به الزخارف النباتية من جميع جوانبه .

ويأتي عنوان الكتاب على صفحة العنوان مختصراً أو مشاراً إليه بكلمات في معناه ، أو تدل على موضوع الكتاب إن كان شرحاً أو حاشيةً أو غير ذلك .

وكتابته مختصراً بهذه الطريقة أدى إلى اختلاف إيراده في كتب التراجم والفهارس ، وتزداد المشكلة تعقيداً إن لم يكن للكتاب عنوان في الأصل ، أي أن مؤلفه لم يذكر اسمه عندما ألفه ، كأن يكون الكتاب عبارة عن حواش وشروح كتبت على هوامش كتاب

مشهور ، ومن ثم جاء أحد التلاميذ وضمها في كتاب منفصل واضعاً لها اسماً يتفق مع موضوعها ، ويأتي من بعده النساخ ليخترعوا لها أسماء أخرى ، والأمالي كذلك مثلها مثل الحواشي ، فهي عدة مجالس يكتبها التلاميذ كل حسب فهمه وقدره من الذكاء واضعين لها أسماء للدلالة على موضوعاتها وعلى كاتبها وغير ذلك .

والمتعارف عليه في العصر العثماني والعصور السابقة أن يرد اسم الكتاب في صفحة العنوان حسب ما اشتهر بين الناس ، أو مختصراً إذا كان طويلاً ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن العنوان الأصلي قد ذكر في المكان المخصص له في المقدمة فلا داعي إذن لتكراره كما هو على صفحة العنوان ، هذا بالإضافة إلى رغبة النساخ في إعطاء فكرة سريعة للمطّلع على الكتاب عن موضوعه الذي لا يظهر — في كثير من الأحيان — في عناوين المخطوطات(٢)، وفي هذه الحالة يكتب الناسخ ما يدل على موضوع الكتاب إن كان شرحاً أو حاشيةً ، ويذكر اسم الكتاب الأصل (المشروح) واسم المؤلف(٣) لبيان مكانة الشرح والأصل بين الكتب الأخرى من الفن نفسه ، بل إن بعض النساخ قد يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيذكر إضافة إلى عنوان الكتاب الأصل اسم مؤلفه كاملاً مع ذكر تاريخ ومكان وفاته ، كما يتضح ذلك في مخطوط «كمامة الزهر» المحفوظ بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية تحت رقم (٢٤٧٧) .

وقد اتفق النساخ في هذه الفترة — العصر العثماني — على كتابة العنوان واسم المؤلف مسبوقاً بألقاب المدح وألقابه العلمية ، ومتبوعاً بالدعاء له في شكل يشبه المثلث المقلوب الرأس أو الدلتا (▽)(٤).

وإذن فإن الترتيب المقنن لصفحة العنوان المتعلق ببيانات التأليف يكون كالآتي :

عنوان الكتاب (سواء أكان العنوان الحقيقي أو المختصر أو ما يدل على موضوع الكتاب) ، وألقاب المؤلف العلمية وألقاب المدح ، ثم اسم المؤلف ، ثم عبارات الدعاء له . وإذا كان الكتاب شرحاً أو حاشية لكتاب آخر فإن الناسخ يذكر اسم الكتاب الأصل واسم مؤلفه ، كما هو الحال في صفحة عنوان مخطوط «فتح الجليل» .

وصفحة العنوان من المواضع التي تكثر فيها الفوائد والتملكات وغيرها ، وهناك قضية متصلة بالعنوان لابد من الإشارة إليها ، وهي أن هناك عدة أماكن يذكر فيها عنوان المخطوط مما يدل على مقدار الأهمية المعطاة للعنوان ، وذلك بغرض إعطائه هويته الحقيقية التي تميزه عن غيره ، وكذلك لسرعة الوصول إليه من قبل القراء . وهذه الأماكن هي :

أ — كعب الكتاب : وهي طريقة متأخرة قليلاً ، وعندما أصبحت الكتب توضع على الرفوف بشكل عمودي . في حين أنه كان يوضع على أحد أحرف الكتاب الأخرى عندما كانت الكتب ترص على الرفوف بشكل أفقي .

ب — على صفحة العنوان : وعادة ما يأتي مختصراً ودالاً على موضوع الكتاب ، ومتبوعاً باسم المؤلف .

جـ — في المقدمة : وهو المكان الطبيعي له ، الذي كان معروفاً منذ القرون الأولى لتدوين المخطوط وحتى العصر العثماني .

د — في رأس صفحة المقدمة : قد يكتبه الناسخ قبل أن يبدأ بكتابة الكتاب فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب (كذا) لفلان ... ومن ثم يبدأ الكتابة(٥).

هـ — في نهاية المخطوط : ووروده في هذا الموضع ليس شرطاً عند النساخ ، ولكن ذلك يعتبر إضافة من قبل الناسخ ، وتأتي العبارة عادة كالآتي : وقد كان الفراغ من كتابة كتاب (كذا) لفلان يوم (كذا) سنة (كذا) .

(٢) بداية المخطوط :

يبدأ المخطوط عادة بالبسملة متبوعة بمقدمة أو توطئة لموضوع الكتاب ، يشرح المؤلف من خلالها طريقة معالجته للموضوع ، والهدف من تأليفه لهذا الكتاب ، والمنهج العلمي الذي اتبعه خلال سرده لمعلوماته وترتيبه لأفكاره . والأمر الطبيعي في المخطوط العربي أن تكون المقدمة من صنع المؤلف نفسه لأنها تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الكتاب ، ومتصلة به كل الاتصال(٦) ولكنها في بعض الأحيان تكون من صنع غير المؤلف كأحد تلاميذه أو أحد النساخ(٧).

وظاهرة أخرى كثرت في هذا العصر ، وهي تقديم الناسخ للكتاب بسطر أو سطرين قبل البدء بالكتاب ، ويكون ذلك بأن يبدأ الناسخ الكتابة بالبسملة وبعض الأدعية ثم يكتب : «قال الشيخ أو قال المصنف» مقترناً اسمه بألقابه العلمية وألقاب المدح ، ومتبوعاً بالدعاء له إن كان حياً ، أو الترحم عليه إن كان ميتاً(٨).

ويعزز هذا ما ذكره العلموي (ت ٩٨١ هـ) في المسألة الرابعة من كتابه حيث يقول : «إذا نسخ [الناسخ] شيئاً من كتب العلم الشرعية ... يبتدىء كل كتاب بكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كان المصنف قد تركها كتابة فليكتبها هو ثم ليكتب قال الشيخ ، أو قال المصنف ، ثم يشرع في كتابة ما صنفه المصنف»(٩).

ونفهم من ذلك أن العلموي قد اشترط هذا التقديم من قبل الناسخ حتى يتميز ما كتبه المصنف الحقيقي للكتاب عمّا يضيفه الناسخ إليه ، وربما يكتفي بعض النساخ بذكر عنوان المخطوط وموضوعه واسم مؤلفه وألقاب المدح في رأس صفحة المقدمة كأن يقول : هذا كتاب (كذا) في علم (كذا) للعالم (فلان) ، ثم بعد مسافة سطر أو سطرين يبدأ كلام المصنف .

وقد نجد في كتاب واحد أكثر من تقديم ، ففي مخطوط «صفوة

الملح» رقم (٢٥٨٨٢ دار الكتب) على سبيل المثال نجد أولاً تقديماً كتب من قبل الناسخ يذكر فيه اسم الكتاب واسم مؤلفه وما يتبعه من ألقاب، ثم مقدمة شارح الكتاب، ثم تأتي مقدمة الكتاب الأصل.

ومهما يكن من أمر فإن المقدمة التي ترد بعد البسملة أو بعد كلام الناسخ تشتمل عادة على عدة أمور لا تكاد تحيد عنها في معظم مخطوطات هذا العصر وهي :

أ ـــ الحمدلة، والاستعانة بالله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، وتسمى هذه الأشياء البداية التقليدية للمخطوط أو «الديباجة»، فهي تتكرر في جميع المخطوطات مع اختلافات طفيفة في ألفاظها وطولها وقصرها.

ب ـــ الدوافع والأغراض والأسباب التي دعت المؤلف إلى تصنيفه كتابه، فإن كان الكتاب «مختصراً» ذكر المؤلف سبب اختصاره «كطول الشرح في الكتاب الأصل ورغبة منه في تبسيطه على المبتدئين والقاصرين»[١٠] وإن كان الكتاب شرحاً لكتاب مشهور ذكر الدوافع وراء شرحه هذا، كأن يكون «لتوضيح وشرح وتفسير ما غمض من الكتاب الأصل»[١١]. أما إذا كان الكتاب تأليفاً فإن المصنف يذكر الغرض من تأليفه، كأن يطلب منه أحد أعيان عصره أن يجمع بعض الطرائف في موضوع معين، أو أن هناك قضية كثر الاختلاف فيها وأراد المؤلف أن يحسمها، أو أن يكون المؤلف نابغاً في أحد المجالات العلمية أو الطبيعية فيكتشف نظرية أو اختراعاً يعرف الناس به للإفادة منه[١٢]، وغير ذلك.

جـ ـــ عنوان المخطوط : ويذكر عادة بعد كلمة «وسميته» ويميز بكتابته بلون مخالف للون مداد النص أو بوضع خط فوقه. ويسبق العنوان عادة كلمات متداولة متعارف عليها، فيقول المصنف مثلاً : بعد أن رأيت الحاجة ملحة إلى (كذا) رأيت أن أصنف كتاباً في علم (كذا) وسميته (كذا).

د ـــ قائمة المحتويات والفهرس : وتأتي هذه القائمة عادة في نهاية المقدمة ليبدأ المؤلف بعدها الدخول إلى موضوع كتابه نفسه، مبتدئاً بالترتيب الذي ذكره في هذه القائمة، ومع أن هذه الظاهرة ظلت متبعة في كثير من مخطوطات هذا العصر، إلا أنها اختلفت في مخطوطات أخرى، حيث يضع الناسخ قائمة منفصلة تأتي قبل المقدمة وبعد صفحة العنوان، أو على صفحة العنوان نفسها، وربما يضع النساخ تحت هذه المحتويات أرقام الصفحات التي وردت فيها، أو أن هذا الترقيم جاء متأخراً عن عصر المخطوط والناسخ.

وإذن فالمؤلف بعد أن كان يذكر اسم كتابه ويبين المنهج العلمي الذي اتبعه في ترتيب أفكاره ومعلوماته، يأتي على ذكر أسماء الأبواب والفصول التي قسم الكتاب من خلالها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض مؤلفي هذه الفترة كان يقسم كتابه إلى مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة (كالتقسيم الحالي للكتب) على اعتبار أن كل ما يذكره قبل ذلك يكون تقديماً أو تمهيداً للكتاب، وهذا ما نراه بشكل واضح في مخطوط «تحفة الزوار» رقم (٣٥٠١ الجامعة الأردنية).

(٣) عناوين الأبواب والفصول :

أخذت عناوين الأبواب والفصول تكتب بشكل واضح ومتميز عن المتن في مخطوطات هذا العصر، وقد اتبع النساخ في ذلك عدة طرق منها : كتابتها بخط مختلف عن خط المتن في النوع والحجم (كأن يكون بالبنط العريض) وغالباً ما كان يستخدم خط التعليق أو النستعليق، وأحياناً خط الثلث لهذا الغرض، أو تكتب في سطر منفصل مع ترك مسافة بين نهاية الفصل وبداية الآخر للدلالة على ابتداء فكرة جديدة، أو إحاطتها بمستطيل، أو أن يوضع فوقها خط تمييزها، أو أن تكتب تلك العناوين على هوامش المخطوط.

والطريقة المتبعة بكثرة في هذا العصر هي تمييز لون المداد الذي يكتب به العنوان عن لون مداد النص، وعادة ما يستخدم النساخ اللون الأحمر لهذا الغرض.

وفي المصاحف بالذات استخدم التذهيب بكثرة لكتابة أسماء السور وفواصل الآيات، وفي كتب التفسير كان اسم السورة التي يراد تفسيرها يكتب بخط مخالف في النوع والحجم، كأن يكون بخط الثلث مثلاً.

ولم تكن العناوين هي التي تميز بلون مخالف للون مداد النص فحسب، بل إن هناك بعض الكلمات اعتاد النساخ على كتابتها بالمداد الأحمر وهي (قيل، وقال، وقوله، وحدثنا، وغيرها) وهي الكلمات التي تسبق الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والروايات المنقولة لعلماء مشهورين، وعادة ما تكثر هذه الكلمات في كتب الشروح والحواشي. وفي بعض الأحيان يأتي متن الكتاب الأصل المشروح بالمداد الأحمر أو مميزاً بخطوط فوقه في جميع صفحات المخطوط[١٣].

ويشير العلموي كذلك إلى ضرورة تمييز كتابة عناوين الأبواب والفصول بلون مخالف للون المتن فيقول : «لا بأس من كتابة الأبواب والتراجم ونحو ذلك بالحمرة، فإنه أظهر للبيان في فواصل الكلام»[١٤].

(٤) الهوامش[١٥]:

ويطلق عليها أيضاً الحواشي، وهي المساحات البيضاء التي تترك حول المتن في صفحات المخطوط، وعادة ما تكون هذه المساحات متساوية في المخطوط الواحد، وذلك لتوازي بدايات ونهايات

السطور ، ولتساوي عددها في الصفحة الواحدة ، وتأتي هذه المساحات متناسبة مع حجم صفحات المخطوط ، فتتسع إذا زادت أحجامها ، وتضيق إذا صغرت .

ولتحقيق ذلك كان النساخ يراعون أن تكون رؤوس السطور وأواخرها على استقامة واحدة ، وليست هناك مشكلة في تسوية أوائلها لمقدرتهم على التحكم بها بسهولة ويسر ، حيث كانوا يبدأون السطر من المكان الذي بدأ منه السطر السابق نفسه ، وهكذا حتى تتم الصفحة ، أما نهاية السطور فقد كان النساخ يجدون صعوبة في تسويتها ، لأن السطر ربما ينتهي قبل أن تتم الكلمة الأخيرة منه ، أي قد تبقى مساحة صغيرة لا يمكن أن تتسع للكلمة المراد كتابتها فيها ، ولهذا فقد حاول نساخ هذه الفترة إضفاء لمسات جمالية على نهايات السطور لجعلها متساوية متناسقة في كل الصفحات . وقد كانت لهم عدة مذاهب وطرق للتغلب على هذه المشكلة ، أمكن استنتاجها من خلال المخطوطات التي تعود إلى هذه الفترة ، وهذه الطرق هي :

أولا : طريقة مطّ حروف الكلمة الأخيرة في السطر ، وتستخدم عندما تكون المساحة الباقية في نهاية السطر أكبر من الكلمة المراد كتابتها ، لذلك تمطّ حروف الكلمة لتتوازى الكلمة مع نهاية الأسطر السابقة ، ومع أن هذه الطريقة كانت مستخدمة بكثرة عند النساخ إلا أنه كان يطلب منهم «ألا يكثروا من مطّ الحروف قدر الإمكان ، وألا يستعملوه إلا في أواخر السطور وأواسطها ، وأن يتجنبوه في أوائلها ، ولا يكرروه في سطرين متتاليين ، وكان لا يستخدم إلا في الخط الذي تتقارب سطوره وتتفرق حروفه»(١٦). وبنظرة سريعة في مخطوط «تحفة الزوار» رقم (٣٥٠١ الجامعة الأردنية) نجد أن الكاتب لم يستخدم عملية مطّ الحروف إلا في أماكن قليلة من المخطوط ، ولكنه اعتمد على طرق سنذكرها الآن .

ثانياً : طريقة ضغط حروف الكلمة الأخيرة ، أو وضع الحروف الباقية منها فوق الكلمة نفسها حتى لا تخرج عن السطر فتضطرب الهوامش .

ثالثاً : طريقة إكمال الكلمة في الهامش ، وهذه الطريقة من الطرق التي اتبعها كثير من النساخ في هذه الفترة ، لأنها تحافظ على جمال الصفحات والهوامش في المخطوط ، فعندما تكون الكلمة المراد كتابتها أكبر من المساحة المتاحة في نهاية السطر كان الناسخ يلجأ إلى تجزئتها ، فيكمل السطر بجزء يناسب الباقي من المساحة ويضع باقي الكلمة في الهامش مقابل السطر نفسه .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان بعض النساخ لا يهتمون كثيراً بقضية تسوية نهاية السطور ، مما يؤدي إلى تركهم الفراغات في نهاية بعض السطور أو بروز بعضها في هامش بعض الصفحات ، مما يشوه الشكل العام لصفحات المخطوط(١٧).

وقد يكمل الناسخ الجزء المتبقي من الكلمة في بداية السطر التالي ، وهذا عيب كان المختصون ينهون عنه ، لما فيه من تشويه لصورة الكتابة العربية وخروج عن قواعدها المعروفة(١٨).

(٥) التسطير :

اهتم النساخ والكتاب في هذا العصر والعصور السابقة بالشكل العام للمخطوط ، إضافة إلى اهتمامهم بالترتيب العلمي له وتوثيق معلوماته ، وكل ذلك لأجل إخراج المخطوط في النهاية على صورة رائعة متكاملة من كافة جوانبها . فلم يعدموا الطرق والوسائل للوصول إلى هذه الغاية ، ومن ذلك حرصهم الشديد على استواء السطور واستقامتها وتوازيها في الصفحة الواحدة ومن ثم في صفحات المخطوط كلها .

ولعل الطريقة الفنية التي كانت متبعة في التسطير هي الضغط على أماكن السطور في الصفحة بموادّ تترك أثراً رفيقاً بحيث لا يضر بالورقة أو يشوه منظرها العام ، ويذهب أثر هذه السطور فور الانتهاء من الكتابة عليها أو بعد فترة وجيزة ، والدليل على هذا القول أن الصفحات البيضاء التي نجدها خالية من الكتابة في مخطوطات كثيرة تبدو آثار السطور فيها واضحة جلية لمن يمعن النظر فيها . وهذا ما يجعل عدد السطور في جميع الصفحات متساوياً ويجعلها متوازية ، وهذا أيضاً ما يجعل مساحات الهوامش متساوية في كل صفحات المخطوط ، سواء كانت الهوامش العلوية والسفلية أو الهوامش الجانبية .

(٦) علامات الترقيم :

يقول العلموي : «وينبغي أن يفصل (الناسخ) بين كل كلامين أو حديثين بدائرة أو قلم غليظ ، ولا يصل الكتابة كلها على طريقة واحدة ، لما فيه من عسر استخراج المقصود ، ورجحوا الدائرة على غيرها ، وعليها عمل أغلب المحدثين»(١٩).

ومن كلام العلموي — وهو من أعلام القرن العاشر الهجري — نرى أن الدائرة ظلت هي العلامة المستخدمة حتى هذا العهد المتأخر للمخطوط العربي ، وهذا لا يعني مطلقاً أنه لم يستخدم غيرها في القرن العاشر بالذات ، بل إنه في مخطوط «كمامة الزهر» رقم (٢٤٧٧ الجامعة الأردنية) نجد بالإضافة إلى الدائرة الفاصلة (٥) ونقاط ثلاثة توضع هكذا (.·.) في أول بيت الشعر وفي آخره ، وأحياناً في وسطه ، إضافة إلى أشكال أخرى من الدائرة ، كالدائرة المنقوطة (⊙) والدائرة التي على شكل حرف الهاء (ﻫ) ، والدائرة التي يخرج من مركزها خط مائل إلى أعلى (ﻫ) . هذا بالإضافة إلى استخدام النقطة بمعناها الحديث في المخطوط في بعض الأحيان .

ولم يكن حظ المخطوطات الأخرى في هذا العصر كحظ هذا

المخطوط ــ الذي كتبه ناسخ مجوِّد لما يكتب ــ في استخدام علامات الترقيم المتعارف عليها في ذلك العصر ، ويبدو من خلال هذه الدراسة أن علامات الترقيم المعروفة لدينا في العصر الحالي وهي (النقطة ، والفاصلة ، والفاصلة المنقوطة ، والأقواس الشارحة) لم تستخدم فعلياً إلا في وقت متأخر جداً وهو في الغالب بداية القرن الرابع الهجري ، لأننا لا نجد من خلال المخطوطات التي بين أيدينا هذه العلامات إلا في استخدام الفاصلة والنقطة فقط .

ولعل الدوائر العادية والدوائر المنقوطة هي التي كانت تستخدم لتقوم مقام علامات الترقيم المعروفة لدينا الآن .

وقد كان بعض النساخ يميزون تلك العلامات (النقطة والفاصلة) بكتابتها باللون الأحمر ، وقد نجد أحياناً الفاصلة مقترنة بخط فوق النص متجهاً دائماً إلى اليسار كما في مخطوط «تحفة الزوار» رقم (٣٥٠١ الجامعة الأردنية) وصورتها هكذا (٧٦) . ولا ننسى أن نذكر هنا فواصل الآيات التي كانت تتخذ في مصاحف هذا العصر أشكالاً غاية في الدقة والروعة ، واستخدم في رسمها وزخرفها نماذج هندسية وزخرفية ونباتية مذهَّبة .

(٧) الاختصارات :

اصطلح علماء هذه الفترة ونسَّاخها على اختصار بعض الكلمات التي تتكرر بكثرة ، وخاصة في كتب الحديث والتاريخ بحروف أصبحت معروفة لدى النساخ والقراء .

فبالإضافة إلى الاختصارات والرموز التي كان يضعها النسّاخ عند تصويب الأخطاء التي تنتج بسبب سهو أو تكرار أو عند مقابلة نسخهم بنسخ أخرى ، اعتاد المؤلفون والنسّاخ على اختصار «صيغ الأخبار والتحديث لتكررها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص»[٢٠] ، وقد ذكر العلموي كثيراً منها في المسألة العاشرة من كتابه «المعيد» حيث قال : «وجرت عادة المحدثين باختصار ألفاظ في كتبهم ، فمن ذلك (حدثنا) اختصرها بعضهم على (ثنا) ، وبعضهم على (نا) وبعضهم على (دثنا) . ومن ذلك (أخبرنا) اختصرها بعضهم على (أنا) وبعضهم على (أرنا) وبعضهم على (ابنا) . ومن ذلك (حدثني) اختصرها بعضهم على (دثني) ... ومن ذلك (قال) الواقعة في الإسناد بين رواية اختصرها بعضهم قافاً مفردة (ق) ، وقد جمعها بعضهم بما يليها هكذا (قثنا) يعني (قال حدثنا)... ومن ذلك ما يختصر بعضه ولا يتعين فيه قراءة ذلك البعض ولا أصله ، وهو الرموز إلى اصطلاح خاص بذلك الكتاب ، كما يرسم كثير من كتب الحديث المختصرة للبخاري (خ) ولمسلم (م) وللترمذي (ت) ولأبي داود (د) وللنَّسائي (ن) وهو كثير»[٢١].

واشترط على من يستخدم تلك الرموز والاختصارات أو غيرها في كتاب ما أن يبين ما تدل عليه تلك الاختصارات في مقدمة ذلك الكتاب حتى يفهمها القارىء ، فربما تتشابه بعض الرموز في كتاب مع أُخرى في كتاب آخر مع اختلاف دلالة كل منها ، فإنه من الواجب أن تُذكر تلك الرموز وما ترمي إليها في مقدمة الكتاب .

(٨) التصويبات والإضافات :

حرص الناسخ في هذه الفترة على إخراج ما يكتبه على درجة كبيرة من الصحة والضبط ،فهو يراجع كتابه بعد انتهائه من نسخه لتصويب ما قد أخطأ في كتابته أو إضافة ما قد نسيه ، وقد اعتبر العلماء عملية مراجعة النسخة شرطاً من شروط النسخ الجيد ، فلا فائدة من نسخة لم تراجع على أصلها التي كتبت منه وعلى غيرها من النسخ .

فبعد أن يفرغ الناسخ من كتابة نسخته يقوم بمراجعتها على النسخة التي نقل منها للتأكد من صحة ما جاء فيها ، فمن النادر جداً أن توجد نسخة بدون أخطاء . وبعد ذلك يقوم بعرض نسخته على نسخ أخرى صحيحة وموثقة لتوثيق معلوماتها ، وهذا ما يسمى بالمقابلة أو المعارضة .

وحتى يحافظ النساخ على الشكل العام لمنظر الكتابة في المخطوط ، فقد اخترعوا طرقاً معينة مقننة في كثير من الأحيان لتصحيح أخطائهم وإضافة ما نسوه أثناء عملية الكتابة ، وهذا ما سنتطرق إليه في السطور التالية :

إذا تنبه الناسخ إلى الخطأ أثناء عملية الكتابة وفي مكانه استخدم الكشط أو المَحو[٢٢] أو الضرب (وهو شطب الكلمة) لتصحيح هذا الخطأ ، فإذا استعمل الكشط أو المحو فإنه يكتب الكلمة الصحيحة في المكان نفسه ، ويكرر الكلمة في الهامش لتوضيحها مُشيراً إليها بالحرف (ن) ليدل على كلمة (بيان) ، أما إذا استخدم الطريقة الثالثة وهي الضرب فإنه كان يكتب الصحيح بعدها ، وهذه هي الطريقة المفضلة المتبعة بكثرة في مخطوطات هذا العصر ، وخاصة أن الكشط أو المحو يؤثر تأثيراً سيئاً على الورقة ، بل يؤثر كذلك على الكلام المكتوب على ظهرها .

وفي كيفية الضرب ــ وهي الطريقة المستخدمة بكثرة ــ خمسة أقوال مشهورة كما يقول العلموي : إحداها : أن يصل (الناسخ) بالحروف المضروب عليها ويخلط بها خطاً ممتداً [أو عدة خطوط] ، ثانيها : أن يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً عنها منعطفاً طرفاه على أول المبطل وآخره كالباء المقلوبة ، ثالثها : أن يكتب لفظة (لا) أو لفظة (من) فوق أوله ، ولفظة (إلى) فوق آخره ، ومعناه : من هنا ساقط إلى هنا ، رابعها : أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة [وهما القوسان] ، خامسها : أن يكتب في أول المبطل

وفي آخره صفراً وهو دائرة صغيرة[٢٣]».

ولقد وجدنا استخداماً لهذه الأمور في مخطوطات هذا العصر مع اختلافات في العلامات المتبعة ، بالإضافة إلى أمور أخرى غيرها سنذكرها .

فعندما يراجع الناسخ أو غيره الكتاب بعد الانتهاء من نسخه يكتشف في الكتاب أخطاء لم ينتبه إليها أثناء عملية النسخ ، أو زيادة في بعض الألفاظ ، أو ورد فيها شيء على غير وجهه ، أو تكررت بعض ألفاظه سهواً ، أو قد ينسى الناسخ بعض الكلمات ، أو الجمل ، وكلٌ له طريقته الخاصة به التي كان يتبعها المراجع في معظم الكتاب لمعالجة مثل هذه الأخطاء أو الإضافات .

فإذا وردت في السطر كلمة أو أكثر كتبت حروفها بشكل خاطىء فإنه يستخدم الكشط أو المحو لإزالتها وكتابة الصحيح مكانها ، وهذا كما قلنا قليل في مخطوطات هذا العصر ، ولكن المشهور بين النساخ أن يشار إلى الكلمة الخاطئة بالعلامة (٨) فوقها ثم يكتب صحيحه على الهامش ، وبجانبها أو فوقها كلمة (خطأ) أو الحرف (خ) للدلالة على أنها وردت خطأ في السطر ، وربما يضع الصواب فوق الكلمة الخاطئة في السطر وبجانبها الحرف (خ) وهذا في حالة كون الكلمة قليلة الحروف ، أو أن المساحة بين السطور تسمح بذلك .

وفي حالة ورود كلمة زائدة في السطر فقد كان يكتفي بوضع باء مقلوبة فوقها أو أنه يضرب عليها بعدة خطوط لبيان بطلانها ، والشيء نفسه يحصل إذا كان الزائد أكثر من كلمة .

وإذا طالع الناسخ نسخته وقارنها بنسخ أخرى ووجد بعض الاختلافات في بعض ألفاظها فإنه ــ كما يقول العلموي ــ «ينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب وهو محل شك عند مطالعته أو تطرق احتمال (صح) صغيرة ويكتب فوق ما وقع في التصنيف أو في النسخ وهو خطأ (كذا) صغيرة ، أي هكذا رأيته ، ويكتب في الحاشية (صوابه كذا) إن كان يتحققه أو (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك . أو أن يكتب على ما أشكل عليه ولم يظهر له وجهه (ضبه) وهي صورة صاد مهملة مختصرة من صح ، هكذا(صـ) فإن صح بعد ذلك وتحققه فيصلها بحاء فتبقى (صح) وإلّا كتب الصواب في الحاشية كما تقدم»[٢٤].

وأما بالنسبة للإضافات ، أي إضافة ما قد نسيه الناسخ أثناء النسخ فيتم كالآتي :

إذا كان ما نسيه من كلام في السطر الأول أو الأخير من الصفحة فإنه يضيف ذلك الكلام في مكانه من السطر حيث يجعل بداية الإضافة بين الكلمتين ومتجهاً إلى أعلى إذا كان النقص في السطر الأول[٢٥] وإلى أسفل إذا كان في السطر الأخير[٢٦]، وفي هذه الحالة لا يحتاج إلى وضع أي علامة تشير إلى مكان النقص لأنه بدأ منه ، ويضع كلمة (صح) في نهاية ما يضيفه . وكذلك الحال إذا كانت الكلمة المنسية في بداية السطر أو في نهايته ، فقد كان يضع الكلمة في بداية السطر على هامش الصفحة اليمنى ، وفي آخر السطر على هامش الصفحة اليسرى . وإذا كان النقص أكثر من كلمة فإنه يبدأ من بداية أو نهاية السطر (حسب الصفحة إن كانت يمنى أو يسرى) متجهاً إلى أعلى بشكل عمودي على سطور الصفحة .

وإذا كان الكلام الناقص حرفاً مثل (أي ، في ، إلى ، ... الخ) أو كلمة صغيرة لا تزيد حروفها على ثلاثة أحرف ، فإنه كان يضيف ذلك في مكانه بين السطور دون الحاجة إلى الإشارة إليه في الهامش ، أما إذا لم تتحمل المساحة الموجودة بين السطور تلك الإضافة ــ كأن تكون كلمة أو عدة كلمات أو جملة أو عدة جمل ــ فقد كان الناسخ يكتبها على الهامش في تلك الصفحة مع وضع بعض الإشارات الدالة على ذلك المستخدمة لهذا الغرض وهي (٧ ، √ ، ↓ ، ،، ، ،،،) . وهذه العلامات أو الإشارات التي كانت مستخدمة في مخطوطات هذا العصر تم استخراجها من العينة التي أخضعت للدراسة ، الأولى : رأس سهم ، والثانية : سهم جسمه خط متقطع ، والثالثة : سهم عادي يخرج من مكان النقص ، والرابعة والخامسة : خطوط تخرج من مكان النقص متجهة نحو الهامش الذي يراد الإضافة عليه .

وإذا كان ما يضاف إلى الهامش كلمة أو كلمتان فقط كانت تكتب مقابل السطر بشكل أفقي ، أما إذا كانت جملة أو أكثر فقد كانت تكتب بشكل عمودي على النص أو بشكل مائل إلى أعلى ، ويكتب في نهاية كل ما يضاف كلمة (صح) صغيرة .

وأما بالنسبة للمكرر من الكلمات أو الجمل ، فإن في حذفها وإبطالها عدة طرق ذكر العلموي بعضاً منها فقال : «إذا تكررت كلمة أو أكثر سهواً ضُرب على الثانية لوقوع الأولى صواباً في موضعها، إلا إذا كانت الثانية أجود صورة وأدل على القراءة ، وكذا إذا كانت الأولى في آخر السطر ، فإن الضرب عليها أولى صيانة لأول السطر ، وبالجملة فصيانة أول السطور وآخرها متعين إلا أن مراعاة أولها أولى . وإذا كان المكرر مضافاً ومضافاً إليه أو موصوفاً وصفة ، أو مبتدأ وخبراً ، أو متعاطفين فمراعاة عدم التفريق بالضرب أولى إذا كانا آخر سطر كيلا يفرق بين شيئين بينهما ارتباط ، إذ إن مراعاة المعاني أولى من مراعاة تحسين الصورة في الخط»[٢٧].

وقد راعى نساخ هذه الفترة بعض هذه القواعد التي ذكرها العلموي في كثير من الأحيان ، ففي مخطوط «فتح الجليل» رقم (٤٧٧٥ الجامعة الأردنية) كان الناسخ يضرب على المكرر الثاني من

الكلمات والجمل دون مراعاة التفريق بينهما أو عدمه ، في حين أن ناسخ مخطوط «حاشية المواهب اللدنية» رقم (٣٥٠٣ الجامعة الأردنية) كان يشطب المكرر الأول بخطوط تدل على حذفه ، وقد نجد ناسخاً آخر يضرب على الأول تارة وعلى الآخر تارة أخرى كما هو الحال في مخطوط «غنية المستملي» رقم (٣٩١٣ الجامعة الأردنية) .

ونجد كذلك أكثر من طريقة لإبطال المكرر من الكلمات والجمل في صفحات المخطوطات ، فأحياناً يضع الناسخ جزءاً من القوس على بداية المكرر وحرف ميم في نهايته حتى ينبه القارىء إلى أن ما بينهما مكرر ، وأحياناً أخرى يحيط المكرر من الكلام بخطٍ متقطع ، أو خط متصل ، هذا بالإضافة إلى الضرب على الكلمات بخط أو خطين ، وتبقى تلك الكلمات واضحة مقروءة ، وكل ذلك لأجل الإبقاء على النص في صورته المقبولة من حيث الشكل الجمالي له ، فإن كثرة الضرب يؤدي إلى تشويه منظر الصفحة ، ومن ثم منظر المخطوط كله .

ونختم حديثنا عن موضوع التصويبات والإضافات بذكر أهم العلامات والإشارات التي كانت تستخدم لهذه الأغراض ومدلول كل منها ، وهي كالآتي :

أولاً : العلامات التي ترد داخل النص وبين السطور ، وهي :

(٨) : وتوضع فوق الكلمة التي وردت خطأ في المتن ، أو التي يراد إعادة كتابتها على الهامش بسبب عدم وضوحها في السطر ، وهي مرتبطة بالعلامات : (صح) ، (ن) ، (خ) التي ترد في الهامش .

(٠٠٠ مـ) : وتوضع لتنبية القارىء إلى أن الكلمة أو الكلمات التي جاءت بداخلها مكررة ، والميم تعني مكرر .

(.........) : وتوضع هذه النقاط حول الكلمات المكررة داخل النص .

(ـــــ، من ... إلى ، ٥ ... ٥) : وهي علامات وحروف توضع للإشارة إلى ما وقع في الكتاب من زيادة يلزم إسقاطها من المتن عند القراءة .

«كذا» صغيرة : وتوضع فوق الكلمات التي يشك المراجع أو الناسخ في صحتها ، فيكتب ما يعتقد بأنه أصح منها في الهامش مشيراً إلى ذلك بإشارة سترد بعد قليل .

(خ أو خطأ) : وتوضع فوق الكلمة التي ترسم حروفها بشكل خطأ داخل السطر أحياناً .

ثانياً : العلامات التي ترد على الهامش فوق ما يضيفه المراجع أو تحته أو في آخره :

(صح، صحح ، صـ) : وتوضع في نهاية الإضافات التي تكتب على الحاشية ، أو بعد النقولات أو الفوائد أو المقارنات بنسخ أخرى ، والعلامة الثالثة توضع فوق تلك الإضافات .

(خ ، أو خطأ) : وتوضع فوق الكلمة المصححة على الهامش ، أي أنها تكتب داخل النص فوق الكلمة الخطأ وعلى الهامش فوق صواب تلك الكلمة .

(صح / كذا) : وتعني «صوابه كذا» ، وتوضع فوق الكلمة أو الكلمات التي يكون الناسخ متأكداً من صحتها لتكون بدلاً مما جاء في النص وورد على غير روايته ، ولكنه تركه كما هو لينبه القارىء على أنه متثبت في نقله غير غافل .

(صـ / كذا) : وتعني «لعل صوابه كذا» ، أي أن الناسخ يشك في صحة ما جاء في المتن ولكنه أيضاً غير متأكد من صوابه ، فيكتب هذه العلامة لتدل على أنها ما يرد تحتها يحتمل الصواب والخطأ ، فإذا تحقق منه بعد ذلك وصل الصاد بحاء فتصبح «صح» .

(ن) : وتعني «بيان» ، وتوضع فوق الكلمة التي جاءت بياناً وتوضيحاً لأخرى داخل المتن ولم تكن واضحة لسواد كثير في مدادها أو لتشابك حروفها بحروف الكلمة المجاورة ، وقد توضع فوق كلمات أعيدت كتابتها بالحروف لضبطها .

(... بلغ قف) : والغاية منها هو الدلالة على الجزء الذي انتهى الناسخ أو التلميذ من قراءته على المؤلف أو على أحد العلماء المشهورين بإتقانهم لفن هذا الكتاب .

(نسخة) : وتوضع هذه الكلمة فوق العبارات التي تنقل من نسخة أخرى من المخطوط نفسه عند إجراء عملية المقابلة أو المعارضة ، ويوضع في نهاية تلك العبارات كلمة «صح» .

(٩) نهاية المخطوط :

اصطلح المؤلفون والنساخ عبر عصور المخطوط العربي على عبارات تأتي في نهاية المخطوط تفيد بأنه قد اكتمل وتم ، وفي نهايات مخطوطات هذا العصر التي لا تختلف كثيراً عن غيرها في مخطوطات العصور السابقة نجد المؤلف أو الناسخ يورد بعض الأدعية إضافة إلى «الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه»(٢٨) ، وفي ذلك يقول العلموي : «إذا فَرَغ (الكاتب) من كتابة الكتاب أو الجزء فليختم الكتابة بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٢٩).

ويجب أن نفرق هنا بين النهاية التي يضعها المؤلف لكتابه والنهاية التي يضعها النساخ على الكتاب نفسه ، حيث تشتمل الأولى في الغالب على تاريخ الفراغ من تصنيف الكتاب ، في حين أن الثانية تشتمل على تاريخ الفراغ من نسخه(٣٠).

فإذا كان الكتاب شرحاً يذكر المؤلف ذلك في نهاية الكتاب

فيقول مثلاً : «هذا آخر ما انتهى إليه شرح هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه»[٣١]، وإن كان تأليفاً أشار المؤلف إلى ذلك بقوله : «تم الكتاب المبارك بحمد الكريم وعونه العميم»[٣٢]، أو ما هو في معنى ذلك ، وبعدها يذكر المؤلف تاريخ الفراغ من تصنيفه فيقول : «وقد كان الفراغ من تصنيف هذا الكتاب يوم (كذا) في شهر (كذا) من شهور سنة (كذا)» .

وأما النهاية التي يكتبها الناسخ فغالباً ما تكون مشتملة على عنوان المخطوط واسم مؤلفه ، ومن ثم اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، ونادراً ما يذكر مكان النسخ . والعبارات المتبعة في ذلك هي : «وقد كان الفراغ من نسخ كتاب (كذا) للعالم (فلان بن فلان) يوم (كذا) من شهر (كذا) أحد شهور سنة (كذا) على يد الفقير إلى الله (فلان بن فلان)» ، ويتبع ذلك ببعض الأدعية .

فإن كان الكتاب من عدة أجزاء فإن الناسخ يكتب في نهاية كل جزء عبارات تفيد بأن الجزء قد انتهى ، ويشير إلى ما يتبعه من أجزاء كما في نهاية مخطوط «حاشية المواهب اللدنية» رقم (٣٥٠٣ الجامعةالأردنية) حيث يقول الناسخ : «تم الجزء الأول من حاشية المواهب اللدنية لشيخ الإسلام ..» وفي ذلك أيضاً يقول العلموي : «وليختم (الكاتب) بقوله : آخر الجزء الأول أو الثاني مثلاً ، ويتلوه كذا وكذا إن لم يكن أكمل الكتاب ، فإن أكمل الكتاب فليقل تم الكتاب الفلاني»[٣٣].

وترد تلك البيانات التي يكتبها الناسخ على شكل مثلث رأسه إلى أسفل أو كشكل الدلتا (▽) ، وهو الشكل المقنن الذي أصبح مستخدماً بكثرة في مخطوطات العصر العثماني ، حتى وإن لم تذكر الكلمات التي تفيد بأن الكتاب قد انتهى ، فالشكل يدل على ذلك ، وتظهر أهمية هذا الشكل في المجاميع من الكتب التي تتكون من عدة رسائل لأكثر من مؤلف ، فمن خلال تصفح الكتاب بشكل سريع نستطيع الوصول إلى نهاية كل رسالة فيه وبداية الأخرى .

إذن فإن نهاية الكتاب سواء أكانت من صنع الناسخ أو من صنع المؤلف فإن بها معلومات وعبارات تدل على اكتمال الكتاب وتمامه ، هذا بالإضافة إلى اشتمالها على معلومات توثيقية ، مثل تاريخ التصنيف وتاريخ النسخ تفصيلاً واسم المؤلف واسم الناسخ ، هذا بالإضافة إلى كتابة مكان النسخ في بعض الأحيان وفي عدد قليل من المخطوطات .

(١٠) ترقيم المخطوط :

والغالب على مخطوطات هذا العصر أنها تستخدم التعقيبات لتحل محل استخدام الأرقام للأوراق أو للصفحات ، والتعقيبات هي أن توضع الكلمة الأولى من الصفحة اليسرى تحت نهاية السطر الأخير من الصفحة اليمنى ، ومعظم ما وجدناه على صفحات وأوراق المخطوطات هو ترقيم متأخر عن عصر تلك المخطوطات ، وفي قليل منها نجد استخداماً للأرقام في أكثر من مكان .

ففي مخطوط «فتح الجليل» رقم (٤٧٧٧٥ الجامعة الأردنية) مثلاً نجد استخداماً للأرقام القديمة على ملازم الكتاب ، وربما تكون من صنع الناسخ أو هي من صنع المجلد حتى يسهل عليه ضم الكتاب في ترتيبه الصحيح ، هذا إضافة إلى أن الناسخ قد استخدم التعقيبات لترتيب الأوراق في الملزمة الواحدة .

وفي مخطوط «كمامة الزهر» رقم (٢٤٧٧ الجامعة الأردنية) نجد أن الناسخ بعد أن انتهى من نسخ الكتاب قد كتب عدد أوراقه على هامش الصفحة الأخيرة منه ، أما في داخل المخطوط فقد استخدم التعقيبات أيضاً في ترتيب الأوراق .

والنتيجة التي نصل إليها هنا تتلخص في أن النساخ في هذه الفترة قد استخدموا التعقيبات لتكون أساساً في ترتيب أوراق مخطوطاتهم وإن استخدموا الأرقام في الملازم ، أو ببيان عددها في نهاية المخطوط .

وأما الأرقام التي نجدها على صفحات أو أوراق كثير من المخطوطات التي تعود إلى هذه الفترة من الزمن ، فقد أضيفت بعد عصر تلك المخطوطات ، وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري على وجه التقريب .

الهوامش

(١) في مخطوط «مجمع الفتاوي» رقم (٢٠٥٦٩ دار الكتب المصرية) ، نجد عدة أوراق زائدة في أول المخطوط ، وفي نهايته أضيفت بعد عصر المخطوط ، والدليل على ذلك أن المخطوط مرقم بالأرقام العادية التي تعود إلى زمن المخطوط (١١ هـ) وهذه الأوراق لم تدخل في الترقيم .

(٢) وهذا يظهر بوضوح في مخطوط «تذكرة العابد» رقم (٢٥٨٨٥ ب دار الكتب) ، حيث ورد في صفحة العنوان ما نصه «هذا كتاب تذكرة العابد : شرح على الستين للشيخ ...» ويكمل الناسخ تفصيلات العنوان ، في حين أن المؤلف يذكر العنوان في المقدمة على أنه «تذكرة العابد في شرح مقدمة الزاهد» .

(٣) ومثال ذلك في صفحة عنوان مخطوط «فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل» رقم (٤٧٧٥ الجامعة الأردنية) ، حيث كتب الناسخ ما نصه : «هذا كتاب حاشية القاضي زكريا على تفسير الإمام الفاضل .. المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الملة والدين أبي عمر بن مُحَمد الشيرازي البيضاوي».

(٤) كما في صفحات عناوين المخطوطات التالية :

ـــ «حاشية على تفسير البيضاوي» رقم (٢٣٢٢٦ ب دار الكتب) .

ـ «تحفة السامع والقاري ١١٨٣ هـ» رقم (٢٣٣٤٠ ب دار الكتب) .
ـ «كتاب الابتهاج ١٠٢٧ هـ» رقم (٢٣٤٥٠ ب دار الكتب) .
(٥) كما يظهر ذلك في كتاب أعجب العجائب (ق ١١ هـ) رقم (٦٧٠٨ تركي ، جامعة القاهرة) .
(٦) ففي مخطوط «قطف الأنوار» رقم (١٠٥٢ فلك ، دار الكتب)، يبدأ المخطوط بمقدمة للمؤلف بعد البسملة مباشرة يقول فيها : «يقول العبد الفقير ... الحمد لله الذي جعل السماء ... أما بعد ...» ثم يذكر بعد ذلك الدواعي من تأليفه للكتاب .
(٧) كما هو الحال في مخطوط «حاشية المواهب اللدنية» رقم (٣٥٠٣ الجامعة الأردنية) حيث قام أحد تلاميذ المؤلف أثناء حياته بجمع تلك الحواشي المتفرقة في كتاب جعل له مقدمة من صنعه ثم عرضه على المؤلف لإقراره .
(٨) في مقدمة «فتح الجليل» رقم (٤٧٧٥ الجامعة الأردنية) يقول الناسخ بعد البسملة : «رب يسر وامنن وتمم يا كريم . قال الشيخ الإمام سيدنا ... زين الدين والملة أبو يحيى ... تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ..» ثم يكتب بسملة أخرى ليبين أن كلام المصنف قد بدأ .
(٩) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٢ .
(١٠) كما في مقدمة «مختصر غنية المستملي» رقم (٣٩١٣ الجامعة الأردنية) الورقة (١ب) .
(١١) كما في مقدمة مخطوط «فتح الجليل» رقم (٤٧٧٥ الجامعة الأردنية) الورقة (١ب) .
(١٢) في مخطوط «غاية الوصول» رقم (٢٣٢٤٢ ب دار الكتب) ، يقول المؤلف : « ... فقد علقت فيما مضى على الفصول المهمة في ميراث الأمة .. تعليقاً وسطاً ، ثم بلغني أن بعض الطلبة استطاله في مواضع واستصعبه لعدم استيفاء ذكر المتن فيه ، فرأيت أن أختصره وأقتصر منه على ما يفي بالمقصود ، وأخرجه بالمتن مع زيادة ما يحصل من فيض ربنا المعبود ، يصل به إلى مطالب إفهام المحصلين...» .
(١٣) كما هو الحال في مخطوط «كمامة الزهر» رقم (٢٤٧٧ الجامعة الأردنية) ، حيث كتبت قصيدة ابن عبدون كلها بالمداد الأحمر ، وكذلك الأوراق (٢٩-٦٦) من مخطوط «فتح الجليل» رقم (٤٧٧٥ الجامعة الأردنية) ، حيث جاء متن البيضاوي فيها مكتوباً بالمداد الأحمر أيضاً .
(١٤) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٩ .
(١٥) والهوامش (Margins) أيضاً الفراغات العلوية والسفلية والجانبية التي تترك حول متن الصفحة ، وأما النسب المقبولة لحجم هذه الهوامش في أي كتاب فهي أن تكون مساحة الهامش السفلي ضعف مساحة الهامش العلوي ، ومساحة الهامش الجانبي الداخلي (من جهة الكعب) نصف مساحة الهامش الجانبي الخارجي : انظر : Thomas Landua. Encyclopaedia of Librarianship - page 236.
(١٦) عبد الستار الحلوجي/المخطوط العربي ص ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
(١٧) في مخطوط «تنوير المقالة» رقم (٣٥٧٨ الجامعة الأردنية) نجد صفحات كثيرة تبرز فيها بعض السطور في الهوامش ، وفي مخطوط «صفوة الملح» رقم (٢٥٨٨٢ ب دار الكتب) نجد اضطراباً واضحاً في نهايات السطور في كثير من الصفحات .
(١٨) في مخطوط «شرح بغية الطلاب» رقم (٧٠٢ فلك ، دار الكتب) نجد على سبيل المثال في الورقة (٩٢ أ) من المخطوط أن الناسخ جزأ كلمة (ووجوه) بحيث جعل أولها (وو) في نهاية السطر وباقي الكلمة (جوه) في بداية السطر التالي ، وكثيراً ما يفعل ذلك في المخطوط .
(١٩) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٨ .
(٢٠) عبد الستار الحلوجي/المخطوط العربي ص ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .
(٢١) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٢٢) الكشط : وهو سلخ الورق بسكين ونحوها ويعبر عنها بالبشر وبالحك ، والمحو هو الإزالة بغير سلخ إن أمكن ، وهو أولى من الكشط (انظر : العلموي/المعيد ص ١٣٧) .
(٢٣) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٧ .
(٢٤) المرجع السابق ص ١٣٦ .
(٢٥) ومثال ذلك في الصفحة (٤٥ ب) من مخطوط «الابتهاج» رقم (٢٣٤٥٠ ب دار الكتب) .
(٢٦) ومثال ذلك في الصفحة (١٥ أ) من مخطوط «تحفة الأنام» رقم (٦٣٣٦ تركي ، جامعة القاهرة) .
(٢٧) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٢٨) في مخطوط «الطراز للقاري» رقم (٢٣٣٤٠ ب دار الكتب) نجد المؤلف بعد أن أنهى كتابه يقول : «تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم نلقاه» .
(٢٩) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٢ .
(٣٠) في مخطوط «الابتهاج» رقم (٢٣٤٥٠ ب دار الكتب) يقول المؤلف في نهاية كتابه : « ... وكان الفراغ من تكملته عشية نهار الأربعاء سابع عشر شهر رجب سنة تسع وستين وتسعمائة» ، في حين يقول الناسخ : «وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة ... ضحى يوم الخميس حاد عشرين (كذا) من شهور سنة ٩٨٠ هـ على يد تلميذه ...» .
(٣١) الورقة (٢١٠ ب) من الجزء الثاني من مخطوط «تنوير المقالة» رقم (٢٥٧٨ الجامعة الأردنية) .
(٣٢) نهاية مخطوط «تحفة الزوار» رقم (٣٥٠١ الجامعة الأردنية) .
(٣٣) العلموي/المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٢ .

مجلة الجامعة
في سنيها الأربع الأخيرة

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد - جامعة بغداد

(١)

الجامعة ـ مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية . السنة الرابعة . الإسكندرية . الجزء الأول ـ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ م ـ ذو القعدة سنة ١٣٢٠ هـ ـ الجزء ٩ و ١٠ سنة ١٩٠٤ ـ ١٣٢٢ .

ذكر في «مقدمة» السنة أنه زاد في هذا العام ألف نسخة من الجامعة على النسخ التي كانت تطبع منها في الماضية ، ولكنه لم يذكر العدد الذي كانت تطبعه في تلك السنة .

١ ـ نلاحظ أن كلمتي «ثقافة» و «ثقافية» لم ترد . ويبدو أن كلمة «تهذيبية» كانت تؤدي مؤداها .

٢ ـ ص ١٥ «الفيلسوف أوغست كونت مؤسس الفلسفة الحسية» ص ١٧ «مؤلفاته ... دروس في الفلسفة الحسية» فالحسية تساوي هنا ما سنترجم بالوضعية ، ولفظة «كونت» بالنون ص ١٨ «أوغست كونت ... وضع أساس السسيولوجيا (علم العمران) (...) وبناء على ذلك يكون أساس فلسفة كونت علم السسيولوجيا ، أي علم إصلاح شأن البشر . وهو الذي وضع هذه الكلمة (السسيولوجيا) وأودع فيها المعنى المصطلح عليه اليوم» . «السسيولوجيا» هي التي سنترجمها بعلم الاجتماع .

٣ ـ ص ٢٢ «الاشتراكية» كثر استعمالها في مختلف الأجزاء وكأن ترجمتها بهذه الحروف قد استقرت قبل سنة ١٩٠٠ .

٤ ـ ص ٢٣ ، استعمل «ساذجة» : «كانت عبارة عن أخوية ساذجة الأخلاق لطيفتها ..»

٥ ـ ص ٦٤ «مذهب تولستوي بقلم جناب سليم أفندي قبعين ، طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة الأديب إبراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهو من تعريب حضرة الأديب سليم أفندي قبعين . وقد جمعه حضرة معرِّبه من اللغة الروسية ومن اللغة العربية ...» .

يستعمل تعريب ، ولا يستعمل ترجمة . وكلمة التعريب هي التي كانت سائدة .

٦ ـ ج ٢ سنة ١٩٠٣ ص ٦٧ «حمورابي واضع الشرائع البابلية التي يقال إن بعض شرائع التوراة نقلت عنها» ـ وفصّل وجه الشبه كما دلت عليه الاكتشافات .

٧ ـ ص ٨٠ «غاستون باري .. توفي .. وقد احتفل بجنازته احتفالاً عظيماً .. انقطع غاستون باري إلى علم واحد وهو علم الأدب الفرنسوي واللغة الفرنسوية في العصور الوسطى .. وأشهر تآليفه .. «تاريخ شارلمان» . قصص شرقية في آداب اللغة الفرنسوية في القرون الوسطى ... أشعار القرون الوسطى ...»

يستعمل العصور مرادفة للقرون ، وسنقول : القرون الوسطى . علم الأدب الفرنسوي ، يريد تاريخ الأدب الفرنسي .

٨ ـ ص ٨٢ «ارنست لكونه ... كان شاعراً ومؤلفاً للروايات التمثيلية والقصص وخطيباً ومنتقداً» .

لمّا توجد كلمات : كاتباً مسرحياً ، قصاصاً ، ناقداً ...

٩ ـ ص ٨٢ «نشر أحد الكتاب البارزين مقالة دعى فيها ...» : دعا .

١٠ ـ ص ٨٣ «كلية السوربون» ـ ولم يقل جامعة ، ومثل ذلك عندما يتكلم على الكلية في بيروت وهي جامعة . إن كلمة «جامعة» لما تولد .. وفي ص ٢٤٣ «رئيس الكلية الأميركية في بيروت» يريد رئيس الجامعة .

١١ ـ ص ٩٠ «مصدر الآداب فلسفياً ... «العقل» و «الحس» و «العواطف»» . الآداب العربية ـ هنا ـ هي الأخلاق والمعاملة بين الناس . والعواطف (ص ٩٦) هي الضمير «دليل النفس ومرشدها إلى الحق والواجب ولا يخادعها في شيء» ووضع عالم آخر «الانفعالات» مكان العواطف . ص ٩٤ «الاستعداد الطبيعي والعقل والأميال ...» ـ وستشيع هذه الألفاظ : العواطف ،

الانفعالات . وتحل «الميول» محل الأميال .

١١ ــ ص ٩٨ يكتب «مبداء» وصحيحه : مبدأ .

١٢ ــ ص ١١٢ : «ابن ملك في شوارع مصر» (قصة) . لعلها أول «قصة» قصيرة ترد في المجلة . أما فنها فبدائي .. وسترد ص ٢٠٠ «عاد من الحج فائزاً بالرهان» (قصة) .

١٣ ــ ص ١٣٠ «مجلة السيدات والبنات ... لصاحبتها المدموازيل روزا أنطون»

قلنا إن كلمة «الآنسة» ترجمة لمدموازيل لما تترجم . فهل يعني عنوان المجلة ترجمة «المدام» بالسيدة ؟ والمدموازيل بالبنت . الأولى (السيدة) متزوجة ؛ والثانية (البنت) غير المتزوجة .

وفي المجلة «باب» القصص الشهرية وفيه قصة تهذيبية فكاهية تبتدىء وتنتهي في الجزء نفسه» .

يريد أن يقول قصيرة . وقد يشير إلى أن المألوف بالقصص هي الروايات المتسلسلة

وفي المجلة «أخبار الموضة الجديدة» . هذه الكلمة «الموضة» التي استعصت ترجمتها ، و «ضادها» دال كما يلفظه المصريون .

والأصل الفرنسي mode ولا موجب لوصف الكلمة بالجديدة .

وصدرت (ص ٢٢٤) مجلة نسائية باسم «المودة» (الإسكندرية) رجوعاً بالدال إلى أصلها الفرنسي .

١٤ ــ ص ١٣٣–١٣٨ تلخيص لخطبة السير ويليم ويلكوكس عن الري والعراق وسكة الحديد . ومما ورد (ص ١٣٥) : «ثم شرع يتكلم عن مجرى نهر دجلة ونبوعه من بحيرة (فان) في بلاد فارس ...» .

والصحيح أن دجلة ينبع من جبال الأناضول . وتبقى كلمة «نبوع» . وصحيح تكلم عن : تكلم على ــ كما علمنا مصطفى جواد ، ولكن الخطأ هو الذي شاع وساد .

١٥ ــ ص ١٥١ «الجمهوريون» يقابلهم «حزب الناسيو ناليست» وكأن الكلمة «ناسيونالست» لما تترجم (بالقوميين أو الوطنيين) .

١٦ ــ ص ١٥٢ «الاستعفاء» ، ومرت قبل ذلك كأن كلمة «الاستقالة» لم تولد ...

١٧ ــ ص ١٥٣ «كانت هذه الشدة ضرورية» ــ لمن يؤرخ لاستعمال «ضرورية» وهي ترجمة لـ mècessaife(مايو ١٩٠٣) .

١٨ ــ ص ١٥٦ «ببغداد .. المدرسة النظامية .. خزانة الكتب (أي مكتبتها) ــ أوائل استعمال كلمة مكتبة ترجمة لـ bibliotheque ووردت ص ٣٢٧ مكاتب .

١٩ ــ ص ١٩٢ «هل يصير التعليم مجانياً إلزامياً» وقد مرت من قبل كلمة «الإلزامي» .

٢٠ ــ ص ٢١٩ «مونتسكيو في كتابه روح الشرائع وجان جاك روسو في كتابه الميثاق الاجتماعي (الكونتراسوسيال) ..» ستستقر لدينا ترجمة كتاب روسو على «العقد الاجتماعي» .

٢١ ــ ص ٢٢٤ بلغت الماسونية في مصر أن كانت لها مجلة باسم «المجلة الماسونية .. وفيها أخبار الماسون في القطر المصري ..» (ص ٢٢٤) وهي هنا تعود إلى الظهور . وستصير جريدة نصف شهرية (ص ٣٥٠) !

٢٢ ــ ص ٢٣١ يستعمل «يؤثّرون في» . ومثلها ص ٢٣٦ ، ٣٦٨ و «في» هي الاستعمال الصحيح ، الذي يطلبه اللغويون .

٢٣ ــ ص ٢٣٠ ــ ٢٣٧/الجزء الرابع ، يونيو (حزيران) ١٩٠٣ «الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة» ــ مقال مبكر في شؤون النقد الأدبي : والحديث عن «الأسلوب» والقديم والجديد .

والحاجات أربع ، الأولى «الجرأة والحرية» ، الثانية التساهل «أن يترك دائماً للقارىء الحكم في المسائل التي يبسطها لأن القارىء قلما يحب أن تضغط عليه لتقنعه ؛ الثالثة أن تكون صناعة الأدب من طبيعة الكاتب دون قسر وإرغام . وهو يستعمل ــ هنا ــ الأدب بمدار اللفظة اللغوي لا الأخلاقي» .

الحاجة الرابعة «مختصة بقلم الكاتب ونريد بها تضلعه من [يريد في] المواضيع التي يكتب فيها . وهذه الحاجة تقسم عندنا إلى قسمين . «المادة ولبوسها» أي الأفكار والألفاظ التي يعبر بها عنها والأسلوب الذي يجري هذا التعبير به .

أما المادة فهي تكاد تكون موجودة في كل يد (...) وبما أن «المادة» صارت اليوم موجودة في كل يد كما تقدّم فقد صار الفضل والصعوبة في الأسلوب الذي تُبرَز به . ورب مادة يُعطاها كاتبان فيصنع أحدهما منها فصلاً ترقص له عجائز وائل ويصنع الآخر منها فصلاً لا يقراءه [كذا] أحد . وهنا مذهبان مختلفان يتنازعان الكتابة في كل أمة تقريباً . المذهب الأول مذهب الذين يعتمدون على قواعد السلف وأصولهم في الكتابة والتأليف فلا يخرجون عنها قيد أصبع . والمذهب الثاني مذهب الذين يحكمون عقولهم وأفهامهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقليد إذا لم يكن في محله ويرومون أن يكتبوا كما يشعرون (...) إن الفريق الأول يهتم بالألفاظ قبل اهتمامه بالمعاني . والفريق الثاني يهتم بالمعاني قبل اهتمامه بالألفاظ .

ومهما صرخ أنصار المذهب الأول فإن مذهبهم آخذ في الانقراض . لأن تلك الأسجاع الضخمة والألفاظ المنتفخة كأنها الهر يحكي الأسد (...) وإذا قابلت بين أسلوب الكتابة العربية منذ ٣٠ سنة وبين أسلوبها اليوم رأيت الفرق بين الأسلوبين . وإن قيل إنه قد بقي إلى اليوم شيء من تلك الأسجاع والألفاظ المترادفة

والتعابير الخطابية التي تسرد منها سطرين أو ثلاثة ولا يكون تحتها إلا فكر واحد (...) .

فالأفكار الأفكار . المعاني المعاني . هذا هو الغرض الحقيقي من الكتابة . لأن الألفاظ ليست سوى لباس أو قشور للمعاني ـــ بقي الأسلوب الذي هو صلة بين الألفاظ وبين المعاني لأنه قالبها الذي تُسبك به . وفي ذلك نقول (بياض) .

قال بعضهم : إن إنشاء الإنسان هو الإنسان نفسه . يعني بذلك أن كتابته تدل عليه لأنها صادرة عن نفسه . وعلى ذلك يكون أسلوب الإنسان في الكتابة على نوعين : اكتسابي وغريزي . فالأسلوب الاكتسابي ما حصله الإنسان بكدّ الخاطر وتهذيب النفس ومعرفة الأصول ومطالعة أشهر المؤلفين . والأسلوب الغريزي ما يكون مغروساً في فطرة النفس وهذا لا يُشرى ولا يُباع ولا يحصل لأنه ملازم للنفس . وقد قال بوفون وغيره إن قرائح النوابغ تنشأُ [كذا] عن الصبر والكد والمزاولة . وهو قول صحيح من بعض الوجوه خصوصاً في العلوم الطبيعية التي تقتضي من علمائها والمخترعين فيها الكد والصبر والجلد الشديد . وهذا نيوتن وباستور خير مثال على ذلك . ولكن العلوم الأدبية والفلسفية تختلف عن العلوم الطبيعية . وبما أن العمدة في تلك العلوم (الأدبية والفلسفية) على التأثير في النفوس فالواجب أن يكون أسلوبها اللطيف أول أسلحتها . وماذا كان عمل روسو وبرناردين دي سان بيير ورسكس ورنان وغيرهم لو لم تكن فطرتهم مسلحة بذلك السلاح اللطيف الذي كان يهز النفوس كما تهز الزوابع باسق الأشجار . فعلينا في الشرق أن نذكر أننا محرومون تلك اللذة الحقيقية التي تتناجى بها نفوس القراء والكاتب لاستطاعته تحريكها من أعماقها . ولا نلقين التبعة في ذلك على القراء بل على الكتاب وإن كان لهم بعض الأعذار . لأن أشجار الحدائق إذا بقيت ساكنة ولم تتحرك فالذنب للريح لأنها لم تهب لتحريكها .

ولكننا نرى أن هذه الريح محال أن تهب لتحريك الأشجار إذا لم تطلق اللغة العربية من أسر الاهتمام بالألفاظ والسجع والمترادفات وتحدي المتقدمين ، ويقدّم عليها الاهتمام بالمعاني المقصود إبلاغها إلى فهم القارىء . ذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يعبر عن العواطف المختلفة التي تختلج في نفسه إذا كان يتعود صرف قواه حين الكتابة إلى الألفاظ لا إلى تلك المعاني (...) .

الكاتب كالشاعر هو الذي يشعر بالمعاني شعوراً أشد من شعور سواه ويبرزها إلى القرّاء بأسلوب جميل لطيف سهل مفهوم لإبلاغها إليهم . ويتفاضل الكتاب كما يتفاضل الشعراء أي أن أفضلهم أشدهم شعوراً وألطفهم إحساساً . ولذلك قالوا إن الكتابة صناعة من صناعات النفس . وما الكُتّاب العظام الذين أقاموا بني عصرهم وأقعدوهم بما كانوا ينشرون بينهم سوى نفوس أدق شعوراً من باقي النفوس كانوا يجمعون العواطف التي تختلج في صدور بني عصرهم بوجه مبهم غامض ويبسطونها واضحة جلية يتناولها القريب والبعيد لأنهم كانوا أشد شعوراً بها ـــ فتأملوا في هذه الوظيفة التي هي وظيفة الكتاب الحقيقية وقابلوها بوظيفتهم متى كان عملهم مقصوراً على طلب الألفاظ الغريبة من قواميس اللغة واقتناص التعابير البدوية والأساليب القديمة التي لم يبق ما يسوِّغ استعمالها في عصر كهذا (...) ولا تنسَ أننا قلنا في مقدمة الكلام إن وظيفة الكاتب الكتابة للأمة لا لنفسه ولا لطبقة واحدة من طبقات الأمة وإن حسن التأثير شرطها الأول والفائدة العمومية أساسها الحقيقي» .

هذه المقالة مهمة في دلالتها على ثقافة كاتبها وحرصه على تنبيه قومه بالفكر الذي تكون لديه والتجربة التي سبقت إليها أقوام أخرى ، وبضيقه بالتقليد ، تقليد القديم الذي أدركه القائم على الصناعة اللفظية بعيداً عن المعاني الأصيلة ، وبعيداً عن أن يكون الكاتب نفسه ذا طبيعة تعينه على التجديد .

وكاتب المقالة شاعر بمسئوليته ، محملاً الآخرين مسؤولياتهم ، وإنه ليفكر في خدمة القارىء إمتاعاً وإفادة ..

المقالة ـــ إذاً ـــ وثيقة في تاريخ النقد الأدبي الحديث . ومن هنا جاء الطول في الاقتباس منها ، والإلحاح على لفت النظر إليها . وهي تدلنا ـــ بعد ذلك ـــ أن هذا الذي صار إليه الأدب العربي الحديث من جدة وأصالة لم يأت عبثاً وبدون توجيه الشاعرين بالمسؤولية . إننا مدينون لهؤلاء الرواد . وفي رجوعنا إلى آثارهم فائدة وعلم ووفاء .

٢٢ ـــ في هذه السنة (الرابعة) خاصة عدة قصائد لمصطفى أفندي صادق الرافعي . مع تقدير خاص لشاعريته (تنظر مثلاً ص ٣٢٨) ـــ وفي ص ٣٧٤ تحدث عن الجزء الثاني من ديوانه فوصفه بالشعر العصري البليغ .

ص ٢٥٠ «الفنون الجميلة» مصطلح قد عرف ، مترجماً .

وفيه : «التماثيل» و «النقوش» .

٢٣ ـــ ص ٢٥٥ يستعمل الراوي لما سيصير الروائي . قال «إن الراوي أوجين سو سبقه (سبق فيكتور هيغو) إلى وصف مكنونات باريس وشقائها وطلب الرحمة لضعفائها» .

وملاحظات مهمة على تعريب حافظ أفندي إبراهيم للبؤساء .

٢٤ ـــ ص ٢٥٦ خبر تعريب رفول أفندي سعادة رواية تولستوي «لحن كيوتزر» .

٢٥ ـــ ص ٢٦١ (سنة ١٩٠٣) تمثال جول سيمون «وقد نقش هذا التمثال النقاش دنيس بوش وقد صنعه من الرخام» .

نقش ـــ إذا ـــ تعني نحت . والنقاش : النحات .

٢٦ ـــ ص ٢٨٣ «على سبيل الاتضاع الكاذب» يقصد التواضع .

٢٧ ــ «الحب وبسيكولوجيته» (ص ٢٨٩) ما زالت اللفظة تكتب متابعة لحروفها الفرنسية Psycologie فلا هي سيكولوجي ــ كما ستكون ــ ولا هي علم النفس كما ستترجم .

٢٨ ــ ص ٢٩٠ يستعمل (لأول مرة ؟) الترجمة بدل التعريب فقد جاء سؤال هو :

«ما هي الترجمة الصحيحة لكلمة ''Libres penseurs'' التي ترجمت «أحرار الفكر» ... فكان جوابه «ليس معنى «Libres Pensers» أحرار الفكر لأن كل إنسان قد يكون حرّ الفكر ولا يكون Libre penseur بالمعنى الذي اصطلحوا عليه وهو أن لا يقبل شيئاً إلّا إذا أثبته العقل . وقد ترجم ابن رشد هذه الكلمة (أهل التحقيق) ونقلها عنه رنان في كتابه ...» .

لقد استعصت علينا ترجمة المصطلح حتى صارت «الليبراليون» تقريباً .

٢٩ ــ ص ٣٢٥ كأنه يستعمل «الأخصّاء» لأول مرة لذا شرحها بين قوسين (انصراف كل عالم إلى علم) ترجمة لـ Spècialiste .

٣٠ ــ ص ٣٣٦ يستعمل «نظراً لما ..» ويجمع «الدَّير» على الديور .

٣١ ــ ص ٣٦١ «حكمة العرب والعجم» والمقصود بالعجم من لم يكونوا عرباً ، وفيهم (الفرس واليونان والرومان) .

٣٢ ــ ص ٣٧٩ «حاضرة الجزائر» وكأن «عاصمة» لم تكن بعد .

٣٣ ــ ص ٣٧٩ وردت «استلفات النظر» . والمطلوب لفت النظر .

٣٤ ــ ص ٣٧٩ «طالب العضوية في المؤتمر» العضو ترجمة member .

٣٥ ــ ص ٣٨٢ يعيد ما كتبه في كتاب «ابن رشد وفلسفته» معللاً قلة اهتمام العرب بالمؤلفات الأدبية اليونانية .

٣٦ ــ نشر في هذا العام من أعوام «الجامعة» من كتبه «الدين والعلم والمال ــ المدن الثلاث» ١٩٠٣ ، و «الوحش الوحش الوحش أو سياحة في أرز لبنان» ١٩٠٣ . قال في مقدمة «الدين والعلم والمال» : «وقد سميناه هنا (رواية) على سبيل التساهل لأنه عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي ..» ونشر تكملة ما سار في نشره خلال السنة الماضية من كتاب رنان ــ تاريخ المسيح .

٣٧ ــ نشر «الدين والعلم والمال» في آخر الجزء الرابع (يونيو ١٩٠٣) ، ونشر «الوحش الوحش» في آخر الجزء الخامس (أغسطس (آب) ١٩٠٣) . ثم جمع ثلاثة أجزاء (هي ٦ ، و ٧ و ٨) في جزء واحد جاء أصغر حجماً من سابقه ثم جمع الجزءين التاسع والعاشر في جزء واحد ختم به السنة الرابعة قائلاً : « بهذا الجزء... والكتاب الملحق به انتهت السنة الرابعة ... أما الكتاب الملحق بهذا الجزء فهو كتاب (تاريخ يسوع) مضافاً إليه عدة إضافات إذ لم يكمل نشره قبل الآن ... وهو يهدى إلى كل مشترك سدد قيمة الاشتراك» . ويفهم جيداً من هذا أن «تاريخ يسوع» طبع كتاباً مستقلاً عن الجزء ومن هنا جاء الجزء صغيراً (كما هو في الطبعة المصورة التي بين أيدينا ــ طبعة دار صادر بيروت) .

وجاء في مقدمة خاتمة السنة الرابعة : «وبناء على ذلك تكون الكتب التي أصدرتها الجامعة في سنتها الماضية (الرابعة) هدية لمشتركيها أربعة وهذه أسماؤها (١) تاريخ المسيح . (٢) أورشليم الجديدة . (٣) سياحة في أرز لبنان . (٤) الدين والعلم والمال» .

وقد رأينا ثلاثة من هذه الأربعة وبقي «أورشليم الجديدة» نبحث عنه ملحقاً بجزء فلا نراه (في الطبعة التي بين أيدينا) ، ولكنه طبع في هذه السنة (١٩٠٤ ــ فبراير (شباط) دون شك ، ولعله صدر مستقلاً . ومن ثم جاء الجزء المزدوج (٩ و ١٠) صغيراً في ٤٠ صفحة .

ومن المفيد أن نذكر أن دار الطليعة ــ بيروت أدخلت «فرح أنطون» في أسماء سلسلة «التراث العربي المعاصر» وأصدرت له الحلقة الأولى : «المؤلفات الروائية» : «الدين والعلم والمال» ، «الوحش ، الوحش ، الوحش أو سياحة في أرز لبنان» و«أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس» ، بيروت ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ . قدم لها : د . أدونيس العكرة» وفي «نبذة عن حياة فرح أنطون ومؤلفاته» . وأكثر ما اعتمد العكرة على يوسف أسعد داغر ــ مصادر الدراسة الأدبية ج ٢ ..

بدا فرح أنطون في مقدمة «أورشليم الجديدة» أكثر ثقة في الفن الروائي وإن كان فكرياً أكثر منه فناناً ، بل إن روايته ــ شأن الروايتين السابقتين ــ لم تجد مجالاً في التاريخ الفني للرواية العربية ــ إنها رواية تعليمية فقط ، تتخذ الفن وسيلة تبسيطية ليس غير .

وردت في هامش الرواية (ص ٢١٠) كلمتان أثبتهما برسمهما الفرنسي هما : Reàlistes و Idèalistes وكأن مقابلهما لما يولد . وقد شرح الكلمة الأولى بـ «أصحاب الأعمال» والثانية بأصحاب الأفكار ... ومعلوم أنهما سيكونان : الواقعيين والمثاليين .

وقد ذكرهما في معرض النزاع بين الفلاسفة والباحثين. وذكر أميل زولا داعية العمل ، وتولستوي «أن الفكر مقدم على العمل» .

(٢)

الجامعة ــ مجلة اجتماعية تهذيبية تاريخية . السنة الخامسة . الجزء الأول . نيويورك أول تموز (يوليو) سنة ١٠/١٩٠٦ جماد أول سنة ١٣٢٤ ــ الجزء العاشر ، نيويورك كانون الأول (ديسمبر) سنة ٢٦/١٩٠٧ شوال ١٣٢٥ .

١ ــ أ ــ وهكذا انتقل من الإسكندرية إلى نيويورك .
ب ــ تهذيبية . لعلها تعني ــ أكثر ما تعني ــ ثقافية ، وكأن كلمة ثقافية لما تولد أو لما تنتشر .
جـ ــ جماد أول : جمادى الأولى .
٢ ــ استهلها بتحية تمثال الحرية .
٣ ــ في موضوع «بنات الأزبكية الجميلات أو آفة مصر الجديدة» يقصد ما عرف ببنات الهوى وبيان ضررهن ويقول : «إن قولك هذا يوهم بأنه يجب أن يحملن وحدهن تبعة الحالة الهائلة التي أمسين فيها . ولكنك إذا بحثت قليلاً وجدت العكس . اقرأ ما كتبه عنهن إسكندر ديماس الصغير (...) وأبوه ديماس الأب وفيكتور هيغو والفريد دي موسه فترى ما يستدر الدموع ويحني الضلوع . فإن الأول كتب فيهن (لادام أو كاميليا) والثاني (فرناند) والثالث (ماريون ديلورم) والرابع (برنرت) ...» .
لادام أو كاميليا هي التي نقلت إلى العربية بعنوان : غادة الكاميليا .
«اقرأ .. فترى ..» إقرأ .. تر ..
الهائلة : المزرية ، الرهيبة ..
٤ ــ يواصل في هذا العدد بحث «فلسطين وأشهر بلدانها» ــ وقد استمر قبل ذلك في عدة أعداد فاتتنا الإشارة إليها . ويصلح أن يعاد طبع البحث في كتاب مستقبل .
٥ ــ ويكتب في العدد الأول هذا عن أسباب انتقال الجامعة إلى نيويورك .. ويذكر أنه صرف عشر سنوات في الاستعداد لإصدار الجامعة» ...
٦ ــ ص ٢٤ : رقبنا أحوال بلاد شرقية : يريد راقبنا ، أو لاحظنا .
٧ ــ يبدأ بحث «الشيخ محمد عبده» ، «جمال الدين الأفغاني» ...
٩ ــ وفي زيارته بيت جاك روسو ومدام وارين في شمبيري (فرنسا) أعلن عن حبه الشديد لروسو وتأثره بمبادئه .
فضل استعمال «الطريق» مؤنثة .
واستعمل من قبل الحكومة (ص ٤٣) ــ وسيستمر فينا هذا الاستعمال ويتفاقم ولم يحل دون ذلك تنبيه اللغويين إلى الخطأ ..
واستعمل «الذين ينوقون الأدب» (ص ٤٤) مما صار : يتذوقون .
١٠ ــ ص ٤٧ خبر إعجاب «سيد شعرائنا حافظ إبراهيم» بشكسبير وشروعه «في تعريب رواية مكبيث» من الفرنسوية إلى العربية» ...
أما «مراسحنا» ... (ص ٤٧) ما زالت «مراسحنا» هي المستعملة ، وهي هنا على لسان أديب مصري هو محمد لطفي جمعة ، بانتظار أن يحل محلها ــ في مصر خاصة ــ مسارحنا .
١١ ــ ج ٢ ، ص ٥٧ «يحمل صندوقة» ــ لعله استعمال لبناني يؤنث «صندوقاً» .
١٢ ــ ص ٦٤ : «إحدى روايات الجامعة . لم تنشر قبل الآن . ابن الشعب» « .. نلخص لقراء الجامعة الرواية الجديدة التي أخذها منا الشيخ سلامة حجازي هذا العام ومثلها قبل سفرنا من الإسكندرية في ملعبه في القاهرة وملعب زيزينيا في الإسكندرية . وقد اشترى الشيخ حق تمثيل هذه الرواية من صاحب الجامعة بسبعين جنيهاً انكليزياً وقال حين دفعه إليه : إن أغلى ثمن بيعت به رواية عربية من حين إنشاء الروايات باللغة العربية ...» .
١٣ ــ يترجمون Théatre بالملعب ، يجمعونه على «ملاعب» ... مع بقاء كلمة ــ تياترو .
١٤ ــ من رأيه ص ٧٩–٨٠ «أننا كلنا في الشرق لسنا في هذا الفن إلّا جماعة أطفال . ومن يريد ترقية التمثيل حقيقة في مصر فعليه قبل كل شيء أن يرسل بضعة شبان إلى مدرسة التمثيل في باريز (كونسرفاتور) ليتلقى فيها أصول هذا الفن من جهة الإلقاء والإيماء ومن جهة البسيكولوجيا كما قلنا ذلك لنفس الشيخ سلامة» .
١٥ ــ ص ٧٩ «ملخص أقوال جميع الجرائد .. في نحو ثلاثة أعمدة» .
أعمدة ، جمع عمود ، مصطلح صحفي يترجم Colonne الفرنسية وهي تعني ــ في الأصل ــ العمود وستشيع مصطلحاً في صحافتنا .
١٦ ــ ص ٨٠ «هذا المطلب يعيدنا إلى ذات الموضوع الذي ..» : استعمل ذات ويريد إلى الموضوع نفسه .
وقد أكثر اللغويون من بيان الخطأ في ذلك ولكن الاستعمال شاع وذاع ..
١٧ ــ ص ٨٥ «انحجاب» المجلة ، مما صار احتجاب .
١٨ ــ ج ٣ ، ص ١٣٠ يستعمل «الناقدين» لا النقاد ويستعمل كذلك «النَّقدة» .. «وجدنا ريحان تمثيلاً ، وإلقاء وتأثيراً دون شهرتها» ــ لبيان تاريخ استعمال كلمة «إلقاء» .
ــ ج ٤ (أول أيلول ١٩٠٦) ص ١٥٧ «التلغراف اللاسلكي» كانت الجامعة فيما نظن أول من سمى «التلغراف» بلاسلك «لاسلكي» قياساً على «اللانهاية» و «اللاأدرية» وذلك في مقالة عنوانها «افريقيا والمسيو هانوتو» في سنتها الرابعة . ويظهر أن الكتاب اصطلحوا اليوم على هذه التسمية» ــ اقصد اللاسلكي ..
١٩ ــ يترجم ص ١٧٤ Renaissance بالنهضة . وقد شاعت وصار لنا عصر النهضة .
٢٠ ــ يعلن ص ١٧٦ عن «العام الجديد» أو مريم قبل التوبة . هي رواية غرامية اجتماعية تاريخية فلسفية تأليف صاحب الجامعة على نسق «أورشليم الجديدة» له أيضاً ... وستكون الرواية أفضل ما كتبه صاحب الجامعة إلى الآن . ونبدأ بنشرها في الجزء التالي .

٢١ — ج ٥ (١٥ أيلول ١٩٠٦) كان يستعمل البوستة أما الآن فالبريد (ص ١٨٣) .

٢٢ — ص ١٨٥ — «التعصب الجنسي» يريد بالجنسي ما سيكون القومي . وتكرر ويختلط لديه بالوطني ، وهو يترجم به «الناسيونالست» «.. إن كل أمة من الأمم تعلّم اليوم أبناءها في المدارس أنها خير الأمم وأعظمها ، والغرض من ذلك إثارة حماستهم لوطنهم وزيادة وطنيتهم ...» ، «إن التعصب الجنسي يصح أن يكون سلكاً لنظام أمة لأنه مدعاة إلى جمعها بعضها إلى بعض» .

٢٣ — ص ٢٠٨ «حين وطأت قدمي أرض أميركا الشمالية» — ومرت من قبل كذلك يريد : وطئت .

٢٤ — ج ٦ (١ تشرين الأول ١٩٠٦) ص ٢٢٣ يوضح الصحيح في ترجمة ناسيونالست : « ... نشير إلى خطأ في الترجمة يقع كلما بحثت الجرائد الأوربية في «حزب مصر الوطني» فهي تسميه Nationalist والمترجمون إلى العربية يترجمونها «وطني» وهو خطأ لأن كتاب أوربا وساستها يريدون بهذه الكلمة معنى آخر . فعندهم كلمتان الأولى Patriote أو National والثانية Nationaliste فمعنى ناسيونال عندهم ما نُخصّ بالأمة (Nation) كالراية والجيش والحكومة وباقي المصالح . ومعنى (باتريوت) (وطني) من (Patrie) وهو الرجل الذي يحب وطنه ويسعى في نفعه وأما كلمة Nationaliste فمعناها الحزب الذي يتألف في الأمة من أناس غرضهم تفضيل وطنهم على باقي الأوطان — تعريف لاروس — ولا نعلم بما نترجم الكلمة (ناسيونالست) ولذلك نبقي لهذا الحزب هذا الاسم» (حزب الناسيونالست في مصر) ...

٢٥ — مرت في هذا العام مضائق جمع مضيق : مضايق .

٢٦ — ص ٢٤٨ «لخطارة الموضوع» : لخطورة الموضوع ...

٢٧ — ص ٢٥٤ «آفات المدينة الحاضرة .. الزي «الموضة» ..»

٢٨ — بدء رواية العام الجديد نيويورك — أول أكتوبر (تشرين أول) ١٩٠٦ .

٢٩ — ج ٨ (١ تشرين الثاني ١٩٠٦) ص ٣٠٥ — ٣١١ «إنشاء الروايات العربية» موضوع يصلح وثيقة في النقد الأدبي وفي الفن القصصي خصوصاً .

يعترض على كلمة «رواية» ويدعو إلى استعمال «قصة» قال : «كثر في السنوات الأخيرة وضع القصص العربية فقلما يمر شهر إلا وتصدر بضع منها في البلاد التي فيها مطابع عربية . وهم يسمونها «روايات» وهذا خطأ في التسمية لأن «الروايات» في اللغة الأحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان عن فلان . فيلزم أن يكون هناك راوٍ ومروي عنه وحديث مروي . فاسمها الحقيقي إذاً «قصة» لأنها عبارة عن أحاديث ووقائع يتخيلها المؤلف ويقصُّها على قرائه ... « هذا خطأ اصطلاحي ..» (ص ٣٠٥) .

ويؤرخ للحال التي عليها الروايات آنذاك فيقول (ص ٣٠٦) : « ... إن كل من أمسك قلماً في هذه الأيام يرى نفسه قادراً على وضع رواية لأن كل إنسان يقدر على قص قصة وسرد حوادث يتصورها . وجميعهم يعلمون أن فن الروايات «علم بأصول» ولكنهم يجرأون مع هذه على وضع هذه الروايات لثلاث أسباب . الأول انعدام حرية النقد أو بعبارة أخرى الجهل بحقيقة هذا الفن للإقدام على نقده . والثاني اعتبار القراء في الشرق الرواية عالماً خيالياً يُلهى به ساعة أو نصف ساعة فلا يطلبون فيه غير قطع الوقت . والثالث قلة القراء في اللغة العربية فالروايات التي تظهر فيها لا يستفيد منها مؤلفوها فائدة حقيقية إلّا إذا كانوا أصحاب مكاتب ومطابع صناعتهم التجارة بالكتب . ولذلك قلما ترى كاتباً يجهد قريحته ويكد فكره وينضج رأيه في وضع رواية مهمة لأنه يعلم أن الفائدة التي تنشأ منها لا تعدل التعب الذي يُبذل في تأليفها وطبعها ؛ والجمهور لا يفهم منها سوى قصتها ...» — صحيح يجرأون : يجْرؤون .

بين «الصفات اللازمة للروائي ليصح أن يكون ما كتبه معدوداً في جملة الروايات الحقيقية أي عوالم خيالية تنطبق صفاتها وأخلاقها على العوالم الحقيقية انطباقاً كلياً كأنها صورة لها وكأن أشخاصها أشخاصها مع زيادة في الصبغة الايديالييستية فيها ليكون غرضها رفع النفوس بدل انحطاطها» — يريد بالايديالييستية : المثالية . Idealisme

وعدد هذه الصفات (ص ص ٣٠٧ — ٣١١) .

١ — قوة الاختراع ...

٢ — قوة الحركة ...

٣ — وحدة السياق وتنوع الموضوعات .

٤ — قوة البسيكولوجيا والسسيولوجيا ... علم البسيكولوجيا أو «علم النفس والأخلاق» .. وهو قسمان مصنوع ومطبوع أي اكتسابي وغريزي... والبسيكولوجيا الغريزية .. هي من الطبيعة لتلك النفس .. السسيولوجيا أي علم الاجتماع البشري ... أو غوست كونت واضع الفلسفة الحسية أو الوضعية ...» .

٥ — درس هذا الفن ... الروائي لا يصير روائياً إلا بدرس فنه . ولكن ليس للروايات مدرسة تعلم فيها أصول هذا الفن وإنما مدرسته أمران : الأول (مطالعة روايات أكابر المؤلفين) والثاني (مطالعة كتابات مشاهير نقادي الروايات) ... النقدة .. النقدة .. النقدة .. نقد سارسي كبير النقادين في القرن التاسع عشر بعد سنت بوف يكتب في جريدة الطان ... نقد المسيو أميل فاكه في جريدة الدبيا وهو من رجال الأكاذمي وأشهر النقدة الفرنسويين اليوم . على أن

كتب النقد الروائي كثيرة في اللغة الفرنسوية لمن يطلبها . وهم أهم وأصح من الكتب الغير الفرنسوية .. صحيح الغير الفرنسوية : غير الفرنسوية أو الفرنسية .

٦ ـــ عاطفة الجمال ـــ والشرط السادس والأخير من شروط وضع الروايات التزام (عاطفة الجمال) فيها لأن تأثيرها وحلاوتها متوقفان على ذلك . ويدخل في هذا أمران . الأول (جمال موضوعها) والثاني (جمال سبكها) أما جمال موضوعها فمتوقف على الإجادة في الصفات الخمس التي تقدم بسطها . وأما جمال سبكها فالمراد به نسجها بلفظ عذب ومعنى طلي وروح جلي فيجد القارىء حين مطالعتها من الحلاوة ما يستأسر لبه .. الجفاف والجمود .. مما لا يقبل في الروايات أصلاً لأن العمدة في الروايات إنما هي على التأثير في نفس القارىء لجذبه إلى مبادئها وشرح صدره بحلاوتها .

يستأسر : يأسر .

٣٠ ـــ ج ٩ (١٥ تشرين الثاني ١٩٠٦) ص ٣٣١ ـــ ٣٣٩ «الروايات العربية وأنفعها لنا التاريخية أم الاجتماعية» وكان الكاتب مع الاجتماعية . «ومن الكتاب من رأى الروايات التاريخية «كمالية» هي «أمر كمالي» .

وورد في كلامه في معرض «الدفاع عن الروايات الاجتماعية والفلسفية» «إن بعض الكتاب رأى أن هذه الروايات «روايات كمالية» لا نحتاج إليها في هذا العصر بل نحتاج إلى روايات Pratique ... وورد في الكلام كونت صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme ... ومنهج زولا في كتاباته الناتوراليستية (تقليد الطبيعة) .. ومنهج فيكتور هيغو في كتاباته الرومانتيكية الايديالستية .

وقال (ص ٣٣٨) : «إن الأدب الكتابي في الفلسفة نوعان Idealiste و Realiste ... الثاني يعتمد على الطبيعة وقواتها وتقليدها . الأول يقول صوّروا ما هو أسمى من الطبيعة لرفع النفوس به . والثاني يقول إن ما هو أسمى من الطبيعة خيالي وهمي أو كمالي وحسبنا الطبيعة وتقليدها وتصويرها لأن فوائدها Pratique .

إن هذه المقالة وثيقة أخرى في تاريخ النقد الأدبي الحديث وبيان جهد الرواد وإخلاصهم وسعيهم ..

٣١ ـــ ص ٣٥٨ (١٩٠٦) «اتفقت اللجنة التي شرعت في مصر في إنشاء (الكلية) وجمع المال لها على تسميتها (الجامعة المصرية) .ـــ لعل هذا أول استعمال لكلمة «الجامعة» ترجمة لـ Université لتحل محلها ما رأينا بلفظ «الكلية» ... وستصير الكلية Facualtè جزءاً من الجامعة ..

ـــ أعلن (ص ٣٥٩) عن قراره بإصدار «جريدة الجامعة اليومية» وجعل «الجامعة» شهرية وزيادة في أبوابها وصفحاتها .

٣٢ ـــ ص ٣٨٢ «أول مطبعة في مصر ، أنشأها المسيو مارسيل المرافق لحملة نابليون على مصر» ١٧٩٨ .

٣٣ ـــ ص ٤٧٣ ـــ أيلول ، ١٩٠٧ «من بكين إلى باريز على أتوموبيل» ترجمته بالسيارة لما تولد . وربما ورد في الكلمة «المركبة» مركبة فلان يريد أوتوموبيله .

(٣)

الجامعة ـــ مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تأريخية . تصدر في نيويورك وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق . الجزء (١) السنة السادسة . نيويورك شباط ـــ (فبراير) سنة ١٩٠٨ ـــ محرم سنة ١٣٢٦ ـــ الجزء (١٠) نيويورك ـــ تشرين الثاني (نوفمبر سنة ١٩٠٨ ـــ شوال سنة ١٣٢٦) .

١ ـــ ص ٤٧ جواب لتولستوي مع البولونيين ضد حكومة بروسيا . وتنظر لورود اسمه وفكره ص ٢١٢ .

٢ ـــ ص ١٠٤ : «الراوي هي مجلة روائية يصدرها كل أسبوع جناب الكاتب الفاضل طانيوس أفندي عبده في الإسكندرية ويتضمن كل جزء منها قسماً من رواية وعدة صفحات فيها فوائد وأدبيات غاية في الرقة والفائدة ..» ـــ مايو ١٩٠٨ .

٣ ـــ ص ١٣٧ «أعضاء اللجنة العاملة لجمعية السيدات السوريات الخيرية في نيويورك» ... السيدة سليمة مدام عارف الخوري .. السيدة ألماس حلبي ...» .

أ ـــ مدام تعني زوجة .

ب ـــ وقد ذكرت بعد كلمة «السيدة» في كثير من الأسماء . ولم تذكر في أسماء أخرى .

جـ ـــ فهل يعني عدم ذكرها أن «السيدة» هذه غير متزوجة . وأن كلمة «الآنسة» لم تولد بعد ؟ وأن المؤلف تجنب كلمة «المدموازيل» ؟

٤ ـــ ص ١٨٦ «الأدبيات تتمشى على نواميس الطبيعيات» ويقصد بالأدبيات ما كان في الإنسان وللإنسان مقابل ما في الطبيعة وللطبيعة . ويريد العوالم العقلية والاجتماعية . واستعمل «النفسانية» و «الأفعال النفسانية» ويريد الإرادة «والإباءة» والعواطف (وهي قلبية) .ـــ يوليو ١٩٠٨ .

٥ ـــ ص ٢٠١ ـــ ص ٢١١ ، ج ٨ ، س ٦ ، أيلول ١٩٠٨/شعبان ١٣٢٦ خطبة أنطون فرح التي كتبها أمام شلال نياغرا . وقد اشتهرت عنه واشتهر بها لجمالها في النثر الأدبي . وأوضح في العدد التالي أنه قلد فيها خطبة رنان لدى الأكروبول . وذكر خطبة رنان .

١٠ ـــ ص ٢٣٢ (أيلول ١٩٠٨) : «تلفون لاسلكي بين أوربا وأميركا» وسيقول في عدد لاحق «التلغراف اللاسلكي » (كما قال في عدد سابق) .

١١ ــ ص ٢٦٤ «كثيرون من المشتركين ...» وهكذا ، ومنذ الأجزاء الأولى للمجلة ، لا يستعمل «كثير من ...» .
١٢ ــ ص ٢٧٤ «حالاً ... وسابقاً ...» هي التي ستصير حالياً ... وسابقاً .
١٣ ــ توقف من روايته مريم قبل التوبة بالصفحة ٩٢ من الجزء الخامس ثم شغل عنها بالسياحة والدعوة إلى الزراعة ووعد بإكمالها .. ولم .
١٤ ــ ص ٢٠٠ ، استعمل «أشغل» مكان شغل .
١٥ ــ ص ٢٢٥ ــ «إصلاح تركيا ...» استعمل قبل الدخول في صميم الموضوع كلمة «فذلكة تاريخية في القرن الماضي ..» كأنه يريد بها المقدمة أو التمهيد . والكلمة مما كان مستعملاً ...
١٦ ــ ص ٢٢٤ «استلفات نظر» يقصد لفت نظر بمعنى الإعلان والتنبيه .

(٤)

الجامعة ــ مجلة علمية اجتماعية أدبية . تظهر في القاهرة مرة في الشهر . أنشئت سنة ١٨٩٩ لمنشئها فرح أنطون . السنة السابعة . الجزء الأول ديسمبر ١٩٠٩ ــ ذو الحجة ١٣٢٧ ــ الجزء الثاني، يناير ١٩١٠/محرم سنة ١٣٢٨ .

١ ــ ص ٣٨ «السينا توغراف (الصور المتحركة) ..
٢ ــ ص ٧٩ «مس كولد إحدى السيدات الفاضلات .. بقلم مدام روزا حداد (المدموازل روزا أنطون قبلا) صاحبة مجلة السيدات ...» .

مع أن «مس» غير متزوجة . يريد الحديث عنها بالسيدة . وكأن «سيدة» للمرأة مطلقاً .. وأن كلمة «الآنسة» لما تولد . كانت روزا مدموازيل روزا أنطون ، أما الآن وقد تزوجت فهي مدام روزا حداد (حداد، نقولا حداد الذي تزوجها) .
٣ ــ مطبوعات جديدة ص ١١٤ «حديقة الفكاهات . ظهر الجزء الواحد والعشرون من السنة الثانية (الحديقة الفكاهات) وهي المجلة الروائية الفكاهية التي يصدرها في الشهر مرتين جناب إبراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر ..» .

٤ ــ ص ١١١٤ «مملكة جهنم ورأي تولستوي في إصلاح البشر . هي رواية وضعها الفيلسوف تولستوي وعربها جناب الأديب سليم أفندي قبعين . وقد عربها أيضاً منذ سنتين جناب الأديب قسطنطين أفندي ملحم من أدباء اسكلة طرابلس الشام ونشرها في جريدة الجامعة في نيويورك ولكنها لم تجمع على حدة ..
٥ ــ ص ٢ يستعمل للمرة الثانية كلمة «الجامعة المصرية» ويفسرها لأنها لم تكن موجودة من قبل قال : « ... نعني المدرسة الكلية العليا التي أنشئت في القاهرة باسم (الجامعة المصرية) Université Egyptienne ومعلوم أن في بيروت كانت جامعة قبلها ولكنها تسمى «الكلية» وإن كانت ترجمة للكلمة نفسها . ومعلوم كذلك أن «الجامعة المصرية» فتحت أبوابها سنة ١٩٠٨ .
٦ ــ لم يواصل نشر فصول روايته «مريم قبل التوبة» وإن كان مخططها جاهزاً لديه وكذلك مادتها لكنه يحتاج إلى وقت للصياغة . وهو هنا يقول : «لم ننشر تتمة هذه الرواية ...» و «سنتم طبعها على حدة ونعلن ذلك حين فراغنا منه» .

ويبدو أنه لم يفرغ ... وسيقول مارون عبود إن فرح أنطون لو أكمل قصته «مريم قبل التوبة» لكانت من الروائع العالمية (!) .
٧ ــ شرع في ترجمة كتاب نييتش (وهو معجب به ، نشر عنه وله غير قليل ، إلى جوار إعجابه بتولستوي) : «زاراتوستر» : «هكذا قال زاراتوسترا» (يقصد زرادشت) وسماه «رواية» .
كما شرع في ترجمة «ملفا» إحدى روايات مكسيم غوركي .
٨ ــ صدر عددان فقط من السنة السابعة . ونكرر أننا نعتمد على ما صورته دار صادر ــ بيروت لمجلدات «الجامعة» ومر من الأدلة ما يؤيد أن التصوير لم يكن أميناً جداً . ومن ذلك نقص في الصور التي وردت في الأصل .



كتب الأطفال المصوَّرة بين عالمين

محمد بسام ملص

أقيم في مدينة كولن في جمهورية ألمانيا الاتحادية في الفترة ما بين ٦/١٧ ــ ١٩٨٨/٩/١١ م معرض لكتب الأطفال المصورة تحت عنوان «العالم المرئي ــ ٦ قرون على الكتب المصورة للأطفال والفتيان» .

Orbis Pictus: 6 Centuries of Illustrated Books for Children & YOung People.

وقد قامت إدارة المعرض القيم بإصدار مجلد باللغة الألمانية يضم عناوين الكتب التي عرضت في المعرض منذ عام ١٤٦١ م وحتى عام ١٩٨٧ م[١]. وقد تجاوزت الكتب المعروضة ، وهي كتب مصورة موجهة للأطفال على اختلاف أعمارهم ، ألفين وتسعمائة وسبعين كتاباً بلغات مختلفة ، منها الألمانية والإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية وحتى العبرية ، مع غياب كتب باللغة العربية . ولا ندري لماذا لم تلتفت إدارة المعرض إلى كتب الأطفال باللغة العربية . لقد اهتم المجلد ، مثلما اهتم المعرض ، اهتماماً واسعاً بالرسوم في كتب الأطفال ، فجاءت كثير من صفحاته شاملة لرسوم من الكتب التي عرضت حتى تعطي قارىء المجلد الذي لم يتمكن من مشاهدة المعرض فكرة عن تطور كتب الأطفال والرسوم فيها .

ولا أريد في هذا المقام أن أغفل عن العناية التي بذلت في إخراج المجلد نفسه لمساعدة المهتمين في أدب الأطفال . فقد أُعطي لكل رسم رقم ليرجع القارىء إلى نهاية الكتاب ويتعرف إلى معلومات أساسية عن الكتاب من حيث المؤلف/المعد والرسام ومكان النشر والناشر وتاريخ النشر ، إضافة إلى عدد الصفحات ونوع الرسوم (أبيض وأسود/ألوان أخرى) وحجم الكتاب . هذه المعلومات تغطي بشكل عام الكتب المعروضة . فلنا أن نتخيل الجهد الذي بذل لجمع هذه المعلومات ، وخاصة إذا كان الأمر يرتبط بكتب أنتجت قبل مئات السنين ولا يقتصر فقط على هذا القرن ! إنه أمر يتصل بإتقان العمل عندهم !!

ومن أبرز الجهود في المجلد المتفرد نفسه : الاهتمام الواضح بالموضوع ، إذ إن هناك تقسيماً في مجال الموضوع . فهناك كتب عن الديانات[٢] وأخرى عن التفرقة العنصرية والاستعمار[٣] وهكذا . وهناك تقسيم آخر يشمل الفترات التاريخية مثل فترة الإصلاح الديني في أوروبا وعصر الباروك[٤].

ومن المميزات الأخرى للمجلد القيّم وجود كشافات خاصة بالمؤلفين وثانية بالرسامين وثالثة بالعناوين ورابعة بالناشرين ، إضافة إلى وجود ثبت تاريخي بسنوات النشر يبدأ منذ عام ١٤٦١ م وهو يشير إلى كتاب لمؤلف اسمه Ulrich Boner[٥] يتناول موضوعه القصص الخرافية Fabeln und Reineke Fuchs[٦] وإن كان هناك من يعتبر أن ظهور أول كتاب مصور للأطفال كان عام ١٦٥٨ م[٧] وهو كتاب Orbis Pictus[٨].

إن قيمة المعرض وقيمة المجلد المنشور عنه تعتبران حدثاً مهماً في مسيرة كتب الأطفال المصورة ، لأنهما تعبير عن الاهتمام بهذا الجانب المهم في حياة الطفل ، وأعني به الكتاب . كذلك فإن المعرض والمجلد المتميز يثيران بعض الألم في النفس لحال كتب الأطفال في العالم العربي . ولكن أرجو ألا يفهم القارىء الكريم أني أحاول أن أقدم صورة قاتمة عن كتب الأطفال في العالم العربي ؛ فهناك محاولات طيبة للاهتمام الجاد والعلمي بهذه الكتب من قبل بعض دور النشر عامة وخاصة ، وإن كان أمر نشرها لا يمثل إلا جانباً واحداً من جوانب العناية بكتب الأطفال . فعملية نشر الكتب وحدها ليست كافية لتحقيق الفوائد المرجوة بالنسبة للأطفال .

وأراني في هذا الأمر أتوقف لحظات ، قبل أن أكمل الحديث عن معرض الكتب ، لأشير إلى أمر ترويج كتب الأطفال من خلال تجربة أحببت أن أذكرها لأهميتها . فقد تسنى لي حضور مسرحية للأطفال ، وبعد انتهاء المسرحية قامت مشرفة على النادي الذي قدم المسرحية بعرض كتاب من الحجم الكبير ''oversize'' وراحت تشجع الأطفال الحضور (من مدرسة خاصة في الصف الثاني الابتدائي) على قراءة صفحاته وهي تقلبها . وبعد أن استمتع الأطفال بالقراءة ، عرضت المشرفة الكتاب بحجم صغير ليقوم الأطفال بشرائه إذا ما رغبوا بذلك . وبالفعل اشترى عدد من الأطفال نسخاً

منه . وحرصاً من المشرفة على ترويج الكتاب ، فقد طلبت من رسامة قامت بالرسوم للكتاب وكانت حاضرة التوقيع على كل نسخة يشتريها الأطفال .

أردت من تلك الوقفة القصيرة أن أؤكد على أهمية ترويج كتب الأطفال بكل السبل حتى يصل الكتاب إلى أيدي الأطفال فيعيشون معه ويعتبرونه جزءاً أساسياً من نشاطاتهم اليومية ، بدل أن يقضوا أوقاتاً في أمور كثيرة لا تفيد ، لأن أولياء أمورهم لا يملكون الوعي الكافي والاهتمام بتربيتهم على الحياة مع الكتاب .

وأعود إلى أمر المعرض الذي اعتبر حدثاً مميزاً لكل مهتم في أدب الأطفال ورسومها . فالرسوم في كتب الأطفال ليست أمراً مكملاً(٩) أو عنصر تزيين ، وما عادت الرسوم في كتب الأطفال تقف عند هذا الجانب الذي يحدُّ من قيمتها ويقلّل من عطاء الرسام وقيمة عمله ، بل أخذت الرسوم مكانها الصحيح جنباً إلى جنب مع الكلمة بسبب أهميتها في التأثير ونقل الأفكار(١٠). فمن الأمور المسلّم بها أن صورة واحدة قد تغني عن كلمات عديدة . إن الرسوم في كتب الأطفال تتفاعل تفاعلاً موضوعياً مع الكلمات فتمتزج الكلمات معها مثلما تمتزج المواد المكونة لقطعة حلوى فيأكلها الطفل دون أن يميز مادة عن أخرى .

وأهمية الرسوم في كتب الأطفال تبرز أكثر ما يكون في الكتب الموجهة لمرحلة الأطفال المبكرة بشكل خاص ، بل إن الكتب التي تتوجه لأطفال ما قبل المدرسة هي كتب تعتمد في المقام الأول على الرسوم ، إذ يقوم الطفل بقراءة الرسوم التي تفتح أمامه آفاق المعرفة ، فالطفل يستمتع بالكتب التي تخلو من الكلمات ، وهي كتب عادة ما تسرد قصصاً عبر الرسوم .

ومن الأمور الملفتة للنظر في هذا الصدد أن كثيراً من المربين ينصحون الوالدين بتقديم هذا النوع من الكتب عندما يجدان أن طفلهما قد فقد متعة القراءة والاهتمام بها نتيجة لصعوبات تواجهه في اللغة(١١). فالأساس أن يشرف الوالدان على عملية تعلّم طفلهما ، فتكون الكتب التي تسرد القصص بالرسوم فقط عوناً كبيراً للطفل في هذا المجال . وهذا يشجع فكرة أن القصة الجيدة ليست فقط كلمات كثيرة(١٢).

كتاب ثان صدر في بريطانيا عام ١٩٧٥ بعنوان "Walter Crane as a book illustrator"(١٣) «ولتر كرين : رسام كتب» .

يأخذنا الكتاب إلى عام ١٨٦٣ م عندما طلب أدموند إيفانز ، وهو فنان ألوان مائية ورجل أعمال مهتم بإنتاج كتب أطفال مصورة ، طلب من ولتر كرين أن يرسم له سلسلة كتب بدأها عام ١٨٦٧ م(١٤). فأصبحت تلك الكتب من أكثر كتب الأطفال شعبية ورواجاً في وقتها . وقد غدا كرين بأسلوبه المتميز علماً في رسوم كتب الأطفال(١٥). وقد كان لأعمال كرين ومساهماته المميزة في التصميم تأثير عميق ، فجعلت منه علماً مهماً في تاريخ الفن في القرن التاسع عشر الميلادي . وقد صمم كرين ما يقارب من مائة كتاب بين أناشيد للأطفال وحكايات خرافية وقصص منوعة(١٦).

أما الكتاب الثاني (موضوع هذه الوقفة) فقد تميز بشموله ، إذ ضم ١٠٧ لوحة ، منها ١٦ لوحة بالألوان . وتمثل تلك الرسوم نماذج مختلفة من أعمال الفنان كرين . وإذا كان هذا الكتاب هو من باب تكريم فنان كرّس جزءاً من جهده من أجل كتب الأطفال ، فهو يعكس دون شك الاهتمام الواضح برسوم الأطفال وكتبهم ، كما أنه يبين القيمة المعطاة لرسوم كتب الأطفال ودور الرسامين .

والكتاب الثالث عنوانه "Illustrated Children's Books"(١٧) «كتب الأطفال المصورة» لمؤلفه جون بار . وقد قامت المكتبة البريطانية The British Library بنشره عام ١٩٨٦ م. ويكفي أن نعرف أن هذه المكتبة هي المكتبة الوطنية في بريطانيا التي تعتبر من أهم المكتبات في العالم قاطبة . ولوجود نظام الإيداع في هذه المكتبة فقد تمكنت من جمع واحدة من أكبر مجموعات كتب الأطفال في العالم(١٨).

ونظرا لأهمية موضوع الرسوم في كتب الأطفال ، فقد أقدمت المكتبة البريطانية على نشر هذا الكتاب الذي يصف مجموعة مختارة من الرسوم في كتب الأطفال ابتداء من عام ١٦٥٨ م وهو يسجل عام نشر كتاب Orbis Pictus (Visible World) «العالم المرئي» في نورمبرج الذي يضم ١٥٠ لوحة محفورة في الخشب(١٩). وقد قال التربوي التشيكوسلوفاكي Comenius كومينيوس مؤلف كتاب Orbis Pictus إن الصور هي الكتب الأكثر فهماً التي يمكن للأطفال أن يبحثوا عنها(٢٠).

لقد كانت الصور في كتاب كومينيوس أساسية لغرضه التعليمي التربوي ، لأنه يعتقد أن الشيء الذي يمكن استيعابه عن طريق الحواس تستطيع اللغة أن تشرحه شرحاً وافياً(٢١) كان ذلك هو رأي أحد المربين المصلحين في مجال رسوم كتب الأطفال قبل أكثر من ثلاثمائة عام !

والكتاب الرابع الذي أردت الإشارة إليه طريف في بابه ، فهو يتناول طريقة صنع الكتاب خطوة خطوة . وقد تميز هذا الكتاب الموسوم "How a book is Made"(٢٢) «كيف يصنع كتاب» بأنه يتوجه إلى الأطفال (!!!) إذ يبين لهم عبر الكلمة والرسوم خطوات صنع الكتاب بالتفصيل . وهذه تجربة جديدة أقدمت عليها مؤسسة تربوية هي Scholastic تصدر مجلتين متخصصتين لمعلمي الأطفال والفتيان إضافة إلى إصدارات تعليمية منوعة على مدار العام . والتجربة مثيرة حقاً لأنها تبين للطفل كيفية صناعة الكتاب الذي

يقرأه بأسلوب علمي، مع مراعاة عنصري المرح والتشويق. وللأمانة أقول: إن تجربة شبيهة بتلك التجربة قد ظهرت في عالمنا العربي عندما قامت مجلة الأطفال «مجلتي» التي تصدر عن دار ثقافة الأطفال في العراق الشقيق بنشر خطوات تسير عليها مجلة في إطار لطيف ومشوق(٢٣).

وأشير إلى مقابلة جرت بين مديرة قسم كتب الأطفال في مكتبة الكونجرس Library of Congress (تعتبر هذه المكتبة الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية من أضخم مكتبات العالم، ويعتبر قسم كتب الأطفال فيها قسماً متميزاً بما يحويه من كتب للأطفال وبنشاطاته المتفردة) فيرجينيا هافيلاند Virginia Haviland والكاتب الرسام Maurice Sendack موريس سنداك. وقد قام قسم كتب الأطفال بنشر المقابلة في المجلة التي كانت تصدرها المكتبة(٢٤). ثم قام بإعادة طبعها من المجلة نفسها لتوزَّع على شكل مقالة مستقلة (مستلة) في كتيب مزيّن برسوم للكاتب نفسه(٢٥).

وموريس سنداك فنان توجهت الأنظار إليه عام ١٩٥١ م عندما قام برسوم كتاب مارسيل إيميه Marcel Aymé «المزرعة المدهشة» The Wonderful Farm(٢٦) ثم رسم كثيراً من كتب الأطفال وقام بكتابة بعضها بنفسه. ويعتبر كتابه Where the Wild Things Are «حيث تكون المخلوقات المدهشة» من بين كتبه التي نالت شهرة واسعة. ويعدُّ سينداك أول أمريكي يفوز بإحدى جوائز هانز كرستيان أندرسون المخصصة للرسم(٢٧).

ومن الأمور الملفتة للنظر أن سنداك يعترف بأنه لا يكتب بالتحديد للأطفال، فهو يكتب كتباً يأمل بأن يقرأها أي شخص(٢٨). ولعل في هذا الموقف تأكيداً على أهمية أن يحاول الكتّاب أن يضعوا أمام أعينهم جمهوراً أكثر اتساعاً من جمهور الأطفال ليقرأوا كتبهم، وخاصة أن الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمساهمة الكبار في قراءة الأطفال. فالاتجاهات الحديثة في التربية تدعو الوالدين إلى أن يشاركا مشاركة فعالة في قراءة طفلهما، وهو جانب أساسي في تعلمه في البيت(٢٩). ويقترح كاتبان لهما تجربتهما التربوية في تعلم الطفل في البيت من خلال مشاركة الوالدين يقترحان أن يقوم الوالدان بقراءة كتب طفلهما من أجل مناقشتها. كما ينصحان الوالدان أن تتم القراءة هذه أمام الطفل نفسه لتشجيعه ولإعطائه فكرة أن كتبه مهمة للكبار أيضاً(٣٠)، هذه هي أهمية أن يتوجه الكتاب والرسامون في كتب الأطفال لجمهور أكثر اتساعاً من جمهور الأطفال وإن كانت جهودهم تناسب الأطفال.

وأمر آخر يثير الاهتمام في إجابة ذلك الكاتب الرسام أنه يكتب ويرسم وهو يشعر بأنه لا يفتعل العمل ولا يتظاهر، فكل ما يقوم به يعتمد أساساً على ما يثير خياله وعاطفته(٣١). وهذا ما يدفعه للعمل بإحساس صادق. إن المتابع للأسئلة والإجابات المتدفقة في ذلك الكتيب المهم يشعر بقيمة تجربة الكاتب الرسام، ويشعر بقيمة الأسئلة المطروحة التي تحاول أن تستخرج كثيراً مما يلقي الضوء على أعماله. إنه جانب من جوانب الاهتمام، ليس فقط بأعمال الكاتب والرسام، ولكن بالكاتب الرسام نفسه، فلابد من تقدير له. والتقدير ليس شكلياً بقدر ما هو تقدير موضوعي يحاول أن يستفيد من تجربة ذلك الإنسان، وهي تجربة تستحق أن يطلع عليها كل مهتم في أدب الأطفال.

كانت تلك كتباً مختارة هي مجرد أمثلة تسلط الأضواء على الاهتمام الكبير الذي يوليه العالم، خارج العالم العربي، لكتب الأطفال المصورة. وهو اهتمام يوضح التقدير الكبير للدور المهم الذي تؤديه الكتب في حياة الأطفال. وعندما نقول الكتب فإننا نؤكد على حقيقة مهمة وهي التفاعل العضوي بين الكلمة والصورة فيها. ذلك الاهتمام يبين أيضاً أن القائمين على ثقافة الأطفال يدركون الخطورة الملقاة على أكتافهم وهم يتولون رعاية الأطفال وتوجيههم، ومن ثم يسعون جادين من أجل الاستفادة من كل وسيلة تساهم في تقوية بناء هذه الثقافة. إنه توجه علمي جاد قائم على دراسات واهتمامات وجهود وتضحيات ينظر إلى كتاب الأطفال نظرة احترام وتقدير.

ونسمع كلنا عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها العالم، فالدول المتقدمة تشكو مثلما تشكو الدول النامية، ولكننا نرى وسط هذه الظروف اهتماماً غريباً بكتب الأطفال. ومما يزيد الأمر غرابة أن كثيراً ممن يتولون نشر كتب الأطفال في الدول المتقدمة ينتمون إلى مؤسسات خاصة قد لا تلقى أي دعم من الدول نفسها، وأورد بريطانيا على سبيل المثال لا الحصر. ومع ذلك نرى الناشرين يتنافسون على نشر أفضل الإنتاج واستقطاب النخبة من الكتاب والرسامين في ميدان أدب الأطفال.

وحتى تكتمل الصورة، وحتى نجيب على سؤال مهم وهو: «لماذا هذا الاهتمام المدهش بكتب الأطفال؟» نقول: إن نوعية التربية، ولا أقول التعليم فقط، تعتمد في كثير من الدول المتقدمة على «القراءة المنفتحة» التي لا تحدد الطفل أو الفتى وتحصره بكتاب منهجي واحد، بل تطمح إلى الاستفادة من أكبر عدد ممكن من الكتب ذات الموضوع الواحد. وهذا يقود إلى الإشارة إلى أسلوب تعليم مميز يعرف بـ "project" «المشروع» الذي يتيح الفرصة للطفل والفتى أن يعدا موضوعات مختلفة من عدة مصادر معرفية منها الكتب، دون التركيز على كتاب منهجي واحد(٣٢). وهو أسلوب تحاول العديد من المدارس في عالمنا العربي الاستفادة منه ولكن بصورة ضيقة، نظراً لعدم توفر الوعي المعرفي الكافي ولعدم توفر

المواد المعرفية ، وخاصة الكتب المناسبة .

خاتمة :

أؤكد للقارى الكريم ، وأنا أستعرض وضع كتب الأطفال في دول متقدمة ، بأني لا أروج لأية ثقافة دخيلة على ثقافتنا العربية الإسلامية التي نعتزُّ بها ، لأنها مستوحاة من ديننا الحنيف الذي أكرمنا به الخالق سبحانه وتعالى . وإذا كنت قد تناولت عدة كتب أجنبية وعرضتها على القارىء فإني أنطلق من باب طلب العلم الذي قد يكون في الصين ، ولأني أريد أن يكون الخير في أمتي . والله الموفق .

الهوامش

١ ــ Die Bilderwelt im Kinderbuch:Kinder—und Jugendbucher aus funf Jahrhunderten.__ Koln:Stadt Koln, 1988

٢ ــ ibid p. 59-61

٣ ــ ibid p. 93-95

٤ ــ ibid p. 26-30

٥ ــ ibid p. 197

٦ ــ ibid p. 383

٧ ــ هادي نعمان الهيتي . أدب الأطفال : فلسفته ، فنونه ، وسائله ــ بغداد : وزارة الإعلام ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٨٠

٨ ــ Pellowski, Anne Made to Measure:children's books in developing countries.__ Paris:Unesco, 1980 p. 47

٩ ــ أدب الأطفال ، المرجع السابق ص ٢٩٣ .

١٠ ــ McColvin, Lionel R. Public Library Services for Children Paris:Unesco, 1968 p. 66

١١ ــ Griffiths, Alex and Hamilton, Dorotny Learning at Home:The Parents, Teacher, Child Alliance.__ London: Methuen, 1987 p. 30

١٢ ــ ibid p. 30

١٣ ــ Engen, R.K. Walter Crane:as a book illustrator.__ London:Academy, 1975

١٤ ــ ibid p. 2

١٥ ــ ibid p. 2

١٦ ــ (صفحة الغلاف الأخيرة) ibid (back cover)

١٧ ــ Barr, John Illustrated Children's Books.__ London: The British Library, 1986.

١٨ ــ ibid p. 5

١٩ ــ ibid p. 10

٢٠ ــ ibid p. 10

٢١ ــ ibid p. 10

٢٢ ــ Aliki How a Book Is Made.__ London:Scholastic, 1986

٢٣ ــ عبد الإله رؤوف . مجلتي مجلد ١٥ عدد ١ ــ ١٩٨٤/١/٢ م ص ٣ ــ ١٣ .

٢٤ ــ Questions to an Artist who is Also an Author Quarterly Journal of the Libarary of Congress vol. 28 no. 4 Oct. 1971.

٢٥ ــ Questions to an Artist who is Also an Author:A Conversation between Maurice Sendak and Virginia Haviland.__ Washington:Library of Congress, 1972.

٢٦ ــ ibid p. (263)

٢٧ ــ ibid p. (263)

٢٨ ــ ibid p. 266

٢٩ ــ Learning at Home op. cit. p. 38

٣٠ ــ ibid p. 38

٣١ ــ Questions to an Artist... op. cit. p. 266

٣٢ ــ Douglas, Mary P. The primary school library and its services Paris: Unesco, 1961 p. 99

الرسائل الثقافية



رسالة فلسطين الثقافية

ماجد الزبيدي

أمر عسكري إسرائيلي بإغلاق جمعية الدراسات العربية

ناشدت «جمعية الدراسات العربية» في بيان لها في العاصمة الفلسطينية المحتلة ، الرأي العام وكل القوى الديمقراطية والمحبة للسلام في العالم ، العمل على إلغاء أمر الإرهابي الجنرال عميرام ميتسناع قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى ، بإغلاق مقر الجمعية ، اعتباراً من ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٨٩ م وحتى ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٩٠ م .

وقد جاء في بيان جمعية الدراسات العربية : «إن جمعية الدراسات العربية التي تأسست قبل عشر سنوات في قلب القدس العربية لخدمة المجتمع العربي الفلسطيني بصفة عامة وخدمة الدارسين والباحثين والمثقفين بصفة خاصة قد تعرضت خلال السنوات الأخيرة لحملة تحريض سافرة سواء من قبل السلطات الإسرائيلية أو من قبل مؤسسات ومراكز وشخصيات إسرائيلية ، وكل ذلك في سبيل الوصول إلى استصدار أمر إغلاق هذا الصرح الفلسطيني الأكاديمي الشامخ الذي كان وما زال منذ تأسيسه يعنى بالدراسات الأكاديمية والعلمية ويشتغل في مجال التوثيق والمعلومات في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالشعب العربي الفلسطيني وقضية الصراع العربي الإسرائيلي» (التقرير الثقافي ، س ٥ ، ع ٤٦ ، آب (أغسطس) ١٩٨٩ م) .

الإعلام الموحد الفلسطيني وتوثيق الانتفاضة :

صدر عن مؤسسة بيسان للصحافة والنشر (نيقوسيا) عدد من الكتب التوثيقية الخاصة بالانتفاضة الفلسطينية ، منها ــ حسب الصدور الزمني :

١ ــ الانتفاضة : الدم غلب السيف .ــ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨ م ، ٣٦٦ ص ؛ إيض ؛ (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٢) .

٢ ــ الانتفاضة اندلعت لتستمر وتستعر لتنتصر .ــ شباط (فبراير) ١٩٨٨ م ، ٦٠٨ ص ، (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٣) .

٣ ــ الانتفاضة حرب الاستقلال الفلسطيني .ــ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ ، ٥٦٨ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٤) .

٤ ــ سليمان ، محمد (رئيس التحرير)/الانتفاضة خيار السلام العادل .ــ ٣٤٤ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٥) .

٥ ــ سليمان ، محمد (رئيس التحرير)/الانتفاضة رافعة التضامن العربي .ــ تموز (يوليو) ١٩٨٨ م ، ٢٣٠ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٦) .

٦ ــ أن تكون هناك [شهادات] .ــ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ م ، ١٠٢ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٧) .

٧ ــ سليمان ، محمد (رئيس التحرير)/قرار الانتفاضة : فلسطين ستنتصر .ــ ٥١١ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٨) .

٨ ــ سليمان ، محمد (رئيس التحرير)/الانتفاضة تغيير التاريخ .ــ ٦٠٧ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ٩) .

٩ ــ سليمان ، محمد (رئيس التحرير)/الاستقلال .ــ ٣٩١ ص (كتاب فلسطين الثورة ؛ أحداث ــ ١٠) .

● **«ذاكرة النسيان» لمحمود درويش بالعبرية**

صدرت عن دار «شوكن» للطباعة والنشر والتوزيع في تل أبيب ، الطبعة العبرية لكتاب «ذاكرة النسيان» للشاعر الفلسطيني محمود درويش (عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية) .

قام بترجمة الكتاب الذي يرسم بشكل أدبي أخاذ قصة حصار بيروت ١٩٨٢ الشاعر سلمان مصالحة . ويقع في ١٦٦ صفحة من القطع الصغير . ويتضمن كذلك نبذة عن درويش وكتابه بقلم المترجم .

● **«في انتظار النهار»**

مجموعة شعرية ثانية للشاعر منيب فهد الحاج ابن قرية جديدة (محتلة منذ عام ١٩٤٨) . صدرت حديثاً عن دار الأسوار بمدينة عكا (محتلة منذ عام ١٩٤٨) .

ضمت هذه المجموعة ٦٠ قصيدة تمحورت حول الوطن والوجدانيات والغزليات .

● **قصص وطرائف شعبية**

«المقام محفوظ» و «مصّاع الرقاب» مجموعتان جديدتان من القصص والطرائف الشعبية الطريفة ، لعبد الله عيشان من قرية المكر (محتلة منذ عام ١٩٤٨) . وهما الثالثة والرابعة من السلسلة التراثية التي دأب الكاتب على إصدارها منذ بضع سنين .

المجموعتان صدرتا عن «دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر» بمدينة شفا عمرو عام ١٩٨٩ .

جوائز

● **جائزة أديب العربية**

أعلن مركز الأبحاث الإسلامية في كلية الآداب للبنات ، جامعة القدس ، ومؤسسة دار الطفل العربي عن «جائزة أديب العربية» على اسم أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي ، الذي كرّس حياته وجهوده لخدمة دينه ووطنه ولغته

وأدبه العربي داخل الوطن الفلسطيني وخارجه ، والتي تفضل الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي بتخصيصها سنوياً للفائزين بالمسابقة ، وذلك من أجل تنشيط الحركة الثقافية العلمية في بلادنا (الجديد ، مج ٣٨ ، ع ٩ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩) .

• **جائزة اتحاد الكتاب الفلسطينيين**

«قررت الهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة تخصيص جائزة سنوية لأفضل الأعمال الأدبية في مجالات الشعر ، القصة والرواية ، منشورة أو مخطوطة» (الطليعة ، ٢/١١/١٩٨٩) .

سير

راشد حسين

ولد الشاعر والكاتب راشد حسين في قرية مصمص من قرى بلدة أم الفحم سنة ١٩٣٦ ، وانتقل مع عائلته إلى حيفا سنة ١٩٤٤ ، رحل مع عائلته عن حيفا بسبب الحرب عام ١٩٤٨ إلى مسقط رأسه ، وواصل تعليمه في مدرسة أم الفحم ، ثم أنهى تعليمه الثانوي في ثانوية مدينة الناصرة .

بعد تخرجه عمل معلماً لمدة ثلاث سنوات ، ثم عمل محرراً في مجلة الفجر ، المرصاد المصور ، وكان نشيطاً في صفوف حزب العمال الموحد (ميلم) .

ترك البلاد عام ١٩٦٧ إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية هناك ، وسافر إلى دمشق عام ١٩٧١ للمشاركة في تأسيس مؤسسة الدراسات الفلسطينية [قد يكون المقصود مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ، لأن الأولى أسست عام ١٩٦٣ في بيروت] كما عمل فترة من الزمن في القسم العبري من الإذاعة السورية . عاد إلى نيويورك عام ١٩٧٣ حيث عمل مراسلاً لوكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» . توفي في الأول من شهر شباط (فبراير) ١٩٧٧ ، في حادث مؤسف على إثر حريق نشب في بيته بنيويورك ، وقد أعيد جثمانه إلى مسقط رأسه مصمص حيث ووري جثمانه هناك .

مؤلفاته : ١ ــ مع الفجر .ــ الناصرة : مطبعة الحكيم ، ١٩٥٧ (مجموعة شعرية) .

٢ ــ صواريخ .ــ الناصرة : مطبعة الحكيم ، ١٩٥٨ (شعر) .

٣ ــ أمنا الأرض لا تحرمينى المطر .ــ بيروت [د .ن]، ١٩٧٦ ، مع رسومات للفنانة الأردنية منى السعودي (أعيد طبع هذا الكتاب في واشنطن وصدر عن منشورات البيادر [بالقدس المحتلة] عام ١٩٧٧ .

٤ ــ قصائد فلسطينية .ــ الناصرة : لجنة إحياء تراث راشد حسين ، ١٩٨٠ (شعر) .

٥ ــ حيم نحمان بياليك : نخبة من شعره ونثره .ــ القدس : الجامعة العربية ، ١٩٦٦ .

زكي درويش

ولد القاص زكي درويش [شقيق الشاعر محمود درويش] في قرية البروة في ١٩٤٤/٩/٣ . تعلم في مدرسة دير الأسد الابتدائية وأنهى دراسته الثانوية كفر ياسيف . حصل على الشهادة الجامعية الأولى من جامعة حيفا . ويعمل في حقل التعليم مديراً لمدرسة شعب .

مؤلفاته :

١ ــ شتاء الغربة .ــ القدس : مجلة الشرق ، ١٩٧٠ (قصص) .

٢ ــ الجسر والطوفان .ــ القدس : مجلة الشرق ، ١٩٧٢ (قصص) .

٣ ــ الرجل الذي قتل العالم .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٧٨ (قصص) .

٤ ــ حرب حزيران [١٩٦٧] .ــ عكا : دار الجليل ، ١٩٦٧ (ترجمة) .

٥ ــ جاسوس من إسرائيل .ــ عكا : دار الجليل ، ١٩٦٨ (ترجمة) .

٦ ــ الموت الأكبر .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٧٩ (مسرحية) .

٧ ــ لا .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٠ (مسرحية) .

٨ ــ الكلاب .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٨١ (قصص) .

٩ ــ الخروج من مرج بن عامر .ــ شفا عمرو : دار المشرق ، ١٩٨٣ (قصص) .

١٠ ــ الأدب العربي في ظل الحرب .ــ شفا عمرو ؛ دار المشرق ، ١٩٨٤ (ترجمة) .

١١ ــ الجياد (قصص قصيرة) .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٩ ، ٨٥ ص .

سليم خوري

ولد الكاتب المسرحي والقصصي سليم خوري ، سنة ١٩٣٤ في قرية البروة . انتقل مع عائلته إلى البقيعة سنة ١٩٤٨ ، وتابع دراسته الابتدائية في مدرستي الرامة وكفر ياسيف ، ثم أنهى المدرسة الثانوية في كفر ياسيف والتحق بجامعة حيفا . نال شهادة التربية الخاصة من الجامعة العبرية في القدس . شغل منصب سكرتير تحرير مجلة «أولادنا» (١٩٦٦ ــ ١٩٦٩) . ثم استقال من عمله في المجلة ليتفرغ لعمله ودراساته . وفي الفترة ١٩٦٩–١٩٨٥ عمل معلماً للغة العبرية في المدارس التالية : مدرسة المتنبي الثانوية الشاملة ؛ مدرسة الراهبات الثانوية ؛ الكلية الأرثوذكسية العربية . وفي ١٩٨٥ خرج للتقاعد المبكر ، بعد مرور ٣١ سنة من الخدمة في سلك التعليم ، وتفرغ للدراسة والكتابة .

ويعتبر سليم خوري طلائعياً في مجال القصص للأولاد بين الفلسطينيين ، وربما بين كتّاب العربية . يقيم في مدينة حيفا . وقد كتب الكثير من القصص القصيرة والمسرحيات والروايات الواقعية للقراء على مختلف أعمارهم .

مؤلفاته :

١ ــ آمنة .ــ عكا : دار القبس العربي ، ١٩٦٠ (مسرحية) .

٢ ــ وريث الجزار .ــ عكا : دار القبس العربي ، ١٩٦١ (مسرحية) .

٣ ــ الوداع الأخير .ــ تل أبيب : مطبعة دوكمة ، ١٩٦١ (قصص قصيرة) .

٤ ــ معلمون وتلاميذ .ــ الناصرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٢ (شخصيات من التاريخ) .

٥ ــ الملك الحكيم .ــ الناصرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٢ (قصة تاريخية) .

٦ ــ هذا المصير .ــ الناصرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٢ (قصة) .

٧ ــ أجنحة العواطف .ــ الناصرة : مطبعة الحكيم ، ١٩٦٦ (قصة واقعية طويلة) .

٨ ــ قلوب بيضاء .ــ تل أبيب : دار النشر العربي ، ١٩٦٩ (مجموعة قصص للأطفال) .

٩ ــ حنين .ــ حيفا : بيير أوفست ، ١٩٧٠ (مسرحية) .

١٠ ــ وفاء البادية .ــ حيفا : بيير أوفست ، ١٩٧١ (مسرحية) .

١١ ــ إلى عالم النجوم .ــ تل أبيب : دار النشر العربي ، ١٩٧١ (قصة طويلة للأولاد) .

١٢ ــ الجن والإنس .ــ الناصرة : دار النهضة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ (مسرحية) .
١٣ ــ بعد الأسوار .ــ الناصرة : الصوت ، ١٩٨٣ (مسرحية) .
١٤ ــ روح في البوتقة .ــ عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٦ (رواية) .

المصدر : حورية ، شموئيل ومحمود عباسي/تراجم وآثار في الأدب العربي في إسرائيل ١٩٤٨ ــ ١٩٨٦ .ــ ط ٣ مزيدة ومنقحة .ــ شفا عمرو : دار المشرق للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ .

وفيات

• هايل عساقلة

فقدت الحركة الأدبية في الثاني من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩ ، عَلَماً من أعلام الشعر الفلسطيني في فلسطين المحتلة ، الشاعر هايل عساقلة ابن قرية المغار الجليلية ، عن عمر يناهز ٤٦ عاماً، إثر مرض عضال لم يمهله طويلاً .

وقد أبّنه سميح القاسم ، رئيس الاتحاد العام لكتاب العرب الفلسطينيين وشكيب جهشان عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد ، وجمال معدي عن «لجنة المبادرة الدرزية» ... (الجديد ، مج ٣٨ ، ع ٩ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩) .

دوريات

الأرض المحتلة : وقائع وأحداث

ــ شهرية . تصدرها حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» .

تهتم بتوثيق شؤون الأرض الفلسطينية المحتلة . س ٥ ، ع ٥٧ ، أيلول ١٩٨٩ حفل العدد بتغطية توثيقية شاملة للموضوعات التالية :

ــ الانتفاضة الشعبية : شهداء ، جرحى ، ردود فعل العدو ، وثائق .
ــ النضال المسلح والمقاومة الشعبية .
ــ إجراءات العدو : أحكام عسكرية ، اعتقالات ، استيطان .
ــ إرهاب السجون ونضال المعتقلين .
ــ المنظمات والمؤسسات الجماهيرية والتعليمية : الحركة النقابية ، التعليم في الأراضي المحتلة ، الجمعيات الخيرية ، نشاطات طبية .
ــ الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ : النضال السياسي الجماهيري ، إجراءات العدو ، المجالس المحلية العربية ، شؤون التعليم والثقافة ، شؤون البدو ، الشؤون الدرزية .
ــ الكيان الصهيوني : الشؤون العسكرية ، شؤون الهجرة ، إحصائيات ، شؤون الأحزاب والحكومة، العلاقات الإسرائيلية الدولية .

الأسوار

فصلية تصدر في مدينة عكا ، ع ٥ ، خريف ١٩٨٩ .

ــ بعد سنة من الانتفاضة في الأراضي المحتلة . يوسف أبو سمرة .
ــ مفهوم اللاجئين في نظر القانون الدولي . ديب عكاوي .
ــ التربية في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، عبد اللطيف البرغوثي .
ــ الديمقراطية هي الحل ، حنا إبراهيم .
ــ المستشرقون ودراسة التراث الشعبي الفلسطيني . نبيل علقم .
ــ التحولات الاقتصادية ــ الاجتماعية في فلسطين . برهان الدين دلو .
ــ أزمة سلطة القانون في إسرائيل . موشي نجبي .
ــ الموروث الشعبي في حفظ الهوية الفلسطينية . محمود البكر ومحمد خالد رمضان .

في الملف الأدبي ثمة قصص وقصائد لماجد أبو شرار ، زكي درويش ، رياض بيدس ، سامي الكيلاني ، مصطفى مرار ، نبيل عودة ، إبراهيم جوهر ، طه محمد علي وغيرهم .

بلسم

شهرية ، صحية ، اجتماعية ، ثقافية ، تصدر عن مؤسسة سنابل للنشر والتوزيع . نيقوسيا . تشرف عليها وتمولها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني . س ١٦ ، ع ١٧٣ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩ .

ــ مبادىء الجراحة عند العرب . عبد العزيز اللبدي .
ــ سرطان الثدي . سمير حجّار .
ــ نوبات القلب الصامتة . عمر الكبيسي .
ــ أهمية التغذية في طب الأسنان . محمد الحجّار .
ــ علم التداوي بالأعشاب . عيسى حداد .
ــ أثر الأوضاع الاقتصادية على الطفل الفلسطيني . حازم النشار وعاطف علاونة .
ــ الصحة تحت الاحتلال الإسرائيلي .
ــ حوار مع الشاعرة الفلسطينية حنان عواد.

التقرير الثقافي

تقرير توثيقي غير منتظم الصدور ، يصدر عن الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين والصحفيين الفلسطينيين . س ٥ ، ع ٤٦ .

ــ بيان حول ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد الصحافة الفلسطينية .
ــ بيان حول إغلاق سلطات الاحتلال لجمعية الدراسات العربية في القدس .
ــ رابطة الصحفيين العرب في الأراضي المحتلة تستنكر إجراءات الاحتلال ضد صحيفة الفجر .
ــ الصحفيون المبعدون منذ بداية الانتفاضة.
ــ منع المتوكل طه (رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة العربية وقطاع غزة) من ممارسة مهامه .
ــ ستة دواوين شعرية ومجموعتان قصصيتان آخر إصدارات اتحادنا .

شؤون فلسطينية

ع ٢٠١ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٩ :

ــ دولة فلسطين : نحو سلام في الشرق الأوسط . أحمد شاهين .
ــ م . ت . ف . والصراع من أجل البقاء. عدنان حسين .
ــ القضية الفلسطينية في سياسة حزب العمل الإسرائيلي . سعيد تيم .
ــ فلسطين في أدب جبرا إبراهيم جبرا . مصطفى عبد الغني .
ــ سياسة إسرائيل المائية وأثرها في مستقبل التسوية . عماد هرملاني .
ــ الحزب الشيوعي الإسرائيلي والهجرة والتهجير . محمود محارب .

صامد الاقتصادي

فصلية ، اقتصادية ، اجتماعية ، عمّالية ، تصدر عن مؤسسة «صامد» ــ جمعية معامل أبناء شهداء فلسطين ــ مديرها العام ورئيس تحريرها أحمد أبو علاء . س ١١ ، ع ٧٧ تموز ــ آب ــ أيلول ١٩٨٩ .

ــ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧
ــ الانتفاضة في المنظور الاقتصادي والاجتماعي .

ــ المعالم الأساسية للقطاعات الاقتصادية الرئيسية في الضفة الغربية . عمران أبو صبيح .
ــ الآثار الاقتصادية للانتفاضة على اقتصاد الأراضي الفلسطينية المحتلة . عاطف علاونة .
ــ الانتفاضة في مرحلتها الراهنة : دور وموقف مختلف الشرائح الفلسطينية . وليد مصطفى .
ــ الآثار الاقتصادية والاجتماعية لهجرة العمالة من الأراضي الفلسطينية المحتلة . عبد الفتاح أبو شكر .
ــ الأفكار والمقترحات الإسرائيلية لمحاصرة الانتفاضة الفلسطينية . نواف الزرو .
ــ انتهاك «إسرائيل» لحقوق الإنسان العربي في فلسطين المحتلة . عادل الجادر .

الفكر الديمقراطي

فصلية ، فكرية ، ثقافية ، ع ٩ ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٩ م . عدد خاص بالانتفاضة الفلسطينية لدخولها عامها الثالث .
ــ الانتفاضة واستراتيجية عدم التكافؤ . عبد الهادي خلف .
ــ الانتفاضة الفلسطينية والواقعية السياسية . عبد الإله بلقزيز .
ــ الانتفاضة ومسار الصراع العربي والصهيوني . محمد السيّد سعيد .
ــ دور التجار وأصحاب الحوانيت في الانتفاضة . سليم تماري .
ــ الانتفاضة الفلسطينية : أطوارها ومراحلها . ربعي المدهون .
ــ الانتفاضة : الإنجازات والمخاطر . زهير هواري .
ــ الولايات المتحدة والانتفاضة الفلسطينية (حوار مع إبراهيم أبو لغد) .
ــ تأثيرات الانتفاضة الاجتماعية والاقتصادية في الأراضي المحتلة .
ــ الانتفاضة الفلسطينية وتأثيرها على أخلاقيات [مهنة] الطب الإسرائيلي .
ــ الاتجاه الإسلامي في الانتفاضة الفلسطينية . روبرت ساتلوف .
ــ النساء الفلسطينيات في الانتفاضة : من التبعية إلى القيادة . ريتا جقمان .
ــ مصر والانتفاضة الفلسطينية : دراسة في تحول السياسة الخارجية ، وحيد عبد المجيد .

فلسطين المسلمة

فصلية ، تصدر في لندن . يعتبرها كثير من المراقبين أنها لسان حال «حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين» (حماس) . س ٧ ، ع ٤ ، ربيع الثاني ١٤١٠ هـ/تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩ .
ــ النقاط المصرية العشر محاولة لنفخ الروح في خطة شامير .
ــ الانتفاضة تضرب عميقاً في المجتمع اليهودي .
ــ المنظمات الفلسطينية : نشأة وتاريخ .
ــ حوار مع الدكتور أحمد نوفل .
ــ مشاهدات زائر إلى فلسطين .
ــ مجاهدون من فلسطين : توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) .

الكاتب

شهرية . تصدر في العاصمة الفلسطينية المحتلة (القدس الشريف) رئيس تحريرها أسعد الأسعد (أمين عام اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة) . س ١٠ ، ع ١١٥ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩ .
ــ آثار الانتفاضة الفلسطينية على الاقتصاد الإسرائيلي . عبد الفتاح أبو شكر .
ــ عمال المناطق المحتلة العاملون في إسرائيل بين السياسي والاقتصادي . وجيه الشيخ .
ــ الواقعية التسجيلية في رواية «ليل البنفسج» . إبراهيم العلم .

الملف .

مج ٦ ، ع ٦٨/٨ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩ . شهرية تعنى بالشؤون الإسرائيلية والصهيونية ، تصدر عن وكالة المنار للصحافة والنشر في العاصمة القبرصية .
من مواد العدد :
ــ الرد الإسرائيلي على نقاط بيكر الخمس بين المراوغة والتعنت . محمد عبد الرحمن .
ــ التعاون النووي بين إسرائيل وبريتوريا : انعكاساته على العلاقات الإسرائيلية الأميركية . مصطفى محمد الحسيني .
ــ صراع السيادة على بيت ساحور . أحمد شاهين .
ــ مأزق شامير . شموئيل سيغف .

الكرمل

فصلية ، ثقافية ، مجلة الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ، تصدر عن مؤسسة «بيسان» للصحافة والنشر والتوزيع في العاصمة القبرصية ، نيقوسيا .
يرأس تحريرها محمود درويش ، ع ٣٣، ١٩٨٩ م .
● في باب الدراسات : ــ «الزهرة» بين الخصب والحرب . سيد محمود القمني .
ــ دلالات شعرية الماء . صدّوق نور الدين .
● الرواية : بحيرة وراء الريح (فصول من رواية) يحيى يخلف .
● الشعر : سليم بركات ، عز الدين المناصرة ، فوزي كريم ، راسم المدهون ، أميرة الزين ، نجاة العدواني ، حميد المختار ..
● القصص : جنان الحاج ، جنان حلاوي ، شمس الدين موسى ، حنا إبراهيم .
● أقواس : ــ بيت . ثوم . بصل . ماعز ومفاتيح . محمود درويش .
ــ نزال العصر . نورمان ميلر .
ــ الطابع اللاقومي ، اللاشعبي للأدب الإيطالي ، انطونيو غرامشي .
ــ الاتجاهات الأدبية في فلسطين (خلال الاحتلال) . قسطندي شوملي .

المجلة العسكرية الفلسطينية .

فصلية ، تعنى بالشؤون الاستراتيجية والعسكرية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي . تصدرها منظمة التحرير الفلسطينية ويشرف عليها ويرأس تحريرها العقيد الركن حسن أبو لبدة . س ٦ ، ع ٣ ، تموز (يوليو) ١٩٨٩ .
ــ أبعاد الانتفاضة . باسل محمد علي .
ــ الحرب السابعة : هروب إسرائيل إلى «اللاخيار» . أسامة شراب .
ــ مشكلة العبرانيين في الشرق الأدنى القديم والحل الصهيوني . عبد الوهاب المسيري .
ــ دور وأهمية السرعة في تخطيط وإدارة الأعمال الحربية على المستويات التعبوية . سعيد فاضل .
ــ آفاق التطور التكنولوجي للرادارات المحمولة جواً . أيمن الشنواني .
ــ مستقبل الدولة الفلسطينية . محمود قاسم .

رسالة فلسطين الثقافية

— حرب ١٩٤٨ في غياب خطة عربية مشتركة . محمد عبد المنعم .
— معركة حصار بيروت : دروس وآفاق . موفق عبد الشكور .

المنبر

ثقافية شاملة تصدر في بلدة طمرة (قرب مدينة عكا) . محررها المسؤول أحمد هيبي . س ٢ ، تشرين الثاني/كانون الأول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٩ .
— الضبع في التراث الفلسطيني . أحمد هيبي .
— الرواية الإلهية العربية ورواية دانتي الإلهية . توفيق قربان .
— الشيخوخة : وهم أم معجزة ؟ . سامي عزيز .

رسالة مصر الثقافية

خالد محمد غاري

مصر - دمياط - السرو



مهرجان دولي في الذكرى المئوية لميلاد طه حسين

أقامت كلية الآداب بجامعة القاهرة مهرجاناً دولياً في الذكرى المئوية لميلاد طه حسين ، وكان شعار المهرجان (طه حسين : مستقبل الثقافة المصرية) وعلى مدى أربعة أيام من ١١ نوفمبر إلى ١٤ نوفمبر ١٩٨٩ م دارت النقاشات ساخنة حول :
— فكر طه حسين .
— إنجازاته الأدبية والنقدية .
— الماضي ، الحاضر ، المستقبل .
— العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية .

معرض القاهرة الدولي السادس لكتب الأطفال

في الفترة من ٢٦ نوفمبر حتى ٨ ديسمبر من عام ١٩٨٩ أقامت الهيئة المصرية العامة للكتاب المعرض الدولي السادس الخاص بكتب الأطفال ، وقد أقيم المعرض في قاعات المركز التعليمي (دار الأوبرا المصرية) شارك في المعرض أكثر من ١٢٠ ناشراً عربياً وأجنبياً من ٢٧ دولة وبزيادة ٩ دول عن العام الماضي ، وبعدد وصل إلى ٣ ملايين كتاب ، وقد عرضوا نصف مليون كتاب زيادة عن العام السابق .

كما ضم المعرض نشاطات ثقافية مختلفة من عروض مسرحية وسينمائية ومسرح للعرائس وندوات نوقشت فيها كتب الأطفال .

مصر في أدب القرن العشرين

«مصر في أدب القرن العشرين» كان موضوع الندوة العلمية التي نظمتها كلية الآداب ، جامعة القاهرة في الفترة ما بين ١٨—٢٠ ديسمبر ١٩٨٩ م التي دعا إليها قسم اللغة الإنجليزية لفيفاً من النقاد والأساتذة الأجانب منهم الناقد الانجليزي الشهير : تيري ايجلتون «جامعة اكسفورد» ، ومالكوم هيورد «جامعة أنديانا الأمريكية» ، وهيلدا سبير «جامعة دادي ، اسكتلندة» وبار براهيلي «جامعة ترينتي ، ايرلندا» وشارك فيها الكثير من الأساتذة والنقاد المصريين والعرب منهم : سمير سرحان ، لطيفة الزيات ، فخري قسطندي ، إنجيل سمعان ، مجدي وهبة ، هدى الجندي .

افتتاح المركز الثقافي العراقي بالقاهرة

افتتح مساء الأربعاء المصادف ١٩٩٠/١/٣ م المركز الثقافي العراقي بالقاهرة ، حضر الافتتاح أحمد فتحي سرور وزير التعليم المصري ونبيل نجم التكريتي سفير العراق في مصر ، وحضر أيضاً عدد كبير من الأدباء والمثقفين والفنانين المصريين والعراقيين والعرب والأجانب ، تضمن الافتتاح حفل أستقبال ، وافتتاح معرض الفن التشكيلي العراقي المعاصر ، وافتتح معرض للكتاب العراقي ضم كتباً ودوريات في مختلف ميادين المعرفة والثقافة .

وصرح وزير التعليم — لعالم الكتب — قائلاً «إنه مصدر سعادة لي أن أرى الثقافة العربية العراقية بما تعبر عنه من تراث ثقافي عريق متمثلة واضحة ، معبرة في هذا المركز الثقافي ، وبهذا المركز يزداد تحقق الالتقاء الثقافي بين مصر والعراق وتنمو وتتفاعل الثقافتان العربيتان في إطار الأخوة المصرية العراقية العربية .

وصرح — لعالم الكتب — مدير المركز الثقافي العراقي بالقاهرة أمجد محمد سعيد «إن هناك أواصر ثقافية تربط بين الحضارتين البابلية والفرعونية مما جعل هناك روابط لا تنفصم بين الثقافتين ، والمركز الثقافي سيعمل جاهداً على إيصال كل ما يستطيع من نماذج الإبداع العراقي في الثقافة والفن والأدب» .

وقد قام المركز بتوزيع العدد الثالث من نشرة (العراق الثقافي) الخاصة بالفن التشكيلي .

افتتاح مكتبة الأوبرا

مع مطلع عام ١٩٩٠ م افتتحت رتيبة الحفني رئيسة دار الأوبرا مكتبة الأوبرا ، وهي تحتوي على مجموعة كبيرة نادرة من الكتب العربية والأجنبية في الفنون المختلفة .

أعمال نجيب محفوظ للأطفال

سعت دار الشروق القاهرية — البيروتية إلى تقديم أعمال نجيب محفوظ مبسطة للأطفال في طبعة فاخرة ، قام بكتابتها إبراهيم المعلم مدير الدار ، ورسمها مصطفى حسين ، وحرص أن يبدأ بالأعمال التاريخية ، وقد صدر منها : عجائب الأقدار في جزءين ، كفاح طيبة ، كفاح أحمس ، إمام العرش .

مشروع النشر المشترك

في إطار مشروع النشر المشترك بين الهيئة المصرية للكتاب ودار الشئون الثقافية العامة بالعراق تم توقيع اتفاقية لإعادة طبع كتب التراث العربي في القاهرة وبغداد .

ومن أبرز الكتب التراثية التي يصل بعضها إلى ٢٠ جزءاً الفتوحات المكية ،

لمحي الدين بن عربي ، والحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز للنابلسي ، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني ، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ، والخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة لعلي مبارك ، وأساس البلاغة للزمخشري ، ورسائل ابن رشد الطبية ، وتلخيص كتاب البرهان والشفاء لابن سينا .. وكتب تراثية أخرى .

والجدير بالذكر أن كتب التراث التي سيعاد طبعها كانت قد أصدرتها هيئة الكتاب طوال سنوات عديدة ، ومعظمها قد نفد من الأسواق .

جوائز

في بغداد افتتح مهرجان المربد العاشر في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٨٩ م ، ومن أهم أحداث المربد حصول اثنين من المبدعين المصريين على جائزة صدام في الآداب .. الأول هو الروائي فتحي غانم ، والثاني : أحمد مختار عمر أستاذ الدراسات اللغوية بدار العلوم ، جامعة القاهرة .

فقد قررت اللجنة منح جائزة صدام للآداب لعام ١٤١٠ هـ في مجال الدراسات اللغوية لأحمد مختار عمر، الذي تخرج في كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ وحصل على الماجستير في الكلية ذاتها عام ١٩٦٣ والدكتوراه من جامعة كمبردج عام ١٩٦٧ ورقي إلى درجة الأستاذية عام ١٩٧٧ م . ومن حيثيات فوزه بالجائزة أن دراساته تتميز بالأصالة والغزارة وربط القديم بالجديد وبروز شخصيته في أعماله ، كما أنه استطاع أن يجسد روح مرحلته في الثقافة العربية ، وأن يشكل حضوراً مؤثراً في حقل الدراسات اللغوية بفروعها المختلفة .

كما قررت اللجنة عدم الأخذ بتنصيف الجوائز ، وأن يقتصر منحها على مرشح واحد ، وقررت منح جائزة القصة والرواية والمسرح لفتحي غانم ، الذي يعد من أبرز أعلام القصة والرواية العربيتين ، وقد لاحظت الهيئة أن أعماله ذات صلة بالواقع العربي .

وفيـات

توفي الكاتب إحسان عبد القدوس يوم الخميس ١٩٩٠/١/١١ م عن عمر يناهز ٧١ عاماً بعد إصابته بنزيف في المخ .

وإحسان عبد القدوس جمع بين الصحافة والاشتغال بالسياسة والأدب .. وتولى رئاسة تحرير روز اليوسف وعمره لا يناهز أربعة وعشرين عاماً ، وذلك بعد تخرجه في كلية الحقوق .

وقد تعرض الكاتب الراحل لأكثر من محاولة اغتيال ، وذلك عام ١٩٤٥ م ، ١٩٥١ م ، ١٩٥٤ م . كما اعتقل أكثر من مرة لجرأة قلمه .

وإحسان عبد القدوس له من المؤلفات ما يزيد عن المائة ، ما بين مقال وقصة ورواية ، لكنه عُرف بأنه كاتب روائي لدى عامة القراء .

الدوريات

● **إبداع** ــ العدد التاسع ــ السنة السابعة ــ سبتمبر ١٩٨٩ ، تصدرها : الهيئة المصرية للكتاب :

من مواد العدد :

ــ التجربة الفنية بين «الرحيل» و «كبير المقام» .. عبد البديع عبد الله .

ــ شعرية الألوان عند محمد أبو سنة .. محمد عبد المطلب .

وضم العدد قصائد شعرية للشعراء : حسن طلب ، عادل عزت ، الحساني حسن عبد الله ، محمد الشهاوي ، أمجد محمد سعيد ، مختار عيسى ، محمود مغربي وغيرهم .

وقصصاً لـ إدوار الخراط ، محمد المخزنجي ، ديزي الأمير ، فؤاد قنديل ، فهد أحمد المصبح ، عادل ناشد .. وغيرهم ، ومسرحية لأنور جعفر .

● **عالم الكتاب** ــ العدد الرابع والعشرون ــ أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٩ . تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

من أهم مواد العدد :

ــ حق المؤلف : بين حق وواجب (دراسة)/فرحات توما .

ــ ماذا يقرأ أطفال العالم اليوم ؟ (دراسة)/عبد التواب يوسف .

بالإضافة إلى عدد كبير يتجاوز العشرين عرضاً ومراجعة لكتب صدرت حديثاً .

● **التصوف الإسلامي** ــ العدد الثاني عشر ــ السنة الحادية عشرة ــ ديسمبر ١٩٨٩ . يصدرها المجلس الأعلى للطرق الصوفية .

من موضوعات العدد :

ــ نحو صحوة صوفية .. أبو الوفا التفتازاني .

ــ الحياة الزوجية في الإسلام .. محمد متولي الشعراوي .

ــ حملات التبشير والتنصير بين العلمانية والتدين .. أحمد أبو كف .

ــ كيف نكافح المخدرات (تحقيق) .. محمد السيد المليجي .

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة : ندوة الشهر ، بريد القراء ، المجتمع الصوفي .

● **عالم القصة** ــ العدد ١٩ ــ ديسمبر ١٩٨٩ م.. يصدرها نادي القصة بالإسكندرية بصفة فصلية برأس تحريرها : فتحي الأبياري .

ضم العدد قصصاً لمجموعة من الكتاب منهم : أمين ريان ــ أحمد حسني ــ محمد عبد الله عيسى ، كما ضم العدد دراسة نقدية واحدة وهي البحث الفائز بجائزة هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية في الدراسات الأدبية عنوان الدراسة (رحلة خارج اللعبة) نقد وتحليل : .. كما ضم العدد مجموعة من عروض موجزة لمجموعات قصصية أصدرتها الهيئة العامة للكتاب .

● **المنار** ــ العدد ٥٨ ــ أكتوبر ١٩٨٩ م، وهي مجلة شهرية ، سياسية فكرية وهذا العدد به ملف خاص معنون بـ (الإبداع الثقافي والتغير الاجتماعي) .

من مواضيع العدد :

ــ الأدب والأيديولوجيا .. عمار بلحسن .

ــ الأصالة والمعاصرة بين الانتماء والتغريب .. علياء رافع .

ــ الأدب والفن الموروث الاجتماعي .. محمد عبد الشفيع .

ــ جمهور الأدب .. دعوة للدراسة .. سيد البحراوي .

ــ نجيب محفوظ والانفتاح الاقتصادي .. جمال فاضل .

● **الهلال** ــ العدد الأول ــ السنة السابعة والتسعين ــ يناير ١٩٩٠ م ، تصدرها دار الهلال . بالعدد ملف معنون بـ (آفاق التسعينات) من موضوعاته ..

ــ التسعينات تغني على السلم الخماسي .. كمال النجمي .

ــ مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات .. طارق البشري .

ــ هل انتهى عصر الفلسفة ؟ .. فؤاد زكريا .

ــ ثورة المعلومات ومجتمع ما بعد الصناعة .. أسامة الخولي .

ــ هل انتهت الحرب الباردة بين الشرق والغرب .. أمين شبلي .

ــ سيناء أرض التحدي والمستقبل .. مصطفى نبيل .

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة من قصة وشعر وحوار ومعارض .

المخطوطات

تلقت المجلة تحقيقين لكتاب واحد هو «القول المختار في شرح ضرورات الأشعار» في فترتين لم يتخللهما أكثر من شهر ...

وإذا كانت الازدواجية في تحقيق كتب التراث قد أصبحت عادية ، بحيث نرى تحقيقين أو أكثر لكتاب واحد في سنوات متقاربة ، فإن الملفت للنظر في هذا الكتاب .. أن المحققين الفاضلين من مدينة واحدة (حمص) ، كما أنهما ينتسبان ، أو يعملان ، في جامعة واحدة ، وكلية واحدة ، هي كلية الآداب بجامعة البعث في حمص !!!

وإذا كان الأمر مستغرباً بعض الشيء ، فإن المجلة — كذلك — رأت أن تقدم هذين التحقيقين على صفحات هذا العدد ليكونا مجالاً لدراسة الباحثين .. سواء من حيث الموازنة بين التحقيقين ، أو تتبع مسألة الازدواجية في مثل هذه الأعمال ، والبحث عن حلول جادة تكفل عدم التكرار ..

ونبدأ بالتحقيق الأول :

(التحرير)

القول المختار
في شرح ضرورات الأشعار

تأليف حسين بن سليم الدجاني

(١٢٧٤ - ١٣٠٢هـ)

تحقيق وليد محمد السراقبي

حمص - جامعة البعث - كلية الآداب

أولاً — المؤلف :

هو حسين بن سليم بن سلامة بن عوض بن داود الحسيني الدَّجاني . أديب وفقيه من فقهاء الحنفية . ينتهي في نسبه إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وهو من بيت علم وأدب . ونسبته إلى بيت «دجن» قرب «يافا» في فلسطين . وقد ولي الإفتاء فيها ، وتوفي حاجاً بمكة . خلف آثاراً ما تزال مخطوطة ، منها :

١ — ديوان شعر .

٢ — المنهل الشافي على متن الكافي ، وهو كتاب في العروض .

٣ — الفتاوي الحسينية ، وهي مجموعة مما أفتى به عند توليه الإفتاء في «يافا» .

٤ — التحرير الفائق على شرح الطائيّ الصغير لكنز الدقائق ، وهو كتاب في فروع الفقه .

٥ — الكواكب الدرية على شرح خالد للأزهرية ، وهو كتاب في النحو .

٦ — شرح نظم الأفعال .

٧ — تحفة المريد ، وهي منظومة في العقائد .

٨ — تخميس قصيدة «بانت سعاد» .

٩ — شفاء الأسقام في أسماء أهل بدر الكرام .

١٠ — القول المختار في شرح ضرورات الأشعار . وهي هذه الرسالة التي نحققها .

ثانياً — المخطوطة

وهي رسالة تقع في إحدى عشرة ورقة ، وتحتفظ بها مكتبة الأسد تحت رقم ٤٤٧٩/أدب . وفي كل وجه من أوراقها ثلاثون سطراً ، وفي كل سطر (١٠–١٣) كلمة . وهي — في حقيقة الأمر — رسالتان ، الأولى : رسالة (القول المختار ...) وتبدأ من الورقة [١/أ] وتنتهي عند منتصف الورقة [٦/أ]

وهذا هو القسم الذي قصرت العمل عليه . ويبدأ بقوله : «حمداً لوهّاب النعم كشّاف الضرورة والنقم ...» ، وينتهي بقوله : [٦/أ] وقد تم ما رمت — لاتنسَ — ناظماً حسين الدَّجاني المفتي منك بدعو

أما القسم الثاني فهو حواشٍ وشروح على الرسالة الأولى . وهو أحسن حالاً ، وأوضح خطاً من القسم الأول ، إذ التزم الناسخ — إلى حدٍّ ما نموذجاً معيناً من الخطوط . أما القسم الأول فيبدو أنه — كما جاء في وصف المخطوطة — مسوَّدة للرسالة ، إذ يكثر فيها الحذف والتصحيح والإضافات

وبعد ، فهذا عمل أراد به صاحبه أن يشارك إخوانه في خدمة تراث وطنه العريق . فإن أصاب فبتوفيق من الله وفضله ، وإن أخطأ أو قصر فحسبه أنه بذل قصارى جهده لإبراز النص خالياً من التحريف والتصحيف .

(القول المختار في شرح ضرورات الأشعار)

بسم الله الرحمن الرحيم

[١/أ]

حمداً لوهّاب النّعم كشّافِ الضرورة ، وصلاةً وسلاماً على مفتاح الخيرات ذي الأيادي المبرورةِ ، سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي المساعي المشكورة ، أما بعدُ ، فيقولُ راجي عفوَ ربِّه الرحيم الرحمنِ ، السيد حسين ابن السيد سليم الدِّجاني ، عَامَله الله بالإحسان وسَتَر مساويَه ، وبَلَّغه من البر أمانيَه :

إنّه لمَّا كانَ الشعر ديوانَ العربِ ، ومَظْهرَ البلاغةِ وسُلَّمَ الأدبِ ، وكانَ لضيق النظمِ عن النثرِ اختصَّ بضروراتٍ تسوغ فيه ، في حشوهِ وقوافيهِ ، اعتنى علماءُ العربية ــ رحمَهم الله ــ ببيانِها والتوضيح ، كالعلّامة الأشموني وصاحبِ التصريح . غيرَ أنّهم ذَكروها مفرّقةً على حَسَب المناسبةِ في الأبوابِ ، فالتقطْتها مِنْ مَحالِّها تسهيلاً على الطّلاب ، ونظمتها في أبيات يسيرةٍ ، وقد عنَّ لي أن أشرحها بكلماتٍ سهلةٍ غيرِ عسيرة ، مع ذكر الشواهد من كلام العرب ليتمَّ للواقِف عليها الأربُ ، وسَمّيتُه : (القولُ المختار في شرح ضروراتِ الأشعارِ) ، واللهُ أسألُ[1] ، وبنبيِّه الأشرف أتوسّلُ أن ينفعَ به وبأصلِه ، ويجعلَه خالصاً لوجهه الكريمِ ، إنَّه جَوَادٌ كريمٌ رحيم .

1 - (ضرورةُ شعرٍ وهْيَ ما فيهِ سَاغتِ فُخذْها كعِقْدٍ نيطَ في جيدِ خَوْدةِ)

أشرتُ بذلك إلى أنّ الضرورة ، وهي ما يختصّ بالشعر لا يَسوغُ في غيره ــ سواء كان للشاعر عنه بدٌّ أو لا . وقيل : هي التي لا مندوحة للشاعر عنها ، والأول هو المختار ــ كما في شرح ألفية ابن مالك ــ والعِقْدُ ــ بكسر العَين ــ : القِلادة ــ كما في المختار . ونيطَ : عَلِقَ[2]. قال في المختار : ناطَ الشيءَ علّقهُ ، وبابه «قال» . والجِيد : العُنُق . والخَوْدة : المرأة الجميلة الناعمة والجمع «خَوْدٌ» والكلامُ على التشبيه .

2 - (فقطعٌ لهمزِ الوصلِ وصلٌ لقطعهِ وتذكيرُ تأنيثٍ وعكسٌ بقلّةِ)

اشتمل البيت على أربعة أنواع :

الأول : قطعُ همزةِ الوصل مطلقاً في حشوٍ أو في ابتداءِ الأنصافِ ، كقوله[3] : [طويل] :

١ - إذا جاوزَ الإثنينِ سرٌّ فإنّه ببَثٍّ وتكثيرِ الوشاةِ قَمينُ

وكقوله[4] : [سريع]

٢ - لا نَسَبَ اليوم ولا خُلّةً إتّسعَ الخرقُ على الراقعِ

فقطعَ همزةَ الوصل في «الاثنين» في الحشوِ ، وهمز «اتّسع» في ابتداء الأنصاف .

والقَمينُ : حَمَلوه على معنى الجدير ، ولعلّه بمعنى السريع . والمراد بـ «الاثنين» : الصاحبان ، وقيل : الشفتان . والبثّ : إظهار السرِّ ونشره ، يقال : بثّ السرَّ : نشره .

الثاني : وصل همزةِ القطع وهو عكس الأول ، كقوله[5]: [طويل]

٣ - لها حِلَقٌ ضَيْقٌ أو انّ وضينَه فؤادُك لم يخطرْ بقلبك هاجسُ

فوصلَ همزة (أنّ) وهي همزة قطع . وضميرُ (لها) راجع للدّرع في الأبيات قبله وهي مؤنّث سماعي .

و(حِلَق) : جمع حَلْقة . وضَيْق : مصدر وُصِفَتْ به لذا لم يؤنث . وقيل : إنّ الأول جمع لمذكر ، والثاني مخفّف (ضيِّق) كـ (مَيْت وميِّت) . و (وضنيه) ــ بالضاد المعجمة ــ : أي منسوجه ، والضمير لـ (حِلَق) والجملة صفة لها .

والهاجس : ما يخطر بالبال .

الثالث : معاملةُ المؤنّث السّماعي معاملةَ المذكر بضربِ تأويل ، كقوله[6] : [بسيط]

٤ - إنارةُ العقلِ مكسوفٌ بطَوْعِ هوىً وعقلُ عاصي الهوى يزدادُ تنويرا

وكقوله[7] : [متقارب]

٥ - فلا مزنةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقلَ إبقالها

فذكّر (مكسوف) مع أن قياسه (مكسوفة) بتأويل أنّ المصدر في حكم (أنْ) مع الفعل ، وذكّر (أبقل) مع أنّ القياسَ (أبقلتْ) ؛ لأنّ الفاعلَ ضميرٌ متصل على تأويل الأرضِ بالمكان الحقيقي فيجوزُ تركُ التاء في النثر فيُقال : «الشمسُ طلعَ» كما يقال : «طلعتِ الشمسُ» على ما في ذلك من الخلاف المبيَّن في التصريح .

الرابع : عكس ذلك ؛ أي معاملةُ المذكّرِ كالمؤنّث وهو قليل في كلامهم ، كقوله[8] : [بسيط]

٦ - يا أيّها الرجلُ المزجي مطيّته بني أسدٍ ما هذه الصوت

فأنّث (هذه) باعتبار الصيحة .

3 -(وصرفٌ لممنوع وجُوْز عَكْسُه وتنوينُ مبنيِّ المنادى بِكَثْرةِ)

يحتوي البيت على ثلاثة أنواع :

الأولُ : صرفُ غيرِ المنصرف ولا خلافَ في جوازه عند الضرورة ، وهو إمّا بالكسر أو بالتنوين كقوله[9] : [طويل]

٧ - إذا ما غزا بالجيشِ حلّقَ فَوقه عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

[٣/أ] فصرفَ (عصائب) بالكسر لكون القوافي مجرورةً كما في التصريح .

الثاني : كقوله[10] : [طويل]

٨ - ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْر عُنَيْزةٍ فقالتْ : لكَ الويلاتُ إنَّك مرجلي

فصرف (عُنَيْزة) ــ بالتنوين ــ لضرورة الشعر وهي لا تنصرف في غيره للتأنيث والتعريف . و(عنيزة) هي ــ بضم العين المهملة ، فنون ، فـ (ياء) تصغير (عَنْزة) فزاي ، فـ (تاء) تأنيث ــ: اسم عشيقته ابنة عمه . وقيل : لقبها واسمُها (فاطمة) . وقيل : (فاطمة) غيرها . والخِدْر : بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال ــ : الهَوْدج ، والجمع : الخدور ، ويُستعار للسّتر والحَجَلةِ وغيرهما . ومنه قولهم : خُدِّرت الجارية وجارية مخدَّرة أي مقصورة في خِدرها لا تخرج منه . والويلات : جمع وَيْلة ، والويل والويلات : شِدة العذاب . وزعم بعضُهم أنه دعاء منها له في معرض الدعاء والعرب تفعل ذلك صرفاً لعين الكمال عن المدعوّ عليه ، ومنه قولهم : قاتلَه الله ما أفصحه ! . و (خِدر عُنَيْزة) بدلٌ من الخدر الأول ، ومعنى (إنك مرجلي) ــ بالجيم ــ : تُصيِّرني راجلةً أي ماشيةً لعَقْرِك ظهرَ بعيري ، يريد أنّ هذا اليوم كان من محاسن الأيام الصالحة التي نِلتُها منهنّ أيضاً ــ كما في الزوزني[11] ــ

الثاني : عكسه ، وهو منع صرف المنصرف وفيه خلاف مشهور ، فأجازه الكوفيون والفارسيّ[12] من البصريين ، وأباه باقي البصريين . والصحيح جوازه ــ كما في التصريح ــ لكثرة ما ورد منه في الشعر ، ومنه قوله[13] : [متقارب]

٩ - وما كانَ حِصْنٌ ولا حَابسٌ يفوقانِ مِرْداسَ في مجمعِ

الثالث : تنوين مبنيِّ المنادى . وهو شائعٌ بكثرة في كلامهم ، أي تنوين المنادى المضموم كقوله[14] : [وافر]

١٠ - سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها وليس عليكَ يا مطرُ السلام

والشاهد في (مطر) الأول حيث نوّنه للضرورة مع أنّ حقه البناءُ على الضمّ من غير تنوين

4 - (وتشديدُ ذي التخفيفِ والعكسَ جَوَّزوا ومــدٌّ لمقصورٍ ، وقصرٌ لمَــدَّةِ)

يشتمل البيت على أربعة أنواع :

الأول : تشديد المخفَّف ــ وهو قليل ــ كقوله[١٥] : [رجز]

١١ – ياليتَها قد خرجتْ مِنْ فُمِّه

فالروايةُ فيه تشديد (الفمّ) وهو إنما يجوز في الشعر ــ كما في الصحاح[١٦] ــ ويجوز في فائه الفتحُ والضمّ . أو كقوله[١٧] : [رجز]

١٢ – أو الحريقِ وافقَ القَصَبَّا

يريد (القصبَ) المعروف ، فقد شدَّد (باءه)[١٨] للضرورة وإلا فهي مخفَّفة .

الثاني : تخفيف المشدَّد وهو المشار إليه بقوله : «والعكسَ جوَّزوا» كقوله[١٩] : [طويل]

١٣ – أهيمُ بليلى ما حَييتُ وإنْ أمُتْ وَكَلتُ بليلى من يهيم بها بعدي

الأصل : (وكَّلْت) ــ بتشديد الكاف ــ مِن التوكيل ؛ أي أقمت وكيلاً بعدي يهيم بها فخفَّف[٢٠] (الكافَ) فيه ومن حقها أن تكون مشدَّدة . ذَكر هذا البيت المبرِّدُ في الكامل[٢١] وعزاه إلى نُصَيْب . قال في (الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة) للنجم الغزي العامري[٢٢]ــ رحمه الله ــ : (وكان العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي الأحمدي[٢٣] إذا أذنَ لفقيرٍ في التلقين يأخذُ بيده ثم ينشد : «أهيم بليلى ..»[٢٤] (البيت) . وقد شطَّرته لما فيه من العذوبة والحلاوة فقلت :

١٤ – أهيمُ بليلى ما حييت وإن أمتْ فوجدي بها وجدي وعهدي بها عهدي

١٥ – وإن عاقني عنها بدنيا عوائقٌ وَكَلْت بليلى من يهيم بها بعدي

ولا فرقَ بين جواز تخفيف المشدَّد ــ ضرورةً ــ بين الضرب وغيره خلافاً لمن خصَّه بالضرب[٢٥]، قال الشاعر[٢٦] : [طويل]

١٦ – وسِرْنا إليهم كافَةً في رحالهم جميعاً علينا البيض لا تتخشَّعُ

فخفف (كافّة) وهو ليس بضرب ومثله كثير في كلام العرب يعرف ذلك من مارس دواوينهم .

الثالث : مد المقصور ، وهو الاسم المتمكِّن الذي حرف إعرابه ألف لازمةٌ كـ (فتى) . وفي جواز مده للضرورة خلاف ، فمنعه البصريون وأجازه الكوفيون[٢٧] . والصحيح مذهب الكوفيين لكثرة وجوده في الشعر حتى قيل : إنه لغة . ومن ذلك قوله[٢٨] : [وافر]

١٧ – سيغنيني الذي أغناك عني فلا فقرٌ يدوم ولا غنــاء

فمدَّ (غناء) للضرورة مع أنه مقصور وليس هو من غانيته إذا فاخرته بالغنى ، ولا بـ (الغَنى) ــ بالفتح ــ بمعنى الفقر ــ كما قيل ــ لاقترانه بالفقر .

الرابع : قصر الممدود وهو الاسم المتمكِّن الذي آخره همزة بعد ألف زائدة كـ (كساء) . وقد أجمعوا على جوازه للضرورة ، كقوله :

١٨ – لابدَّ من صنعا وإن طال السفر وإن تحنَّى كل عَوْدٍ وَدَبِرْ

فقصر (صنعا) وهو ممدود للضرورة وجواب الشرط محذوف ، أي : لابدّ منه . وتحنَّى : من حني ظهره إذا احدودب . والعَوْد ــ بسكون الواو ــ المُسِنّ من الإبل . وهو الذي جاوز في السنّ البازل . والبازل : هو الذي دخل في السنة التاسعة . قال في الصحاح : بزل البعيرُ إذا شقَّق نابه فهو بازل للذكر والأنثى ، وذلك إذا دخل في التاسعة وعند ذلك تكمن قوّته . وكان بعض أشياخنا إذا سأله الطالب وتفرَّس في سؤاله التعنّت يُنشد[٣٠] : [بسيط]

١٩ – وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع جولة البُزْل القناعيسِ

والمراد بـ (القناعيس) : الضخمات الأبدان ، الشديدات القوة ــ كما في الصحاح ــ و (دَبِرْ) ــ بفتح الدال وكسر الموحدة مِن دبِر البعير ــ بالكسر ــ يدبِر : إذا عقر ظهره .

5 - (وإشباع تحريكٍ وفكٌّ لمدغمٍ وعكسٌ وبدل في أشياء شلّةِ)

يشتمل البيت عِلى أربعة أنواع :

الأول : زيادة حرف العلة لإشباع الحركة وهو مضطرد في حرف الوصل شهيرة في غيره كقوله :[٣١] [الكامل]

٢٠ – ينباع من ذِفْرى غضوبٍ جسرةٍ زيَّافةٍ مثل العتيق المُكــرمِ

أراد (ينبع) فأشبع الفتحة لإقامة الوزن فتولّد من إشباعها ألف . و (الذّفرى) ــ بكسر الذال المعجمة وسكون [٤/أ] الفاء وفتح الراء المهملة في آخره ألف التأنيث بزنة (ذكرى) ــ هي النقرة التي خلف أذن الناقة وهي أول ما يعرف منها ، واشتقاقها من (الذَّفَر) ــ بفتحتين ــ وهي الرائحة الظاهرة طيّبةً كانت كرائحة المسك ، أو غير طيبة كرائحة النّتن . ومن الأول قولهم : «مسك أذفر» ، ومن الثاني : «رجل ذِفر» أي له خبث ريح . وأما (الدَّفْر) ــ بالدال المهملة وسكون الفاء ــ فهو النتن خاصة كما نبَّه عليه شيخنا الباجوري[٣٢] ــ أطال الله بقاءه ــ في حاشيته «بانت سعاد» . والجَسْرةُ ــ بالسين المهملة ــ من الإبل : العظيمة الخلقة ــ كما في مختصر الصحاح . والزَّيف : التبختر ، والفعل زافَ يزيف . والعتيق : الفحل من الإبل ، والمعنى ينبع من خلف أذن ناقة غضوب عظيمة الخلق ، شديدة التبختر في مسيرها مثل فحل من الإبل قد كرُمته الفحول ؛ شبَّهها بالفحل في تبخترها وعظم خلقها .

الثاني : فكّ المدغم فيما يجب إدغامه ، كقوله[٣٣] [بسيط]

٢١ – مهلاً أعاذلَ قد جرّبتِ من خلقي إني أجودُ لأقوامٍ وإنْ ضَنِنوا

فإن الأصل (ضنّوا) بمعنى (بخلوا) ففكّه .

الثالث : العكس ، وهو إدغام المفكوك كقوله :[٣٤] [طويل]

٢٢ – ففي كل حيٍّ قد خبطَّ بنعمة فحق لشأسٍ من نداك ذنوبُ

يريد (خبطت) ــ بالتاء بعد الطاء ــ قيل : إن ذلك شاذٌّ ليس من الضرورات ، إذ لا جدوى فيه ، تقول : خبطتُ الرجل ، إذا أنعمت عليه من غير معرفةٍ بينكما . و (شأس) ــ بشين معجمة فألفٍ فسين مهملة ــ اسم أخ الشاعر . والذَّنوب ــ بفتح الذال ــ يستعمل بمعنى النصيب كما هنا .

الرابع : إبدال الحرف ، أي جعل حرفٍ مكان حرف في المواضع الشاذة ، وهو على قسمين : إبدال شائع لغير إدغام وهو تسعة يجمعها هجاء قولك : «هدأت موطياً» وهي : الهاء والدال المهملة ، والهمزة ، والتاء المثناة من فوق ، والميم والواو ، والطاء المهملة ، والياء المثنّاة [من][٣٦] تحت والألف . وإبدال شاذ نحو إبدال الميم من النون في قوله[٣٧] : [رجز]

٢٣ – وكفّك المخضب البنامِ

ــ بالميم ، فالبنام : الأصابع ، وأصلها : البنان ــ بالنون ــ وهي الأصابع وأطرافها فأبدلت الميم من النون شذوذاً حيث لم يتقدّمها باء موحدة . وكإبدال اللام من نون (أصيلان) تصغير (أصيل) : الوقتُ بعد العصر إلى المغرب على غير قياس كما في مغرب ومغيربان في قوله[٣٨] : [البسيط]

٢٤ – وقفت فيها أصيلالاً أسائلها عيَّت جواباً وما بالربع من أحدِ

والمعنى : وقفت بدار الحبيبة أحياناً وسألتها عن الحبيبة فعجزت عن الجواب وما في أحد يجيبني . ومعنى (هدَأت) : سكَنتُ ــ من السكون ــ ضد الحركة ،

ذلك في الضرورة . ثانيها : أن يصلح الاسم المرخَّم في الضرورة للنداء ؛ أي لمباشرة حرف النداء . الثالث : أن يكون المرخَّم في الضرورة إما زائداً على ثلاثة نحو (أحمد) أو مختوماً بتاء التأنيث ، فالأول كقوله(٦٠): [طويل]

٤٢ – لنعمَ الفتى يعشو إلى ضوء ناره طريف بن مالِ ليلةَ الجوعِ والخَصَرْ

أراد : ابن مالك فحذف الكاف وجعل ما بقي بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء ولهذا نوّنه . والشاهد في (مالك) حيث رخَّمه في غير النداء ضرورة . (ويعشو) ــ بالعين المهملة والشين المعجمة والواو ــ : السير في العشاء وهو الظلام . و (الخَصَر) ــ بالخاء والصاد المهملتين ــ : شدَّة البرد ــ كما في التصريح ــ والثاني كقول زهير بن أبي سُلْمى ــ بضمِّ السين(٦١) ــ : [طويل]

٤٣ – خذو حِذْرَكم ياآل عكرمَ واذكروا أواصرنا فالرحم بالغيب تُذْكَرُ

أي : يا آل عكرمة ، فرخّمه بحذف التاء . والأواصر جمع آصرة وهي عطفك على رجل من رحمٍ أو معروف والرَّحِمْ ــ بفتح الراء وكسر الحاء ــ القرابة وبوزن (الجِسْم) مثله كما في المختار لكن الذي في النظم ينبغي ضبطه بكسر الراء وسكون الحاء تباعداً عن الضرورة .

الثاني : حذف الياء في نداء النكرة ، كقوله(٦٢):

٤٤ ــ جاري لا تستنكري عذيري

فالشاهد فيه حذف (ياء) النداء وهي إنما يجوز حذفها اختياراً في المعرفة دون النكرة .

٩ - (وتقديم معطوفٍ وفصل بأجنبي زيادة حرفَيْن أو الحرف أثبتِ)

يشتمل البيت على ثلاثة أنواع :

الأول : تقديم المعطوف على المعطوف عليه ، كقوله(٦٣): [طويل]

٤٥ – جمعتَ وفُحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصالٍ لست عنها بمرعوي

يريد : جمعت غيبةً ونميمة وفحشاً فقدَّم المعطوف وهو (فحشاً) على المعطوف عليه وهو (غيبة) للضرورة ويمتنع في الاختيار .

الثاني : الفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبيٍّ وهو خاص بالشعر . والمراد بالأجنبي غير المضاف فاعلاً كان الأجنبي كقوله(٦٤):

٤٦ – أنجب ــ أيام ــ والداهُ به إذ نجلاه فنعــــم ما نجلا

فـ (أنجب) فعل [خبري] ماضٍ ، ووالداه : فاعله . و (به) متعلق بـ (أنجب) . و (أيامَ) ظرف زمان متعلق بـ (أنجب) وهو مضاف و (إذ) مضاف إليه . و (والداه) فاصل بين المضاف والمضاف إليه وهو أجنبي عن المضاف لأنه معمول لغيره . أي : أنجب والداه به أيام إذ نجلاه . يقال : أنجب الرجل إذا ولد نبيهاً . و (نجلاه) ــ بالنون والجيم ــ : نَسَلاه .

أو مفعولاً كقوله(٦٥):

٤٧ – تسقي امتياحاً ندا المسواكَ ريقتِها كما تضمَّن ماء المزنةِ الرَّصفُ

فـ (تسقي) : مضارع (سقى) متعدٍّ لاثنين ، وفاعله ضمير يرجع إلى أم عمرو في البيت قبله . و (ندا) مفعوله الأول ــ وهو مضاف ــ وريقتِها : مضاف إليه . والمسواك : مفعوله الثاني فصل به بين المضاف والمضاف إليه. أي : تسقي ندا ريقتِها المسواك ، والمسواك أجنبي عن (ندا) لأنه ليس معمولاً له ــ وإن كان عاملهما واحداً ــ. والامتياح بمثَّناه فوقيَّة فتحتانيَّة فحاء مهملة ــ : الاستياك . والمُزْنة : السحابة . والرَّصَف ــ بفتحتين ــ جمع رصفة ، وهي حجارة مرصوفة بعضها إلى بعض ، والرصف أدق وأصفى ــ كما في التصريح ــ من الإضافة .

الثالث : [٦/ب] الزيادة إذا احتيج إليها ، وهي إما بحرفين أو بحرف . فمن الأول قوله : [وافر]

٤٨ – أتوا ناري فقلت منون أنتم ؟

والأصل : من أنتم ؟ فزاد الواو والنون في (من) للضرورة . ومن الثاني ــ وهو زيادة الحرف الواحد ــ كزيادة (أنْ) المفتوحة في قوله(٦٦): [طويل]

٤٩ – كأن ظبية تعطو إلى وارقِ السَّلَمْ

الأصل : كظبية ، فزاد (أنْ) للضرورة . وكزيادة (إنْ) المكسورة بعد (ما) المصدرية تشبيهاً لها بـ (ما) النافية ، كقوله(٦٧): [طويل]

٥٠ – وأرجو الفتى للخير ما إن رأيته على الخير دوماً لا يزال يزيدُ

والأصل : ما رأيته ، فزاد (إنْ) للضرورة . فإن قلت : زيادة الحرف يغني عنها ما تقدَّم . قلت : الزيادة تكون بإشباع وبدونه ، والمراد هنا الثاني كالأمثلة المذكورة .

وغِبَّ نظمي للضرورات رأيت بعضهم قد جمعها في بيتين فقال :

ضرورة الشعر خذ تعداد جملتها وصل وقطع وتخفيف وتشديدُ
صرفٌ ومنع وإسكانَ المحرِّكِ مع مدٌّ وضدهما والحذف تزييدُ

10 - (وقد تمَّ ما رمت ــ لا تَسَ ــ ناظماً حسين الدجاني المفتي منك بدعوة)

أي : وقد تمَّ بفضل الله وكرمه ما قد رمته وقصدته من نظم ضروات الشعر .

الهوامش

١ ــ في المخطوطة (أسبل) والصوابُ ما أثبت .

٢ ــ مختار الصحاح (نيط) .

٣ ــ البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه : ١٦٢ ، ونوادر أبي زيد : ٢٠ ، وشرح المفصل ٩ : ١٤ ، ١٣٧ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي : ١٨٣ ، وشرح شواهد الألفية ٤ : ٥٦٦ ، وهمع الهوامع ٢ : ١١١ ، والدرر اللوامع ٢ : ٢٣٧ مع اختلاف في الرواية .

٤ ــ البيت لأنس بن العبَّاس السُّلَمي أو لأبي عامر جدِّ العباس ، وهو في الكتاب ٢ : ٨٥ ، ٣٠٩ ، وشرح المفصل ٢ : ١٠١ ، ١١٣ و ٩ : ١٣٨، وشرح شذور الذهب : ١١٤، ومغني اللبيب : ٢٩٨ ، ٧٣٨ ، وضرائر الألوسي : ١٣٧ .

٥ ــ لم أقف على قائله .

٦ ــ ضرائر الألوسي : ١٢٩ بلا عزو .

٧ ــ البيت لعامر بن جوين الطائي ، وهو في الكتاب ٢ : ٤٦ ، والخصائص ٢ : ٤١١ ، والمحتسب ٢ : ١١٢ ، والأمالي الشجرية ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، وشرح المفصل ٥ : ٩٤ ، والخزانة ١ : ٢١ ، ٣ : ٣٣٠ ، والتصريح ١ : ٢٧٨ .

٨ ــ البيت لرُوَيْشد بن كثير الطائي ، وهو في الخصائص ٢ : ٤١٦ ، والأشباه والنظائر ١ : ٤٠٧ ، والإنصاف ٧٧٣ ، وشرح المفصل ٥ : ٩٥ ، والخزانة ٢ : ١٦٧ ، والحماسة ١ : ١٦٦ والضرائر للألوسي : ١٢٨ .

٩ ــ البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه : ٥٧ ، ودلائل الإعجاز : ٥٠١ .

١٠ ــ انظر شرح القصائد العشر : ٤٠ ، والمغني ٤٤٩، وشرح شواهد الألفية ٤ : ٣٧٤ .

١١ ــ انظر شرح المعلقات السبع للزوزني : ٤٠ .

١٢ ــ هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، الإمام العلامة . أخذ عنه النحو خلق كثير كابن جني ، وأبي الحسن الربعي ، من كتبه : التذكرة ، والحجة ، والمسائل المنثورة .

١٣ ــ البيت للعباس بن مرداس السُّلَمي ، وهو في الإنصاف : ٤٩٩ ، والخزانة : ١ : ٧٣ ، ١٢٢ ، وشرح الأشموني ، وهو في الضرائر للألوسي بلا عَزْو .

١٤ ــ البيت للأحوص الأنصاري ، وهو في الكتاب ٢ : ٢٠٢ ، والمقتضب ٤ : ٢٢٤ ، ٤١٤ ، ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٩٤٢ ، والمحتسب ٢ : ٩٣ ، والأمالي الشجرية ١ : ٣٤١ ، والإنصاف : ٣١١ ، والخزانة ١ : ٢٩٤ ، وشرح شذور الذهب : ١٤٧ ، وشرح شواهد الألفية ١ : ١٠٨ ، ٤ : ٢١١ .

١٥ ــ نسب في اللسان (طسم) إلى العُماني الراجز يخاطب الرشيد ، ونُسب في تهذيب إصلاح المنطق إلى العجّاج . وهو في الأمالي الشجرية ٢ : ٣٥ ، وشرح المفصل ١٠ : ٣٣ ، والخزانة ٤ : ٣٧٨–٣٧٩ والهمع ١ : ٣٩ ، والدرر ١ : ١٧ ، وفي ملحقات ديوان العجاج ٢ : ٣٢٧ ، ورجح محقق الديوان أستاذنا عبد الحفيظ السطلي أنه ليس للعجاج .

١٦ ــ الصحاح (فوه) .

١٧ ــ البيت لرؤبة في ملحقات الديوان : ١٦٩ ، وفي المحتسب ١ : ٧٥ ، وشرح المفصَّل ٣ : ٩٤ ، ٣٩ ، و ٩ : ٦٢ ، ٦٨ ، وشرح شواهد الشافية : ١٣٠ ، والضرائر للألوسي : ١٣٩ .

١٨ ــ في المخطوطة (بائه) ، والصواب ما أثبت .

١٩ ــ البيت لنُصَيْب بن رباح وهو في ديوانه ٨٤ ، والخصائص ٢ : ٣٧٢ برواية أخرى ، وهو في الموشح : ١٦ ، ١٨٩ .

٢٠ ــ في المخطوطة (ومخفف) ، والصواب ما أثبت .

٢١ ــ الكامل ١ : ٢٣٦ ، ٢ : ٦٨٧ ، والرواية فيه : « ... أو كل ...» ولا شاهد في هذه الرواية .

٢٢ ــ هو محمد ، ولقبه نجم الدين ينتهي نسبه إلى عامر بن لؤي . ولد سنة ٩٧٧ هـ كما ترجم هو لنفسه . ترك الكثير من المؤلفات منها : «شرح القطر لابن هشام» و «الكواكب السائرة في مناقب أعيان المئة العاشرة» ، وهو في ثلاثة مجلدات بتحقيق جبرائيل جبور ــ منشورات دار الآفاق ، ط ١٩٧٩/٢ .

٢٣ ــ هو محمد الشناوي ، العالم المربي من أهل الإنصاف والأدب ، وكان أوسع أشياخ عصره خلقاً وأكرمهم نفساً . ترجمته في الكواكب السائرة ٩٧/١ .

٢٤ ــ الكواكب السائرة ٩٧/١ .

٢٥ ــ انظر حجج الفريقين في الإنصاف ٢ : ٧٤٥ وما بعد .

٢٦ ــ البيت لعبد الله بن رواحة في ديوانه : ٩٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ١٥٦ ، والصحاح واللسان (كفف) والضرائر لابن عصفور : ١٣٥ ، وروايته فيه : «يتخشّع» ، والرواية في بقية المصادر : « .. تتخشّع» .

٢٧ ــ انظر الإنصاف ٢ : ٧٤٥ .

٢٨ ــ البيت في المنقوص والممدود : ٢٨ ، والإنصاف ٢ : ٤٤٧ ، وعبث الوليد : ٢١ ، وعَجُزُه في أوضح المسالك ٦٣٧ ، واللسان والتاج بلا عزو ، والمخصص ١٢ : ٢٧٦ ، والضرائر للألوسي : ١٨٣ ، وشرح شواهد الألفية ٤ : ٥١٣ .

٢٩ ــ البيت في التصريح : ١ : ١٢١ ، ١٣١ ، وفي شرح الأشموني ١ : ١٢٩ .

٣٠ ــ البيت لجرير وهو في ديوانه : ٢٢٣ ، والكتاب ٢ : ٩٧ ، والمقتضب ٤ : ٤٦ ، ٣٢٠ ، والجُمل للزجاجي : ١٩٢ ، وشرح المفصّل ١ : ٣٥ ، والمغني : ٥٧ ، واللسان (لبن، لزّ ، قنعس) .

٣١ ــ البيت لعنترة في ديوانه : ٢٠٤ ، والرواية فيه : «... حُرَّة ... الفنيق المقرم» ، وهو في الضرائر للألوسي : ٢٨٤ .

٣٢ ــ هو أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر (١١٩٨–١٢٧٧ هـ) من فقهاء الشافعية ، نسبة إلى (باجور) من قرى المنوفيَّة بمصر .

٣٣ ــ البيت لقَعنب بن أم صاحب ، وهو في سيبويه ١ : ١١ ، ٢ : ١٦١ ، والمقتضب ١ : ١٤٢ ، ٣٥٣ و ٣ : ٣٥٤ ، والخصائص ١ : ١٦٠ ، ٢٧٥ ، والمنصف ١ : ٣٣٩ ، ومختارات ابن الشجري : ٨ .

٣٤ ــ البيت لعلقمة الفحل في ديوانه ٤٨ .

٣٥ ــ في المخطوطة (لا جَلْو) ، والصواب ما أثبت .

٣٦ ــ ساقطة من المخطوطة وهو ضرورية لتكملة السياق .

٣٧ ــ الرجز لرؤبة في ديوانه : ١٤٤ ، وشرح الأشموني ٤ : ٣١٩ .

٣٨ ــ البيت للنابغة الذبياني في ديوانه : ٢ ، ومعاني القرآن ١ : ٢٨٨ ، والهمع ١ : ٢٢٣ ، ٢٢٥.
٣٩ ــ اللسان (شرر) منسوباً إلى أبي كاهل اليشكري ، والرواية فيه : «... تتمَّره .. أرانبها» ونسب أيضاً إلى النمر بن تولب ، وهو في الكتاب ١ : ٣٤٤ ، ومجالس ثعلب ٢٢٩ .
٤٠ ــ في المخطوطة (تنمَّره) والصواب ما أثبت .
٤١ ــ في المخطوطة (أرانبها) ، والصواب ما أثبت . قال ابن منظور في اللسان (رنب) : «ووجَّهه ــ أي سيبويه ــ فقال : «إن الشاعر لمَّا احتاج إلى الوزن واضطر إلى الياء أبدلها من الباء» .
٤٢ ــ عجز البيت ساقط من المخطوطة ، والبيت ينسب إلى بعض الشيعة ، وهو في الضرائر لابن عصفور : ٨٤ ، وعبث الوليد : ٢٢٤ .
٤٣ ــ العبارة كتبت في الهامش وهي ضرورية لتكملة السياق .
٤٤ ــ البيت للعذافر الكندي وهو في نوادر أبي زيد : ٣٠٨ ، والخصائص ٢ : ٣٤٠ .
٤٥ ــ ساقطة من المتن وكتبت في الهامش .
٤٦ ــ صدره ساقط من المخطوطة وهو لعامر بن الطفيل ، وهو في الشعر والشعراء : ٧٠ ، والعقد ٣ : ٤١٠ .
٤٧ ــ البيت للحطيئة وهو في شرح شواهد الشافية ٤ : ٤١١ وليس في ديوانه .
٤٨ ــ البيت لرؤبة في ديوانه : ١٠٤ . والأعلام هنا جمع عَلَم وهي الجبال التي يهتدى بها . والخفق مصدر خفق يخفق إذا تحرَّك واضطرب .
٤٩ ــ البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه : ٣ وروايته فيه : « ... الغواني فما لهنّ ...» .
٥٠ ــ البيت لجرير ، وهو في الكتاب ٣ : ٣١٣ ، والمقتضب ١ : ١٤٤ ، ٣ : ٣٥٤ .
٥١ ــ الرجز في المحتسب : ١ : ٨٦ ، واللسان (يوم) بلا عزو .
٥٢ ــ الرجز للعجاج في ديوانه ١ : ٢٥ والرواية فيه : « ... أوالفاً مكة» ، والحمي : أصله الحمام فتصرف فيه العجاج فأسقط من الكلمة وغيرَّ بناءها . ومن ثم اختلفت الآراء في تعليل هذا التصرف ، وسار البيت شاهداً في كتب اللغة (نقلاً عن حاشية المحقق) .
٥٣ ــ البيت لامرىء القيس في ديوانه : ٥٢ .
٥٤ ــ البيت في المنصف ٢ : ١١٥ ، والأمالي الشجرية ١ : ٨٥ ، والخزانة ٤ : ٥٨٠ ، والبيت مختلف في نسبته . يقول البغدادي : «والبيت مع شهرته لم يعرف قائله» . ونسبه عبد الإله نبهان إلى أبي عمرو (فهرس شواهد المفصل مجلة المجمع مج ٦٢ ، ج ١ ، ص ٩٧) .
٥٥ ــ البيت في الضرائر للألوسي : ١٧٤ بلا عزو .
٥٦ ــ البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه : ٢٠٣ ، وما يجوز للشاعر في الضرورة (للقزاز القيرواني) : ٩٤ .
٥٧ ــ البيت مجهول القائل وهو في الضرائر لابن عصفور : ١١٠ ، واللسان (ردم) .
٥٨ ــ الرجز للعجاج في ديوانه ١ : ٤٥١ وروايته في الديوان : «فأصبحت عن وصلها كأن لم» .
٥٩ ــ الرجز لرؤبة في ملحقات ديوانه : ١٨٦ ، والخزانة ٣ : ٦٣٠ .
٦٠ ــ البيت لامرىء القيس في ديوانه : ١٤٢ ، والضرائر لابن عصفور : ١٣٦ ، والرواية في المصادر جميعها : « ... تعشو .. والحصر» .
٦١ ــ البيت في ديوان زهير : ١٥٥ ، والأمالي ١ : ١٢٦ ، والإنصاف : ٤٣٧ .
٦٢ ــ الرجز للعجاج في ديوانه : ٣٣٢ ، واللسان (شقر ، عذر ، جرس) ، والرواية في المخطوطة «جارية» على الأصل ، ورواية الديوان . «... جاري» .
٦٣ ــ البيت ليزيد بن الحكم الثقفي ، وهو في أمالي القالي ١ : ٦٨ ، والقوافي (للأخفش) : ١١٦ وما يجوز للشاعر في الضرورة (للقزاز القيرواني) : ١٧ .
٦٤ ــ البيت للأعشى وهو في اللسان (نجل) .
٦٥ ــ البيت لجرير في ديوانه : ٣٨٦ ، وهو في الهمع ٢ : ٥٢ ، والدرر ٢ : ٦٦ .
٦٦ ــ البيت لابن صُرَيم اليشكري وقيل لغيره . وهو في الكتاب ١ : ٢٨١ ، ٤٨١ ، والمنصف ٣ : ١٢٨ ، والمقرَّب ٢ ، ١١٦ .
٦٧ ــ البيت للمعلوط السعدي ، وهو في الكتاب ٢ : ٣٠٦ ، والخصائص ١ : ١١٠ ، وسمط اللآلىء : ٤٣٤ ، والدرر ١ : ٩٧ .

مصادر التحقيق

١ ــ الأشباه والنظائر : السيوطي (ج ٣) تحقيق إبراهيم محمد عبد الله .. مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٨٦ .
ــ الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط ٥ ، ١٩٨٠ .
ــ الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني . مؤسسة عمر جمال الدين للطباعة والنشر ، بيروت .
ــ الاقتضاب : ابن السيد البطليوسي ، بيروت ١٩٠١ .
ــ الأمالي الشجرية : ابن الشجري . حيدر أباد ١٣٤٩ .

ــ أمالي القالي والذيل والتنبيه : تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، نسخة مصورة . دار الآفاق ، ١٩٨٠ .
ــ الإنصاف : ابن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
ــ أوضح المسالك : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت .
ــ تحصيل عين الذهب للأعلم الشنتمري (على هامش الكتاب) ، ط بولاق .
ــ التصريح بمضمون التوضيح : الشيخ خالد الأزهري ، ط ١٣٤٤ .
ــ جمهرة اللغة : ابن دريد ، حيدر أباد ١٣٥١ .
ــ حماسة أبي تمام : (بشرح التبريزي) عالم الكتب ، بيروت .
ــ الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، حيدر أباد ١٣٤٥ .
ــ خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق ، بيروت .
ــ الخصائص : ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب ، ١٣٧٦ .
ــ الدرر اللوامع : الشنقيطي ، مطبعة كردستان بالجمالية ، ١٣٢٨ .
ــ دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤ .
ــ ديوان الأعشى : شرح محمد محمد حسين ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
ــ ديوان امرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٥٨ .
ــ ديوان جرير : تحقيق نعمان أمين طه ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .
ــ ديوان الحطيئة : مطبعة التقدم ، ١٣٢٣ .
ــ ديوان رؤبة بن العجاج : تحقيق وليم آلورد ، دار الآفاق الجديدة .
ــ ديوان زهير بن أبي سلمى ، بشرح الأعلم ، تحقيق فخر الدين قباوة ، المطبعة العربية ، حلب ١٩٧٠ .
ــ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت .
ــ ديوان العجاج : تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، المطبعة التعاونية بدمشق ، ١٩٧١ .
ــ ديوان علقمة الفحل : تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبعة الأصيل ، ط ١ ، ١٩٦٩ .
ــ ديوان عنترة بن شداد : تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي .
ــ ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت .
ــ ديوان النابغة الذبياني : تحقيق شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت .
ــ الروض الأنف : السهيلي ، ط ١٣٣٢ هـ .
ــ سفر السعادة : السخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٨٣ .
ــ سمط اللآلىء : لعبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف ، ١٣٥٤ هـ .
ــ سيرة ابن هشام : تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
ــ شرح الأشموني على الألفية : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
ــ شرح الأبيات المشكلة الإعراب : للفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني .
ــ شرح شواهد الألفية ؛ العيني ، بهامش خزانة الأدب ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩ .
ــ شرح شواهد الشافية : البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وزميليه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .
ــ شرح المعلقات السبع : الزوزني ، دار صادر ، بيروت .
ــ شرح المفصل : لابن يعيش ، عالم الكتب .
ــ الصحاح : للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين .
ــ الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٧١ .
ــ ضرائر الشعر : ابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، ١٩٨٠ .
ــ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر : الألوسي .
ــ طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) : رياض مراد وياسين السواس ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٨٣ .
ــ الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
ــ الكواكب السائرة في مناقب أعيان المئة العاشرة : تحقيق : جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق ، ١٩٧٩ .
ــ لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

ــ ما يجوز للشاعر في الضرورة : القزاز القيرواني ، تحقيق المنجي الكعبي ، الدار التونسية ، ١٩٧١ .
ــ مجالس ثعلب : تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ١٩٦٠ .
ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ، ج ١ .
ــ المحتسب في شواذ القراءات : ابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، ١٣٨٩ .
ــ المخصص : ابن سيده ، تصحيح الشنقيطي ، ط بولاق ١٣١٨ .
ــ معاني القرآن : تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت .
ــ معجم شواهد العربية : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ .
ــ المقتضب : المبرد ، تحقيق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
ــ المقرَّب : لابن عصفور ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، بغداد ١٩٧١ .
ــ المنصف : لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٩ .
ــ المنقوص والممدود : الفراء ، تحقيق الميمني ، دار المعارف ١٩٧٧ .
ــ الموشح : المرزباني ، القاهرة ١٣٤٣ .
ــ نوادر أبي زيد الأنصاري : تحقيق الشرتوني ، بيروت ١٨٩٤ .
ــ همع الهوامع : السيوطي ، تصحيح محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٧ .



«الورقة الأولى والثانية من المخطوط وتظهر الإحالات الكثيرة فيهما»

كتاب
القول المختار
في شرح منظومة ضرورات الأشعار

تأليف السيد حسين سليم الدجاني
المفتي بيافا
حققه وعلق عليه
عبد الكريم الحبيب
حمص - جامعة حمص - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مقدمة التحقيق

ينطوي هذا الكتاب تحت لواء الكتب التي تخدم الشعراء وتعينهم على صناعتهم ، وتفسح لهم المجال في بيان الضرورات الشعرية ، وهو ليس متفرداً بموضوعه ، بل سبق للأدباء والشعراء أن فتحوا أبواباً في هذا العلم ، غير أن أسلوب عرضه متميز ، ذلك لأن الكتب التي أُلفت قبله كانت تشرح هذه الضرورات شرحاً ، بينما المؤلف كان قد نظم تلك الضرائر الشعرية في أبيات ثم عمد إلى شرحها وبيانها معتمداً على كتابين أساسيين في ذلك ، هما شرح التصريح على التوضيح للأزهري ، وشرح الأشموني بحاشية الصبّان . كما تناثرت بعض الآراء التي استفاد منها المؤلف في كتب العروض والضرورات وبعض كتب النحو[1] ، كما هو مبين في موضعه .

المؤلف

هو حسين بن سليم بن سلامة ... الحنفي الدجاني[2] المفتي بيافا ، حيث تولى الإفتاء فيها حتى عرف به ، وقد اتفقت كل الكتب التي ترجمت له أنه ولد سنة ١٢٠٢ هـ ، وتوفي حاجاً بمكة المكرمة في ٢١ ذي الحجة من سنة ١٢٧٤ هـ[3] .

اشتهر بعلمه واطلاعه وتصوفه ، حيث كان صاحب طريقة فيه كما ورد في الكواكب السائرة[4] . وفي ترجمته المخطوطة[5] له تصانيف كثيرة تربو على عشرين مؤلفاً ، ما بين تصوّف ونحو وعروض ، كما كان شاعراً ، وله ديوان ضخم ما يزال مخطوطاً أيضاً . بل أغلب مؤلفاته كذلك ، وسأعمل إن شاء الله تعالى أن أنشر منها ما يسنح الزمان به ، ومن أشهر تصانيفه[6]:

١ ــ التحرير الفائق على شرح الطائي الصغير لكنز الدقائق (في الفروع) .
٢ ــ تحفة المريد ، (وهي منظومة في العقائد والتصوف) .
٣ ــ درة التوحيد (منظومة في العقائد والتصوف أيضاً) .
٤ ــ تخميس قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير .
٥ ــ ديوان شعر (في شتى الموضوعات) .
٦ ــ الشافية للأسقام والآلام بنظم أهل البدر الكرام . (منظومة في التوحيد) .
٧ ــ الزوائد على شرح الشيخ خالد للأزهرية (في النحو) .
٨ ــ عقود الجمان على تحفة الإخوان في علم البيان (وهي حاشية على شرح شيخه المجدلي) .
٩ ــ الكواكب الدرية على شرح الشيخ خالد للأزهرية (في النحو) .
١٠ ــ المنهل الشافي على الكافي في علمي العروض والقوافي .
١١ ــ رسالة في نظم ضرورات الأشعار .
١٢ ــ شرح هذه الرسالة (وهي كتابنا هذا) .

وغير ذلك كثير من المنظومات والأدعية والأوراد الصوفية . مما يدل على طول باعه في التأليف والتصنيف .

المخطوط

يقع المخطوط في إحدى عشرة ورقة من القطع العادي ، خلا ورقة العنوان ، وفي كل صفحة من عشرين إلى أربعة وعشرين سطراً ، كتبت بخط عادي مضطرب النسخ في كثير من الأوراق ، وفي نهاية المخطوط تلخيص له بخط مختلف عن الأصل يدل على أنه خط تلميذ للمؤلف يسمى سالم العطاني الشافعي ، وقد لقب نفسه تابع المؤلف كما أقر في نهاية تلخيصه ، وقد استفدت من التلخيص بإيراد نسب المؤلف كاملاً ، لأن نسبه قد لحقه خرمٌ في نهاية المخطوط ، مما جعل كثيراً من الكلمات تذهب لذلك ، فاستعنت بإكمال النسب من التلخيص . والنسخة التي بين أيدينا أصلٌ بخط المؤلف ، وهي نسخة فريدة وحيدة موجودة في المكتبة الظاهرية برقم ٤٤٧٩ أدب ، بعد مآلها إلى مكتبة الأسد الوطنية ، والنسخة تدل على أنها مسودة لكثرة الإشارات والإحالات التي تضمنها المتن ، وقد ورد أن المؤلف أضاف هذه الإحالات والحواشي بعد ثلاثين سنة من تأليفها ، مما جعل قراءتها صعبة إلى حدّ أنني توقفت مراراً عن تحقيقها وإعادة النظر في نُسَخِها ، غير أن إيماني بإحياء هذا التراث هو الذي دفعني إلى إتمامها والوصول بمتنها إلى الوجه الذي أراده المؤلف رحمه الله .

منهج التحقيق

حاولت جاهداً أن أتبع المنهج العلمي لتحقيق النصوص وفق أيسر الطرق وأسهلها ، حيث إني قرأت النص مراراً ، ودوّنت كثيراً من الملاحظات قبل أن أقوم بنسخه ، ثم قمت بنسخه مرتين منتبهاً إلى الإشارات ، مستدلاً على مكانها ، مراعياً التصويبات في الحواشي وما فيها من تعليقات على النص . ثم سلكت الطريق التالي :

أ ــ عَرّفت بالأعلام الواردين في المتن فقط ، متحرياً بدقة الأمور التالية : المولد ، المنشأ ، الشيوخ ، التلاميذ ، الوفاة ، الآثار الأدبية ، وذلك لأحيط بمن أترجم له ، لينتفع من ذلك الطالب القارىء ، وقد استعنت بكتب التراجم المعروفة ، وما أكثرها ، ولم أشر إليها بعد الترجمة ، لأنني كنت آخذ الترجمة من

مصادر مختلفة وأثبت أسماءها في فهرس المصادر والمراجع .

ب ــ خرّجت الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء أولاً ، وإن كان الديوان مصنوعاً حديثاً ، ذلك لأنه الأصل ، وغالباً ما اكتفيت بذلك ، أما إذا كان للشاهد بعض الروايات الأخرى ، فكنت أخرّجه من المصادر التي ذكرت تلك الروايات وأشير إليها . وكذلك إن كان الديوان مجموعاً جمعاً ، فقد كنت أذكر بعض المصادر لتوثيق البيت ، وأشرح بعض المفردات الصعبة فيه مستعيناً بالمعاجم المعروفة .

جـ ــ أتممت بعض النصوص الواردة ووضعتها في الحاشية مشيراً إلى مواضعها في أصول الكتاب . كما أنني أشرت إلى مواطن الاستشهادات في الشواهد التي لم يذكرها المؤلف وأعدتها إلى مصادرها .

د ــ ضبطت النص ضبطاً صحيحاً ، مستعيناً ببعض الأصول ، وفيما كنت أراه إن لم يكن له أصل .

وبعد....

فحسبي من الفضل إخلاصي في العمل وتوخي الدقة والصحة ، فإن أصبت فبهدي الله ومنّه وكرمه ، وإن أخطأت فمن علمي القاصر وليس للإنسان إلا ما سعى ، فاجعل اللهم مسعانا إلى رضاك ، واعصمنا من الزلل والغرور فإنك أنت الحميد الغفور .

المخطوط

كتاب القول المختار في شرح منظومة ضرورات الأشعار

للفاضل السيد حسين سليم الدجاني

المفتي بيافا

منحه الله الرضا وعفا عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا نافع يا الله

حَمْداً لوهّاب النِّعمِ ، كشّافِ الضرورةِ ، وصلاةً وسلاماً على مفتاحِ الخيراتِ ذي الأيادي المبرورةِ ، سيّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أولي المساعي المشكورةِ ، أما بعد :

فيقولُ راجي عفوَ ربِّه الرحيمِ الرحمنِ ، السيد حسين بن السيد سليم الدجاني ، عاملَهُ الله بالإحسانِ ، وستَر مساويه ، وبلّغه من البرِّ أمانيه : إنه لما كان الشِّعْرُ ديوانَ العرب ، ومظهرَ البلاغةِ وسُلَّمَ الأدبِ ، وكانَ لضيقِ النظمِ عن النثر ، اختصّ بضروراتٍ تسوغُ فيه ، في حَشْوِهِ وقوافيه ، اعتنى العلماءُ بتبيانِها ، وألّفوا فيها الرسائلَ ببيانِها ، لا سيما علماءهم العربَ ــ رحمهم الله ــ فقد اعتنوا ببيانها والتوضيح[٧] ، كالعلّامةِ الأشموني[٨]، وصاحبِ التصريح[٩]، غير أنهم ذكروها مفرَّقَةً على حسبِ المناسبةِ في الأبوابِ ، [فالتقطتها][١٠] من محالِّها تسهيلاً على الطلاب ، من ذلك الكتابين ، ومن غيرهما ، مما أُلِّفَ في ذلك دون مين[١١]، ونظمتها في أبيات يسيرةٍ ، وقد عَنَّ[١٢] لي الآن أن أشرحَها بكلماتٍ مسهلةٍ غير عسيرةٍ ، مع ذكر الشواهِدِ من كلام العربِ ، ليتمَّ للواقِفِ عليها الأَرَبُ ، وسميتُها (القول المختار في شرح منظومة ضرورات الأشعار) .

والله أسألُ ، وبنبيِّه الأشرفِ أتوسّلُ ، أن ينفعَ به ، وبأصله ، ويجعله خالِصاً لوجهِهِ الكريمِ ، إنّه جواد كريم رحيم .

١ - ضَرورَةُ شِعْرٍ وهي فيه ساغَتِ فَحُدْها كعِقْدٍ نيطَ في جيدِ خَوْدَةِ

أشرتُ بذلك إلى أنّ الضرورة هي ما يختصّ بالشعرِ ، ولا يسوغُ في غيره ، سواءٌ كان للشاعر عنه بُدٌّ أو لا .

وقيل : هى التى لا مندوحةَ للشاعر عنها .

والأول هو المختار[١٣]، كما في شرح ألفية ابن مالك[١٤]. والعِقْدُ (بكسر العين) القُلادةُ ، كما في المختار[١٥] و (نيطَ) بمعنى عُلِّقَ ــ قال في المختار ــ ناطَ الشيءَ : عَلّقه[١٦] وبابه[١٧] .

قال : والجيد : العُنُقُ[١٨] ، والخَوْدَةُ : المرأة الجميلة الناعمة والجَمْعُ خُودٌ[١٩]، والكلامُ على التشبيهِ .

٢ - فَقَطْعٌ لِهَمْزٍ ، وَصْلٌ لقطعِهِ وتذكيرُ تأنيثٍ، وعَكْسٌ بِقِلّةِ

اشتمل البيتُ على أربعة أنواعٍ :

الأول : قَطْعُ هَمْزةِ الوصلِ مُطلقاً ، في حَشْوٍ، أو في ابتداءٍ [كما ورد في] الإنصاف[٢٠]، كقوله :

إذا جاوزَ الإثنينَ سِرٌّ فإنّه ببثٍّ ، وتكثيرُ الوشاة قمينُ[٢١]

وكقوله :

ألا لا أرى إثنين أحسنَ شيمةً على حدثانِ الدهرِ مني ومن جُمْل

وكقوله :

لا نسبَ اليومَ ولا خُلّةً إتسع الخَرْقُ على الرّاقِعِ[٢٣]

فقَطَعَ هَمزةَ الوصلِ في (الاثنين) في الحشو ، وهَمَزَ (اتسع) في ابتداءِ ، الإنصاف[٢٤].

والقمينُ : حَمَلوهُ على معنى الجديرِ ، ولعلّه بمعنى السريع ، والمرادُ (بالاثنين) الصاحبانِ ، وقيل : الشفتانِ ، والبث : إظهار السرِ ونشرِهِ ، يقال بثّ السرَّ نشرهَ ، ولذلك قيل : (كلّ سرٌّ جاوزَ الاثنين شاعَ ، وكلُّ علمٍ جاوزَ القُرطاسَ ضاعَ) .

والثاني : وَصْلُ هَمْزَةِ القَطْعِ وهو عكسُ الأوّلِ ، كقوله :

لها حَلَقٌ ضَيْقٌ لو انّ وضينَه فؤادُك لم يَخْطُرْ بقلبِكَ هاجس[٢٥]

فَوَصَلَ همزةَ (لو انّ) وهي همزةُ قَطْعٍ ، وضمير (لها) راجعٌ للدّرعِ في الأبياتِ قبله ، وهي مؤنثة [سماعاً][٢٦]، وحَلَقٌ : جمعُ حَلَقَة ، وضَيْقٌ مصدر وُصِفَتْ به ، ولذا لم يؤنّث ، وقيل : إن الأول جمع لمذكر[٢٧] والثاني مخففة ضيّق ، كميّت ومَيْت .

ووضينُه : بالضادِ المعجمه أي منسوجُه ، والضميرُ[٢٨] لحَلَق ، والجملة صفة له . والهاجسُ : ما يخطر [في البال][٢٩] .

وهمزةُ القَطْعِ هي ما تثبت في الابتداء ولا تسقط في الدَّرَج بخلافِ همزةِ الوصلِ .

الثالث : معاملة المؤنّثِ المجازيِّ معاملةَ المذكرِ بضَرْبٍ من تأويله كقوله :

إنارةُ العَقْلِ مكسوفٌ بطوعِ هوى وعَقْلُ عاصي الهوى يزداد تنويرا[٣٠]

وكقوله :

فلا مزنةً ودقتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبْقَلَ إبقالَها[٣١]

فذكّر (مكسوفَ) مع أن قياسه (مكسوفة) بتأويل أن المصدر في حُكْمِ (أن) مع الفعل ، وذكّر (أبقَلَ) مع أن القياس (أبقلت) لأن الفاعلَ ضميرٌ متصلٌ على تأويل الأرض بالمكان .

وقيل : لا تأويل في البيت لأن [التذكير][٣٢] والتأنيث يستويان في ضمير المؤنث غير الحقيقي[٣٣]، فيجوز ترك التاء في النثر فيقال (الشمس طلع) كما يقال (طلعت الشمس) على ما في ذلك من الخلاف المبيّن في التصريح[٣٤].

الرابع : عكسُ ذلك ، أي معاملةُ المذكَّرِ كالمؤنث ، وهو قليلٌ في كلامهم كقوله :

يا أيها الرجلُ المُزْجي مطيّتَهُ سائِلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ[٣٥]

فأنَّثَ (هذه) باعتبار الصيحة .

٣ - وَصَرْفٌ لممنوعٍ وجُوْزَ عَكْسُه وتنوينُ مَبْنِيِّ المنادى بكَثْرةِ

يحتوي البيت على ثلاثة أنواع :

الأول : صَرْفُ غير المتصرِّف ، ولا خلاف في جوازه عند الضرورة وهو إمّا بالكسر أو بالتنوين .

فالأول : كقوله :

إذا ما غزوا بالجيش حَلَّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ[٣٦]

فصرّف (عصائب) بالكسر لكون القوافي مجرورة كما في التصريح[٣٧].

والثاني : كقوله ـــ أي امرىء القيس[٣٨]:

ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيزةٍ فقالَتْ لكَ الويلاتُ إنّكَ مُرجلي

فصرّفَ (عنيزة) بالتنوين لضرورة الشعر ، وهي لا تنصرفُ في غيره للتأنيث والتعريف[٣٩] . و (عُنيزة) هي بضم العين المهملة فنون [فياء][٤٠] تصغير عَنَزة (فزاي فتاء) تأنيث اسم عشيقته ابنة عمه ، وقيل : لقبها واسمها فاطمة، وقيل فاطمة غيرها[٤١] والخِدْر (بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال) : الهَوْدَجُ ، والجَمْعُ الخدورُ[٤٢] ويستعار للسِتْرِ والحَجَلَةِ وغيرها .

ومنه قولهم خُدِّرت الجارية ، وجاريةٌ مخدَّرةٌ : أي مقصورة في خِدْرها لا تخرج منه ، والويلاتُ جمع ويلة ، والويل والويلات شدة العذاب[٤٣] . وزعم بعضهم أنه دعاءٌ منها له في معرض الدعاء عليه ، والعرب تفعل ذلك صرفاً لعين الكمال عن المدعو عليه . ومنه قولهم (قاتله الله تعالى ما أفصحه)[٤٤] وخِدْرُ عُنيزة : بدل من الخدر الأول ، ومعنى (إنك [مرجلي][٤٥]) بالجيم : تصيرني راجلة ، أي ماشية ، لعقرك ظهر بعيري ، يريد إن هذا اليوم كان من محاسن الأيام الصالحة التي نلتها منهن أيضاً كما في الزوزني[٤٦] .

الثاني : عكسُه ، وهو مَنْعُ صَرْفِ المُنْصَرف ، وفيه خلافٌ مشهورٌ فأجازه الكوفيون ، والفارسي[٤٧] من البصريين[٤٨] ، وأباه باقي البصريين[٤٩]، والصحيح جوازه كما في التصريح[٥٠] لكثرة ما ورد منه في الشعر ، ومنه قوله :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في مَجْمَعِ[٥١]

فمنع مرداسَ من الصَّرْف مع أنّه مصروفٌ .

الثالث : تنوينُ مبنيِّ المنادى ، وهو شائع بكثرة في كلامهم ، أي تنوين المنادى المضموم ، كقوله :

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلامُ[٥٢]

والشاهد في (مطر) الأول حيث نوّنه للضرورة مع أنّ حقّه البناءُ على الضمِّ من غير تنوين[٥٣].

٤ - وتَشْديدُ ذي التخفيفِ والعكسَ جَوَّزوا ومدٌّ لمقصورٍ وقَصْرٌ لمَدَّةِ

يشتمل البيت على أربعة أنواع :

الأول : تشديدُ المخفَّفِ ، وهو قليلٌ ، كقوله :

يا ليتَها قد خَرَجَتْ من فَمِّهِ[٥٤] ...

فالرواية فيه تشديد (الفم) وهو إنما يجوز في الشعر كما في الصحاح[٥٥] ويجوز في فائه الفتح والضم[٥٦].

وكقوله :

... أو الحريقُ وافقَ القَصَبَّا[٥٧]

يريد القصبَ المعروفَ ، فقد شدّد باءه[٥٨] للضرورة ، وإلا فهي مخفّفة .

الثاني : تخفيفُ المشدّدِ ، وهو المشارُ إليه بقوله : والعكس جوزوا ، كقوله :

أهيمُ بليلى ما حييتُ وإنْ أمُتْ وَكَلْتُ بليلى من يهيمُ بها بَعْدي[٥٩]

وكّلْتُ بتشديد الكاف من التوكيل ، أي أقمت وكيلاً بعدي يهيم بها . فخفف الكاف منه ومن حقها أن تكون مشددة .

ذكر هذا البيت المبرّد[٦٠] في الكامل[٦١] وعزاه إلى نُصَيْب[٦٢] قال في الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة للنجم الغزّي رحمه الله[٦٣]، وكان العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي الأحمدي[٦٤] إذا أذِنَ لفقير في التلقين يأخذُ بيدِهِ ثم ينشد «أهيم بليلى ... البيت»[٦٥].

وقد شطّرتُه لما فيه من العذوبة والحلاوة ، فقلت :

أهيم بليلى ما حييتُ وإنْ أمُتْ فوجدي بها وجدي وعهدي بها عهدي

وإن عاقني عنها بدنيا عوائقٌ وَكَلْتُ بليلى من يهيم بها بعدي

ولا فرقَ في جوازِ تخفيفِ المشدّدِ ضرورةً بين الضرب[٦٦] وغيرِه خلافاً لمن خصه بالضرب[٦٧].

قال الشاعر :

وسِرْنا إليهم كافَةً في رحالِهِم جميعاً علينا البيض لا تتخشَّعُ[٦٨]

فخفف (كافة) وهو ليس بضَرْبٍ ، ومثله كثيرٌ في كلامِ العربِ . يعرف ذلك من مارس دواوينهم .

الثالث : مَدُّ المقصورِ ، وهو الاسمُ المتمكّن الذي حَرْفُ إعرابِهِ ألِفٌ لازمةٌ (كالفتى) وفي جوازِ مدّه للضرورة خلافٌ ، فمنعه البصريون وأجازه الكوفيون[٦٩] والصحيحُ مذهبُ الكوفيين لكثرةِ وجودِهِ في الشّعرِ ، حتى قيلَ إنه لغةٌ ، ومن ذلك قوله :

سيُغنيني الذي أغناكَ عني فلا فقرٌ يدوم ولا غِناءُ[٧٠]

فمدَّ (غِناء) للضرورة على أنه مقصورٌ وليس هو من (غانيته)[٧١] إذا فاخَرْتُه بالغِنى ولا بالغَنى (بالفتح) بمعنى النفع كما قيل لاقترانه بالفقر .

والرابع : قَصْرُ الممدودِ وهو الاسمُ المتمكّنُ الذي آخرُه همزةٌ بعد ألِفٍ زائدةٍ (ككساء) وقد أجمعوا على جوازه للضرورة[٧٢] ، كقوله :

لابُدَّ من صنعا وإنْ طال السَّفَرْ وإن تحنّى كلُّ عَوْدٍ ودَبِرْ[٧٣]

فَقَصَرَ (صنعاء) وهو ممدودٌ للضرورة ، وجوابُ الشرط محذوفٌ ، أي لابُدَّ منه ، وتحنّى من حَنَا ظهرهُ إذا احدودب ، والعَوْدُ (بفتح العين المهملة ، وبسكون الواو) المُسِنُّ من الإبل وهو الذي جاوز في السن البازل ، والبازل هو الذي دخل في السنة التاسعة ، قال في الصحاح[٧٤]: بَزَلَ البعيرُ شُقِّقَ نابُه فهو بازلٌ للذكرِ والأنثى ، وذلك إذا دخل في التاسعة وعند ذلك تكملُ قوّته .

وكان بعض أشياخنا إذا سأله الطالب وتفرّس في سؤاله التعنّت ينشد :

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزْلِ القناعيس[٧٥]

والمراد بالقناعيس في الأبدان الشديدات القوة كما في الصحاح[٧٦] ودَبِرْ بفتح الدال وكسر الموحّدة من دَبِر البعيرُ (بالكسر) يدبر إذا عُقِر ظهرُه[٧٧].

٥ - وإشباعُ تحريكٍ وفكٌّ لمُدْغَمٍ وعكسٌ وبَدْلُ الحرفِ في أشياء شذَّتِ

يشتمل البيت على أربعة أنواع :

الأول : زيادةُ حرفِ العلّةِ لإشباعِ الحركة ، وهو مضطردٌ في حرفِ الوَصْلِ وغيرِهِ ، فمع حَرْفِ الوَصْلِ شهير[٧٨] ، وفي غيره ، كقوله :

ينباعُ من ذِفْرَى غَضوبٍ جَسْرَةٍ زَيّافةٍ مثل [الفنيق المكْرَمِ][٧٩]

أراد ينبع فأشبع الفتحة لإقامة الوزن فتولّد من إشباعها ألفٌ ، والذِفْرَى (بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء المهملة ، وفي آخره ألف التأنيث بزنة ذكرى) هي النقرة التي خلف أذن الناقة ، وهي أول ما يعرق منها ، واشتقاقُها من الذَّفَر بفتحتين ، وهي الرائحة الطاهرة ، طيبة كانت كرائحة المسك أو غير طيبة كرائحة النتن ، ومن الأول : كقولهم مِسْكٌ أَذْفَرُ ، ومن الثاني : قولهم رجلُ ذِفرٌ بكسر الذال أي خبثُ ريح ، وأما الدفر ، بالدال المهملة وسكون الفاء فهو النَّتْنُ خاصةً، كما نبّه عليه شيخنا الباجوري[٨٠] أطال الله بقاءه في حاشية «بانت سعاد» .

والجَسْرة بالسين المهملة من الإبل عظيمةُ الخِلْقَةِ كما هو في مختصر الصحاح والزَّيْفُ التبختر ، والفعل زاف يزيف ، والفنيق الفحل منِ الإبل ، والمعنى : ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب عظيمة الخلق شديدة التبختر في سيرها ، مثل فحل من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها ، بالفحل في تبخترها وعظيم خلقها[٨١] .

الثاني : فكُّ المدغم فيما يجبُ إدغامُه ، كقوله :

مَهْلاً أعاذِلُ قد جربْتُ من خُلُقي إنِي أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنوا[٨٢]

فإن الأصل ضَنّوا ، بمعنى بخلوا ، ففكّه .

الثالث : العكسُ ، وهو إدغام المفكوك ، كقوله :

ففي كلِّ حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ فَحُقَّ لشاسٍ من نداك ذَنوبُ[٨٣]

يريد (خبطتَ) بالتاء بعد الطاء ، قيل إن ذلك شاذ ، ليس من الضرورات إذ لا جدوى فيه .

تقول خبطتُ الرجل إذا أنعمتَ عليه من غير معرفة بينكما . وشاس بشين معجمة فألف فسين مهملة اسم أخي الشاعر ، والذَّنوب بفتح الذال يستعمل بمعنى النصيب كما هنا .

الرابع : إبدالُ الحَرْفِ أي جعلُ حَرْفٍ مكانَ حَرْفٍ آخر في المواضع الشاذة ، وهو على قسمين :

أ ــ إبدالٌ شائعٌ لغير إدغام : وهو تسعة يجمعها هجاء قولك «هدأت موطيّا» وهي الهاء والدال المهملة والهمزة والتاء المثناة من فوق والميم والواو والطاء المهملة والياء المثناة تحت ، والألف .

ب ــ وإبدالٌ شاذٌ : نحو إبدال الميم من النون ، في قوله :

... وكفّكِ المخضّب البنام[٨٤]

بالميم ، فالبنام الأصابع ، وأصلها البنان بالنون ، وهي الأصابع وأطرافها ، فأُبدِلَتْ الميمُ من النون شذوذاً حيث لم يتقدمها باءٌ موحّدة[٨٥].

وكإبدال اللام من نون (أُصيلان) تصغير (أصيل) الوقت بعد العصر إلى المغرب على غير قياسٍ ، كما في (مُغرب) و (مُغيربان) في قوله :

وَقَفْتُ فيها أُصيلالاً أسائِلُها أَعْيَتْ جواباً وما بالربع من أحدِ[٨٦]

والمعنى وقفت بدار الحبيبة [أصيلاً][٨٧] وسألتها عن الحبيبة فعجزَتْ عن الجواب وما بها أحد يجيبني .

ومعنى (هدأت) سكنت من السكون ضد الحركة ، يقال هدّأت الصبيَّ ، إذا جَعَلْتَ تَضْرِبُ عليه رويداً لينام . و (موطياً)[٨٨] حال من التاء في هدأت ، اسم فاعل من أوطيته جعلته وطياً[٨٩] إلا أنك خففت همزته بإبدالها (ياءً) لانفتاحها وانكسار ماقبلها . (فالياء) فيه بدل من الهمزة كما بُيّن ذلك في التصريح[٩٠].

والحاصل أن الإبدال الشائع .. يجوز للناظم والناثر ، كإبدال (الياء) من (الباء) في قولهم ([الأراني][٩١] والثعالي) والأصلُ (الأرانب والثعالب) ..

قال الشاعر :

لها أشاريرُ من لحمٍ تتمّرهُ من الثعالي ووَخْزٌ من أرانيها[٩٢]

وإن الشاذ يجوز للناظم دون الناثر ، فإنه يُحْفَظُ ولا يُقاسُ عليه ، والثعالبُ جَمْعُ ثعلبٍ وهو الحيوان المعروف ، والأرانب جَمْعُ أرنبٍ ، والضميرُ في لها للعُقاب الطائرِ المعروفِ .

والأشاريرُ : جمع إشرارة (بكسر الهمزة) وهي القطعة من القديد . واللحم المتمَّر : المقطّع ، والوَخْزُ : الشيءُ القليلُ ، [يعني][٩٣] أنها تصيد لفرخها الثعالب والأرانب .

٦ ــ والإسكانُ والتحريكُ والحذفُ مطلقاً والإثباتُ خصّصْنهُ بأحرفِ عِلّـةِ

هذا البيت يحتوي على أربعة أنواع :

أولها : الإسكان بلا موجب ، صحيحاً كان الحرفُ أو معتلاً . وهو في النظم بتحريكِ اللام وحذفِ الهمزةِ بعدها ضرورةَ استقامة الوزنِ .

مثال الأول ، قوله :

[وقالوا ترابيٌّ فقلتُ صَدَقْتُمُ أبي من ترابٍ خَلْقَهُ الله آدم][٩٤]

أي من تراب[٩٥]، بإسكان لام خَلَقه فهو فعل ماض .

ونحو قوله :

قالت سُليمى اشترْ لنا دقيقا وهاتِ خُبز البرّ أو سويقا[٩٦]

بإسكان راء اشترِ .

ومثال الثاني قوله :

أبى الله أن أسمو بأمٍ ولا أبِ[٩٧]

وقوله :

يا باريَ القوس بَرْياً ليس يُحْكِمُهُ لا تُفْسِدِ القوسَ اعطِ القوس باريها[٩٨]

فقد أسكن الواو[٩٩] والياء[١٠٠] [في][١٠١] حالة النصب من غير موجب .

وعن المبرد «أن ذلك في حروف العلة من أحسن الضرورات لأنها وإن كانت تقبل الفتح إلا أن السكون بها أولى» .

وقد جوّزه بعضهم في اختيار الكلام .

الثاني : التحريك مطلقاً ، سواءٌ كان الحرف صحيحاً أو معتلاً . فمن الأول : التحريك الواقع في قوله :

مشتبه الأعلام لمّاع الخَفِق[١٠٢]

بكسر (الفاء) والأصل الخفْق بسكون الفاء .

ومن الثاني قوله :

لا بارك الله في الغوانيَّ هل يصبحن إلا ولن مطّلبُ[١٠٣]

وكقوله :

فيوماً يجازين الهوى غير ماضيَّ ويوماً ترى منهنّ غولاً تغولا[١٠٤]

فقد حرك الياء من (الغواني) ومن (ماضي) ولا فرق في التحريك بين أن يكون يجانس حركة ما قبله أو لا ، كالتحريك بالكسر للأصالة بناءً على ما عُرِفَ من قولهم (الساكن إذا حُرِّكَ يُحَرّكُ بالكسرِ) .

قال في شرح الألفية : (إنه في غاية الندور) واستشهد له بقوله :

على مَ قتل مسلم تعمّدا مُذْ ستةٌ وخمسون عددا[١٠٥]

بكسر (ميم) (خمِسون) والأصل (خَمْسون) بسكون الميم ، وحرك بالكسر ضرورة .

والغواني[١٠٦] جمع غانية وهي التي استغنت بزوجها أو بحسنها عن تزيينها .

والغول[١٠٧] كل ما اغتال الإنسان فأهلكه ، وتغوّل أي تهلك ، فأسقطت إحدى التاءين كما في (تتنزّل) وأنّث الغول لأنه في معنى السعلاة . ومعناه : يجازين هوى المحب هوى لا يمضي منهن إلى المحب ، ويمضي إهلاكهن إليه أي خيرهن قاصر وشرهن متعدّ .

الثالث : الحذف ، صحيحاً كان الحرف أو معتلاً .

فمن الأول ، قوله :

قواطن مكة من ورق الحمي[١٠٨]

ومن الثاني ، قوله :

إذا ما غدونا قال ولدانُ أهلِنا تعالوا إلى أن يأتِنا الصيدُ نَحْطَبِ[١٠٩]

فحَذَفَ الياءَ ، والقياسُ إثباتها ، وقولي مطلقاً راجعٌ إلى للجميع ، يعني أن الإسكانَ والتحريكَ والحذفَ لا يختص بالمعتلِ بل يكون فيه وفي الصحيح . وأما الإثبات فلا يجري في غير حروف العلة ، إذْ منَ المعلومِ أنَّ القياسَ لا يقتضي حذفَ الحرفِ الصحيحِ ، نحو قوله :

هجوتَ زبّان ثم جئتَ مُعتذراً من هجوِ زبّان لم تهجو ولم تدعِ[١١٠]

فقد أثبت الواو مع الجازم للضرورة مع أن القياس حذفُها ، وزبّان : بالزاي المعجمة اسم رجل ، ويراد بالحذف هنا ما يشمل غير الترخيم الآتي ، وبعضهم أدرجه فيه .

٧ - وحَذْفُ لجزءِ اللفظ أو كُلِهِ كذا لجملةِ أو اثنين عند القرينةِ

يشتمل البيت على أربعة أنواع :

الأول : حذفُ جُزْءِ اللفظِ كحذفِ النون من قوله :

من يا سمي بيض وورد أزهرا يخرج من أكمامه معصفرا[١١١]

أراد به الياسمين النبت المعروف فحذف منه النون ، وهو جزء اللفظ لضرورة استقامة الوزن .

الثاني : حذفُ الكلمةِ بتمامِها ، وأكثر ما يكون في الأدوات والحروف كحذف التنوين ، وهو لغةُ قومٍ عند التقاء الساكنين ، كقوله :

فألفيته غيرَ مستعتبٍ ولا ذاكـرَ اللهَ إلا قليـــلا[١١٢]

بنصب الله . والأصل : ولا ذاكراً بالتنوين ، فحذفه وهو كلمة بتمامها .

وكحذف نون المضارع في قوله :

أبيت أسرى وتبيتي تدلكي وجهَكِ بالعنبر والمسكِ الذكي[١١٣]

والأصل تدلكين فحذف النون ضرورة وهو كلمة .

ويمتنع حذفه اختياراً ، والذكي بالذال المعجمة أي شديد الرائحة .

الثالث : حذف الجملة بتمامها ، كقوله :

فأصبحت عن وصلنا كأن لم[١١٤]

يريد كأن لم تواصلي .

فإن قلت : فما الفرق بين «لمّا» و«لم» حيث أجازوا في الكلام اختياراً (قاربت المدينة ولمّا ..) يريدون (ولمّا أدخلها) فحذفوا الجملةَ في الاختيارِ ولم يُجيزوا ذلك في (لم) إلا ضرورةً ؟

فالجواب : إنّ ذلك يُحْمَلُ على (قد فعل) لأن (لمّا) نفيٌ (لقد فعل)[١١٥] وهم يحذفون الفعلَ بَعْدَ (قد) ، فيقولون (لما مات زيد وكأن قد) .

الرابع : جواز حذفِ الجملتين ، كقوله :

قالت بناتُ العمِّ يا سلمى وإنْ كان فقيراً معدماً قالت وإنْ[١١٦]

أي وإن كان كذلك رضيته أيضاً .

وقولي عند القرينة راجع للجملة وما بعدها ، يعني أن محل جواز حذف الجملة [أو الجملتين][١١٧] عند أمن اللبس ووضوح القرينة الدالة على ذلك .

٨ - وجُوِّزَ ترخيم لصالحَ للندا وحذفٌ لياءٍ في نداءٍ لنكرةِ

يشتمل البيت على نوعين :

الأول : ترخيم غير المنادى وهو لا يجوز إلا بثلاثة شروط .

أحدها : أن يكون ذلك في الضرورة .

ثانيها : أن يصلح الاسم المرخم في الضرورة للنداء ، أي لمباشرة حرف النداء .

الثالث : أن يكون المرخم في الضرورة إما زائداً على ثلاثة نحو (أحمد) أو مختوماً بتاء التأنيث[١١٨] .

فالأول ، كقوله :

لَنِعْمَ الفتى يعشو إلى ضوء نارِهِ طريفُ بن مالِ ليلة الجوعِ والحَصَرْ[١١٩]

أراد ابن مالك فحذف الكاف وجعل ما بقي بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء ولهذا نوّنه[١٢٠] والشاهد في (مالك) حيث رخمه في غير النداء ضرورة .

ويعشو : بالعينَ المهملة والشين المعجمة السير في العشاء ، وهو الظلام والحَصَر : بفتح الحاء والصاد المهملتين شدة البرد . كما في التصريح[١٢١] وقوله : وجُوِّز بالبناء للمجهول أي جوز العلماء في ذلك .

والثاني : كقول زهير بن أبي سُلمى[١٢٢] بضم السين :

خذوا حَظَّكم يا آل عِكْرَمَ واذكروا أواصرنا فالرِحْم بالغيب تُذكرُ[١٢٣]

أي يا آل عكرمة ، فرخمه بحذف (التاء) والأواصر جمع آصرة ، وهي عطفُكَ على رَجُلٍ من رحمٍ أو معروف ، والرحم بفتح الراء وكسر الحاء القرابة ، وبوزن الجسم مثله ، كما في المختار[١٢٤] ولكن الذي في النظم ينبغي ضبطه بكسر الراء وسكون الحاء تباعداً عن الضرورة .

الثاني[١٢٥] : حذف الياء في نداء النكرة كقوله :

جاريَ لا تستنكري عذيري[١٢٦]

فالشاهد فيه حذف (ياء) النداء وهي إنما يجوز حذفها اختياراً في المعرفة دون النكرة[١٢٧] .

٩ - وتقديمُ معطوفٍ وفَصْلٌ بأجنبي زيادةُ حرفين أو الحرفَ أثبتِ

يشتمل البيت على ثلاثة أنواع :

الأول : تقديم المعطوف على المعطوف عليه ، كقوله :

جمعت وفحشاً غيبة ونميمة ثلاث خصال لست عنها بمرعوي[١٢٨]

يريد جمعت غيبة ونميمة وفحشاً ، فقدم المعطوف وهو وفحشاً على المعطوف عليه وهو غيبة للضرورة ، ويمتنع في الإختيار[١٢٩]

الثاني : الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالأجنبي ، وهو خاص بالشعر ، والمراد بالأجنبي غير المضاف ، فاعلاً كان الأجنبي كقوله :

أنجب أيـــام والـــداه به إذ نجلاه فنعـــم ما نجلا[١٣٠]

فأنجب فعل ماض ، ووالداه فاعله ، وبه متعلق بأنجب ، وأيام ظرف زمان متعلق بأنجب ، وهو مضاف ، وإذا مضاف إليه ، ووالداه فاصل بين المضاف والمضاف إليه وهو أجنبي من المضاف ، لأنه معمول لغيره ــ أي أنجب والداه به أيام إذ نجلاه ــ يقال أنجب الولد نجيباً ونجلاه بالنون والجيم نسلاه .

أو مفعولاً ، كقوله :

تسقي امتياحاً ندى المسواكَ ريقتِها كما تضمَّن ماءَ المُزْنةِ الرَّصَفُ[١٣٢]

فتسقي مضارع سقى متعدى لاثنين ، وفاعله ضمير يرجع إلى أم عمرو في البيت قبله ، وندى مفعوله الأول ، وهو مضاف ، وريقتها مضاف إليه ، والمسواك مفعوله الثاني فصل به بين المضاف والمضاف إليه (أي تسقي ندى ريقتها المسواك) والمسواك أجنبي من ندى ، لأنه ليس معمولاً له وإن كان عاملهما واحداً ، وهو تسقي .

والامتياح بمثناة فوقية فتحتانية ، فحاء مهملة ، الاستياكُ ، والمزنةُ السحابةُ ، والرَّصَف بفتحتين جَمْعُ رَصَفَة وهي حجارة مرصوفة بعضُها فوقَ بعض ، وماءُ الرَّصَف أرقُّ وأصفى — كما في التصريح[١٣٣] من الإضافة .

الثالث : الزيادة إذا احتيج إليها ، وهي إما بحرفين ، أو بحرفٍ .

فمن الأول ، قوله :

أتوا ناري فقلت منون أنتم ..[١٣٤]

والأصل من أنتم ، فزاد الواو والنون في (منون) للضرورة .

ومن الثاني : وهو زيادة الحرف الواحد كزيادة (أنْ) المفتوحة في قوله :

كأنْ ظبيةٍ تَعْطو إلى وارقِ السَّلَمِ[١٣٥]

الأصل : كظبيةٍ ، فزاد أنْ للضرورة[١٣٦]

وكزيادة (إنْ) المكسورة بعد (ما) المصدرية تشبيهاً لها (بما) النافية كقوله :

وأرجو الفتى للخير ما إن رأيته على السِّنِّ خيراً لا يزال يزيدُ[١٣٧]

والأصلُ ما رأيته ، فزاد إن للضرورة . فإن قلت زيادة الحرف يغني عنها ما تقدم ، قلت : الزيادة تكون بإشباع وبدونه ، والمرادُ بها هنا الثاني ، كالأمثلة المذكورة .

وغبّ[١٣٨] نظمي للضرورات رأيت بعضهم قد جمعها في بيتين فقال :

ضرورةُ الشِّعرِ خُذْ تعدادَ جُملتِها وصلٌ وقطعٌ وتخفيفٌ وتشديدُ
صَرْفٌ ومَنْعٌ وإسكانُ المحرَّكِ مَعْ مَدٌّ وضدُّهُما والحذفُ تزييدُ

١٠ – وقد تمّ ما قد رُمْتُ لا تنسَ ناظماً حسينَ الدجّانيّ المفتي منك بدعوةِ

قوله قد تم ما رمت أي : قد تم بفضل الله وكرمه ما قد رمته وقصدته من نظم ضرورات الشعر ، والدَّجاني بفتح الدال والجيم وبعدها ألف ثم نون آخرها ياء ، نسبة إلى الجَد الأعلى السيد أحمد الدجاني بن السيد علاء الدين علي ، فإن الفقير حسين بن السيد سليم بن السيد سلامة بن السيد سليمان بن السيد عوض ابن السيد داود بن السيد سليمان بن السيد عبد الله دفين الدامون ، قرية ببلاد صفد ، ابن السيد محمد بن السيد يس البدري بن السيد بدر الدين الولي الشهير دفين وادي النسور ، ابن السيد محمد بن السيد يوسف بن السيد بدر بن السيد يعقوب بن السيد مطر بن السيد غانم بن السيد محمد بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد الحسن بن السيد عوض الأكبر بن السيد زيد بن السيد زين العابدين علي بن السيد الحسين ابن السيد أمير المؤمنين سيدنا علي (كرم الله وجهه) وابن بنت رسول الله ﷺ السيدة فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها ونفعنا بهم أجمعين .

والدجاني نسبة إلى دجانة بفتح الدال قرية من أعمال القدس الشريف ، أقام بها زمناً طويلاً فنسب إليها ، فالنسبة إليها خاصة به ، ثم جرت على أولاده وأولادهم وهلمّ جرًّا ، فيقال فلان الدجاني ، وأما من قبله من آبائه فكانوا ينسبون إلى السيد بدر بن محمد دفين وادي النسور المتقدم ، فيقال فلان البدري ، ولما خرج من دجانية وسكن بيت المقدس بدير صهيون بجوار حضرة خليفة رسول الله ورسوله سيدنا داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فصار الناظرون على حرمه الأشرف [يحذفون دالها ويقولون][١٣٩] جانية يعني مذنبة ، يريدون أنه ما خرج منها الشيخ رضي الله عنه إلا بذنب جنته وصارت تدعى الجانية إلى يومنا هنا ، وقد بارك الله في ذريته فكثر وليدها وأجزل عديدها ، وانتشرت في البلاد ، وخرج منهم جماعة كثيرة من العلماء والأولياء والعباد ، حتى قيل إنه ما من بيت يدخله بنت من ذريته إلا تعمر بالأولاد الذكور ، فمنّ الله عليه بالبركة في الذرية كما بارك في ذرية جده الأكبر السيد بدر الدين ، وقد توفي رحمه الله تعالى في سنة تسعمائة وتسع وستين عند طلوع الشمس ، يوم الخميس من الرابع والعشرين من جمادى الأخرى ، ودفن بجوار العارف بالله تعالى القطب الشهير سيدي محمد أبي عبد الله القرشي من جهة الشمال في تربة مأمن الله في ظاهر القدس . وقد ترجمه العلامة المحبي[١٤٠] في تاريخه الشهير وأثنى عليه النجم الغزي[١٤١] في الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة ، وذكر فيها أنه اجتمع بسيد العالمين ﷺ يقظة وأنه أمره بقراءة النحو ففتح عليه فيه ، وقد ترجم العلامة المناوي في طبقاته[١٤٢] (السيد بدر بن محمد بن يوسف فقال بدر بن محمد بن يوسف من ذرية الحسين بن أمير المؤمنين سيدنا علي (كرم الله وجهه) كان عابداً زاهداً صوفياً عارفاً متمكناً ، اعترف له بذلك أولياء زمنه وأذعنوا له ، وقصد بالزيارة من الآفاق ، له الأحوال العجيبة والكرامات الغريبة ، منها أن الوحوش والسباع الضارية كانت تزوره في حياته وقد بارك الله له في ذريته)[١٤٩] .

قال في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (وله ذرية لا يحصون كثرة ، مناقبهم لا تحصى)[١٥٠] .

وذكر منهم جماعة ، وساق نسب السيد بدر فقال : (بدر بن محمد بن يوسف .. الخ . النسب المتقدم ، مات رضي الله عنه في خمسين وستمائة ودفن بزاويته بوادي النسور على ثلاثة أميال من بيت المقدس ، والدعاء عند قبره الشريف مجرب الإجابة)[١٥١] .

والمفتي نسبة إلى الفتوى التي هي جواب الحادثة ، ووصف بذلك لتوليته منصب الافتاء الشريف بأسكلة يافا المحمية من طرف الدولة العثمانية قوّى الله شوكة اقتدارها وضاعف من جلالها وعقد بالنصر والظفر ألويتها وأدام إقبالها وأسبغ في العالمين ظلالها وعطفها علينا وعلى أولادنا وذرارينا . وإنما نص على وصفه بالفتوى لاشتهاره بها ، وبسؤاله الدعاء يشير إلى أن الحامل له على التأليف إنما هو الطمع في دعاء صالح العباد وطلب الثواب من الرحيم الجواد ، ويرحم الله ابن الوردي[١٥٢] حيث قال في ألفيته وأجاد :

فالناس لم يصنفوا في العلم لكي يصيروا هدفاً للنمِ
ما صنفوا إلا رجاء الأجر والدعوات وجميل الذكر
لكن فديت جسداً بلا حسد وما يضيع الله حقاً لأحد
والله عند قول كل قائل وذو الحجى من نفسه في شاغل[١٥٣]

قوله : وهنا آخر ما أردنا ، اسم الإشارة راجع إلى إسناد التوجيه ، وفي بعض النسخ : هذا ما انتهيت إليه من الاختصار ، بعون الملك الجبار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والكلام على ذلك شهير فلا يحتاج إلى تسطير ، وهنا آخر ما يسر الرحمن وأعان على جمعه حسب الإمكان .

فدونك عروساً قد تجلت بمحياها على منصة البيان إليك ، وشموساً قد أشرقت في سماها عليك ، فاقتبس من حناياها لآلىء الدراري الحسان ، واقتبس من ضيائها ما يضاهي [الفرقدين][١٥٤] قد حوت فرائد الفوائد ، ومحاسن

التحقيقات والخرائد ، تقر بها عين الودود وتكمد بها نفس الجاهل الحسود ، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ، وسبباً للفوز بحدائق النعيم ، ونفع بها كل من تلقاها بقلب سليم ، والرجاء من فضل من اطلع عليها أن يستر الزلل ، ويجبر الخلل ، فالكريم يصلح ، واللئيم يفضح ، فإني معترف بالعجز والتقصير عن ولوجي في مثل هذا الميدان ، مع ما أنا فيه من تراكم أكدار الزمان ، وشط المنازل والأحباب ، وتجرع كؤوس البين والاغتراب ، والحمد لله باطناً وظاهراً ، وأولاً وآخراً ، ومنه أرجو الرضى والقبول ، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول .

قال مؤلفها حفظه الله تعالى : وقد وافق الفراغ من جمع هذه الحاشية في عشرة مضت من جمادى الثاني الذي هو من شهور سنة ألف ومائتين وثلاثة وثلاثين من الهجرة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بالجامع الأزهر والمحل الأنور بمصر المحروسة ، ثم في غرة ستين بعد الألف والمائتين مَنّ الله علينا وتفضل بقراءة الأصل الذي هو الكافي بهذه الحاشية لجماعة من الإخوان كثّر الله من أمثالهم في البلاد وأمدهم بعين الإمداد ، فحصل من الفقير تحرير لبعض الكلمات وضرب على بعض المقولات وزيادة فوائد مستجادات ونظمت خاتمة الضرائر ، وبينتها بما يجلو النواظر ، فلينتبه الواقف عليها لذلك ويلحق فضلاً منه بالنسخ الخالية عما هنالك ذلك . طلباً لرضاء المحسن المالك ، فإن تصحيح الكتب ومقابلتها معدود من المثوبات ومن الصدقة الجارية بعد الممات[١٥٥]، والله ولي التوفيق والهداية لأقوم طريق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وأحبابه وعلى من اقتفى آثار جنابه .

قد تمت هذه الحاشية المباركة بقلم العبد الضعيف الفقير سالم العطاني الشافعي الخلوتي الرفاعي ، تابع الأستاذ المؤلف أطال الله بقاءه وأدام نفعه وعلاه في نهار العشرين من شهر محرم الحرام الذي هو افتتاح سنة أربعة وستين ومائتين وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف ، ﷺ وشرف وعظم وغفر الله لكاتبها ولوالديه ولأشياخه ومحبيه . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ونسأله دوام اللطف والمسرات في الحياة وبعد الممات ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامش

(١) كالمسائل العضديات للفارسي ، وسفر السعادة للسخاوي ، والضرائر الشعرية لابن عصفور ، وما يجوز للشاعر من ضرورة للقزاز القيرواني ، والقسطاس للزمخشري . وغيرها كثير .

(٢، ٣) انظر الكواكب السائرة ٩٦/١ وفي ترجمة حسين بن سليم الدجاني المخطوطة تأليف حسن بن سلامة الباني في الظاهرية برقم ٦٣٥١ وفي نهاية هذا الكتاب/٤٨/وفي هدية العارفين ٣١٠/١ وفي الأعلام ٢٣٩/٢ .

(٤) انظر الكواكب ٩٦/١ .

(٥) الورقة ٢ .

(٦) انظر الكتب المتقدمة أعلاه .

(٧) كذا الكلمة وقد وضعها لتتفق سجعاً مع الكلام الذي يليها .

(٨) هو نور الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى بن محمد الأشموني ، نسبة إلى «أشمونين» في صعيد مصر . ولد في القاهرة سنة ٧٣٨ هـ وتتلمذ على جلال الدين المحلي وصالح بن عمر البلقيني وغيرهما ، تولى قضاء دمياط ، وكان مقرئاً ، وبرع في الفقه والنحو والحساب وهو من منافسي السيوطي ، أهم مؤلفاته : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك وشرح التسهيل ، ونظم الجوامع وغيرذلك ، توفي (٩١٨ هـ) .

(٩) هو جمال الدين ، أبو محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري النحوي المشهور ، وقد ألف التصريح شرحاً على ألفية ابن مالك ، ووضع خالد الأزهري ، شرحاً على التوضيح أيضاً .

(١٠) في الأصل (فالتقطها) ولا يستقيم بها المعنى ، لأنه ذكر بعدها (ونظمتها) .

(١١) المين : الكذب .

(١٢) عَنَّ : بدا وظهر .

(١٣) قوله الأول يعني (سواءٌ كان للشاعر بدٌّ أو لا) .

(١٤) الألفية منظومة في نحو العربية وصرفها ، وهي ألف بيت ، ألفها ابن مالك الطائي الجياني تلميذ الشلوبين في الأندلس وابن يعيش في المشرق ، وهو إمام النحويين في عصره ، توفي في دمشق (٦٣٠ هـ) .
أشهر مؤلفاته : الألفية ، الكافية الشافية ، المؤصل في نظم المفصل . وقد شرح الألفية ابن هشام وغيره .

(١٥) هو مختار الصحاح للجوهري . انظر مادة (ع . ق . د) .

(١٦) انظر مادة (ن . ي . ط) .

(١٧) قوله (وبابه) أي ما في باب علّق ..

(١٨) انظر مادة (ج . ي . د) .

(١٩) انظر مادة (خ . و . د) وتجمع على خودات أيضاً .

(٢٠) هو كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري . وقد أورد ذلك فقال في العدد (اثنين) إذا كانت في حكم المبتدأ ، كانت همزته بمنزلة همزة القطع ، وإن كانت همزة وصل ، لأن همزة القطع والوصل تستويان في الابتداء ، ولهذا يقولون (واحد ، إثنان) فيثبتون فيه الهمزة وإن كانت همزة وصل ، لأن (واحد) في حكم الوقف و(إثنان) في حكم المستأنف . انظر الإنصاف (٧٤٥/٢) المسألة (١٠٨) .

(٢١) البيت في ديوان قيس بن الخطيم ١٦٢ وورد بنسبته له في النوادر ٢٠٤ وفي الكامل ١٧/٢ وفي حماسة البحتري ٢٢٦ وينسب لجميل بثينة . وهو في المفصل برقم ٣٥٦ وفي شرحه ١٩/٩ و ١٣٧ وفي الضرائر ٥٤ .

ويروى (بنشر وإفشاء ...) ويروى (بثّ) والنثّ الإفشاء .

(٢٢) البيت لجميل بثينة وهو في ديوانه ١٨١ ، وفي التصريح ٣٦٦/٢ .

(٢٣) البيت لأنس بن العباس بن مرداس ، وقيل هو لأبي عامر جد العباس بن مرداس . ورواه أبو علي القالي في الأمالي ٧٣/٣ .

كنا نداريها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع

ولا شاهد فيه على هذه الرواية لأن همزة الوصل في (اتسع) سبقت بواو ، وعزاه القالي لبعض اليشكريين . لكن المعلق على الطبعة عزاه لشقران السلامي . وهناك رواية ثالثة للبيت هي :

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الفتق على الراتق

والبيت في ابن عقيل ١٥١/١ ، وفي ما يجوز للشاعر ٨٩ وابن يعيش ٢٣٨/٩ وفي العيني ٥٦٧/٤ .

(٢٤) الإنصاف ٧٣٧/٢ .

(٢٥) لم أعثر على قائله .

(٢٦) في الأصل (سماعي) .

(٢٧) أي (حلق) .

(٢٨) أي الضمير الذي في (وضينه) .

(٢٩) في الأصل (بالبال) وما أثبتناه أصوب .

(٣٠) قيل إنه لبعض المولدين ، ولم يُعز إلى قائل ، وهو في المغني ٦٦٥ . وفي أوضح المسالك ١٨٠/٢ وفي الخزانة ٣٩٦/٣ وفي التصريح ٣٢/٢ .

(٣١) البيت ينسب إلى الخنساء وليس في ديوانها ، وهو لعامر بن جؤين الطائي ، ونسب في بعض المصادر لجوين الطائي والده ، وهو في الكامل ٤٠٦/١ ــ ٦٨/٢ وفي المغني ٨٦٠ وفي أوضح المسالك ٣٥٤/١ وفي ما يجوز للشاعر ١٢٣ وفي الضرائر ٢٧٥ . ويروى برفع إبقالها أيضاً .

(٣٢) في الأصل (التذكر) وهو وهم .

(٣٣) انظر التصريح ٢٨٥/٢ وما بعدها .

(٣٤) انظر التصريح ٢٨٥/٢ والدرر اللوامع ٢٢٤/٢ حيث قال إن مجازي التأنيث تلزم التاء في الفعل المسند إلى ضميره وإن تجريده منها ضرورة . وفي المسألة خلاف .

(٣٥) البيت لرويشد بن كثير الطائي وهو في الخصائص ٤١٦/٢ وفي حماسة أبي تمام ٧٧/١ وفي الصحاح (صوت) وفي شرح المفصل ٩٥/٥ وفي الإنصاف ٧٧٣/٢ وفي درر الهوامع ٢١٦/٢ وفي الضرائر ٢٧٢ ويروى (يا أيها الراكب) ويروى (بلّغ بني أسد) .

وقد استشهد به على أن تأنيث المذكر من الضرورة ، يعني أن الصوت مذكر ، وأشير إليه (بهذه) وهي للمؤنث . وقد أورده ابن جني في الخصائص في باب الحمل على المعنى وقال : «أنّث على الاستغاثة» وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول : «فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها» فقلت له «أتقول جاءته كتابي» ؟ فقال : نعم أليس بصحيفة . قلت : فما اللغوب ، قال : الأحمق .

ويجوز أن يكون المراد بقوله (ما هذه الصوت) ما هذه القصة التي تتأدّى إليّ عنكم . يقال ذهب صوت هذا الأمر في الناس أي انتشر . انظر الدرر ٢١٦/٢ . والمزجي : السائق . يقال زجا الشيء يزجوه زجواً وأزجاه إذا ساقه سوقاً ضعيفاً رفيقاً . والمطية : الظهر الذي يمتطى من إبل وأفراس ، وللحوق الهاء به صار اسماً .

(٣٦) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه ٤٩ . وقد ورد في الأصل (غَزَى) وهو وهم إملائي ومعنوي ، ولم أقع على هذه الرواية (غزا) في كل المصادر بالرغم من اشتهار البيت ، وهو من قصيدة يمدح بها الغساسنة . ويروى : (إذا ما التقى الجمعان) ، في بعض المصادر .

(٣٧) انظر التصريح ٢٢٧/٢ .

(٣٨) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي الشاعر المشهور والبيت من معلقته وهو في ديوانه ١١ وذكره صاحب الضرائر ٢٣ . كذلك اعتبر ابن هشام هنا التنوين تنوين ضرورة كما في المغني .

(٣٩) هذه عبارة الزوزني أيضاً انظر شرح المعلقات السبع ١٥ .

(٤٠) في الأصل (فيا) .

(٤١) انظر الزوزني ١٤وأشعار الشعراء الستة ٣١ .

(٤٢) وتجمع أيضاً على أخدار وجمع جمعه أخادير . انظر الصحاح (خ . د . ر) وغيره .

(٤٣) والويل مصدر لا فعل كبقية أخواته كما في متن اللغة (و – ي – ل) .

(٤٤) انظر الزوزني ١٥ والكلام جميعه السابق واللاحق من الزوزني .

(٤٥) في الأصل مرجل .
(٤٦) انظر شرح المعلقات ١٥ .
(٤٧) هو أبو علي ، الحسن بن عبد الغفار الفارسي ، ولد بـ (فسا) في فارس حوالي ٢٨٨ هـ ، عكف على حلقات البصريين أمثال ابن السراج والأخفش الأصغر وغيرهما ، وأشهر تلاميذه ابن جني ، اتصل بسيف الدولة ، وتوفي ٣٧٧ هـ . أشهر مصنفاته : الإيضاح ، والتذكرة ، والمسائل الفارسيات والمنثورة ، والعضديات ، والحجة في القراءات ... وغير ذلك كثير .
(٤٨) وممن أجازه من البصريين غير الفارسي ، الأخفش وأبو القاسم بن برهان كما في الإنصاف ٤٩٣/٢ .
(٤٩) انظر الإنصاف : المسألة ٧٠ ، ٤٩٣/٢ .
(٥٠) انظر التصريح ٢٢٨/٢ .
(٥١) البيت للعباس بن مرداس السلمي وهو في ديوانه ٨٤ . والبيت من جملة أبيات يعاتب بها رسول الله ﷺ لأنه أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مع عدد من المؤلفة قلوبهم مائة من الإبل من غنائم حنين لكل فرد ، وأعطى العباس أقل من ذلك . وبعدها أرضاه الرسول ﷺ وحصن هو حصن بن حذيفة الفزاري أحد أشراف العرب ، وحابس بن عنان المجاشعي والد الأقرع الصحابي المشهور . ومرداس بن أبي عامر السلمي والد العباس . ويروى البيت (يفوقان شيخي) ولا شاهد فيه .
(٥٢) البيت للأحوص (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت) سمي بالأحوص لِحَوصٍ في عينيه ، أي ضيق في مؤخرتيهما . أخباره مشهورة في الأغاني ٢٩٤/١ و ٢٩٧ و ٢٢٤/٤ وما بعدها و ٢٥٤/٦ و ٦٤/٩ والبيت في سيبويه ٣١٣/١ ومايجوز للشاعر ١٤٩/١ وفي الضرائر ٢٦ وقد استشهد به سيبويه على تنوين المنادى العلم في الضرورة . وقال الأعلم : إن الشاهد فيه تنوين (مطر) وتركه على ضمه لجريه في النداء على الضم ، واطراد ذلك في كل علم مثله فأشبه المرفوع غير المنصرف في غير النداء ، فلما نوّن ضرورة تُرِكَ على لفظه كما ينوّن الاسم المرفوع الذي لا ينصرف ، فلا يغيره التنوين من رفعه . وهذا من مذهب الخليل وأصحابه واختيارهم . انظر سيبويه ٣١٣/١ .
(٥٣) وهذا التنوين من أقسام التنوين عند ابن هشام أيضاً ، وسماه تنوين الضرورة ، وأجازه للشاعر عند الضرورة ، وقد ذكره في شرحه ألفية ابن مالك ٨٢/٣ وانظر الشذور أيضاً ١١٣ وأجاز ضمه ونصبه .
(٥٤) البيت للعجّاج الراجز وهو في ملحقات ديوانه ٣٢٧/٢ انظر تخريجه هناك . وتتمته (حتى يعود الملك في اسطمِّه) . وقد استشهد به على تشديد الميم من (فم) وظاهر سياقه أن ذلك لغة وهو ظاهرُ التسهيل . وقال ابن جني إن ذلك ضرورة ، ويجوز أن يكون الضمير في ليتها لكلمة أراد أن يتكلم بها .
وقد نسبه اللسان إلى العمّاني الراجز (محمد بن ذؤيب) الفقيمي ، وقال إنه خاطب به الرشيد ، وأورده برواية (اطسمِّه) . كذلك عزاه ابن خالويه في اللسان لجرير ، وقال إنه قاله في سليمان بن عبد الملك . وهو ليس في ديوان جرير . انظر ذلك كله في اللسان مادة (طسم) و(فو) . ويروى (حتى إذا ما خرجت من فمّه) كما في الخزانة ٣٧٧/٤ . واسطمُّ الشيء : وسطُه ومعظمُه .
(٥٥) انظر الصحاح مادة (ف . و) .
(٥٦) أي يقال (فم) فتحاً ، و (فو) ضماً للفاء ، والأصل الضم ، غير أنهم أبدلوا الميم من الواو ليقفوا عليها .
(٥٧) البيت من الرجز وهو لرؤبة بن العجّاج ، في ملحقات ديوانه ١٦٩ وقبله (كأنه السيل إذا اسلحبّا) وينسب في بعض المصادر إلى ربيعة بن ضبع . وقد ورد ذكره في المحتسب ٧٥/١ وفي الضرائر ٥٠ وفي التصريح ٣٤٦/٢ . وغير ذلك .
(٥٨) في الأصل (بائه) وهو خطأ .
(٥٩) البيت في الأغاني منسوب إلى النمر بن تولب ٢٧٨/٢٢-٢٧٩ وليس هو في مجموع شعره وروايته فيه :
أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت ... أوصِّ بدعدٍ من يهيم بها بعدي
وذكر ابن قتيبة أن الناس يروونه لنصيب وهو في ديوانه ٨٤ وروايته كالأغاني باختلاف (فياويح) بدل (أوصِّ) . الشعر والشعراء ١٧٤ وقد ورد البيت على لسان الأقيشر الشاعر في حضرة عبد الملك بن مروان ولما سأله عن إصلاحه أجابه :
تحبكم نفسي حياتي فإن أمت ... أوكّل بدعدٍ من يهيم بها بعدي
كذا في الشعر والشعراء ٢٢٤ .
(٦٠) هو أبو العباس ، محمد بن يزيد المبرّد ، ولد في البصرة ٢١٠ هـ ورحل إلى بغداد ، وصار إمام المذهب البصري في النحو واللغة والأدب . توفي ٢٨٥ . أشهر كتبه الكامل ، والتعازي ، والمراثي ، والمقتضب في النحو . وغير ذلك كثير .
(٦١) انظر الكامل ٢٣٦/١ وهو برواية (أهيم بدعد .. أوكّل) .
(٦٢) هو أبو الحجناء أو أبو مِحجَن ، نُصيبُ بن رباح ، شاعر فحل من شعراء بني أمية ، كان عبداً أسوداً من أبوين نوبيين ، اشتراه عبد العزيز وأعتقه مما جعله يكثر من مدائحه اعترافاً بفضله . توفي على الأرجح ١١٠ هـ .
(٦٣) هو نجم الدين ، أبو المكارم وأبو السعود ، محمد الغزّي نسبة إلى غزة في فلسطين لأن جدّه الأكبر (ضوي) أول من نزح من غزة إلى دمشق . وهو متصوّف وفقيه وأديب ، له أكثر من ثلاثين مؤلفاً ، أشهرها الكواكب السائرة المذكور في التراجم والأخبار ، وقد توفي في دمشق ١٠٦١ هـ .
(٦٤) هو محمد الشناوي الأحمدي شيخ الفقراء بالشرقية من أعمال مصر ، كانت له طريقة في التصوف والتوحيد أخذها عن محمد بن أبي الحمائل السروي كما ورد في الكواكب السائرة ٩٧/١ .

(٦٥) انظر الكواكب ٩٧/١ . وقد وردت عبارة (التلقين) بدون ال التعريف .

(٦٦) الضرب في الشعر هو آخر جزء من بيت الشعر ، ويسمى قافية . وقد أخذوه من قولهم ضرب الخيمة أي نصبها ، إذ بالجزء الأخير يتم البيت فتكون خيمة الشعر مضروبة . وقيل سمي ضرباً لأن البيت الأول من القصيدة إذا بني على نوع من الضرب كان سائر القصيدة عليه ، فصارت أواخر القصيدة متماثلة فسُمِّيَ ضرباً ، كأنه أخذ من قولهم أضراب أي أمثال .

(٦٧) انظر ذلك في العقد الفريد ٤٢٨/٥ وفي القسطاس ٦٤ .

(٦٨) البيت لعبد الله بن رواحة الأنصاري الصحابي الجليل المعروف استشهد في غزوة مؤتة . والبيت في ديوانه ٩٦ وفي سيرة ابن هشام ١٥٦/٢ وفي الصحاح مادة (ك ـ ف ـ ف) . ويروى (جهرة) بدل (كافة) ولا شاهد فيه . ويروى أيضاً (نتخشّع) . في بعض المصادر .

(٦٩) ذهب إليه الأخفش أيضاً من البصريين . انظر ذلك في أوضح المسالك ٢٤٥/٣ والإنصاف ٧٤٥ والتصريح ٣٦٨/٢ والأشموني ٩١/٤ وهو من المسائل المختلف فيها بين البصريين والكوفيين .

(٧٠) لم يعز في المصادر إلى قائل معين . وهو في الإنصاف ٧٤٧/٢ وفي التصريح ٢٩٣/٢ وفي الأشموني ١١٠/٤ والضرائر ٤٠ وفي المقصور والممدود ١٣١ . وقد أورده ابن سيده في المخصص ٢٧٦/١٢ و ١٣٦/١٥/برواية أبي إسحاق (فلا فقر يدوم ولا غَناء) بالفتح فهو على غير اضطرار ولا شاهد فيه .

(٧١) غانيته : رأي البصريين لأنهم قدروا غناء مصدراً لغانيت لا مصدراً لغنيت ، وهو تعسف على حد تعبير ابن هشام في أوضح المسالك ٢٤٥/٣ وفيه خلاف كقول ابن مالك (والعكس بخلف يقع) انظر التصريح ٢٩٣/٢ .

(٧٢) انظر ذلك في أوضح المسالك ٢٤٣/٣ وفي التوضيح وشرحه ٢٩٥/٢ .

(٧٣) لم يعز إلى قائل ، وهو من الرجز المشطور وقد ورد في أوضح المسالك برقم ٥٣٥ وفي المخصص ١١١/١٥ و٤٢/١٦ وفي المقاصد النحوية ٥١١/٤ وفي التصريح ٢٩٣/٢ وهمع الهوامع ١٥٦/٢ ودرر اللوامع ٢١١/٢ وفي المقصور والممدود ٦٥ و ١٥١.

(٧٤) انظر كل ما تقدم في الصحاح في المواد التالية (ح . ن . و) و (ع . و . د) و (ب . ز . ل) و (د . ب . ر) .

(٧٥) البيت لجرير في هجاء عمرو بن لجأ وقبيلة التيم ، وهو في ديوانه ٣٢٣ وابن اللبون : ولد الناقة الذي استكمل عامه الثاني ودخل في الثالث ، ويقال له ذلك لاعتاده على لبن أمه . ولُزّ : إذا لُصِقَ أو قُرِنَ ، والقَرَن : الحبل .

(٧٦) انظر الصحاح مادة (ق . ع . س) و (ق . ن . ع . س) .

(٧٧) انظر الصحاح أيضاً مادة (د . ب . ر) ويقال أيضاً دبِر البعير يدبر دبرةً ودبوراً إذا عقر ظهره .

(٧٨) كقولنا (آمين) والأصل أمين فأشبعت الفتحة فتولدت من إشباعها ألف .

(٧٩) البيت لعنترة العبسي وهو في معلقته وفي ديوانه ١٤٨ ويروى في بعض المصادر ينبوع، وهو طي المسافة ، هرباً من ذلك الإشباع ، ورواية أغلب المصادر الفنيق . وفي الأصل المكرّم وهو وهم لأنه شرح العبارة .

(٨٠) هو أبو محمد الحسن بن أحمد المعروف بالباجوري توفي ١٢٥٠ هـ صاحب طريقة في الزهد والتصويف له حاشية على شرح (بانت سعاد) .

(٨١) الكلام مأخوذ من الزوزني ٢٠٣ .

(٨٢) البيت لقعنب بن أم صاحب ، وهو في سيبويه ٢٩/١ وفي المنصف ٣٣٩/١ و ٦٩/٢ والخصائص ١٦٠/١ وسمط اللآلىء ٥٧٦ .

(٨٣) البيت لعلقمة بن عبدة وهو في ديوانه ٤٨ برواية (وفي كل حي) وقد همز (شاس) وقيل إن شأساً أخوه أو ابن أخيه .

(٨٤) البيت من الرجز وقائله رؤبة بن العجاج وصدره : (يا هال ذات المنطق التمتام) أراد يا هالة فرخمه بحذف التاء لأنه علم ، والمنطق النطق ، والتمتام من التمتمة وهو تكرير التاء وهو في التصريح ٣٩٢/٢ والمفصل ٣٦٦ وفي شرحه ٣٣/١٠-٣٥ وفي شرح شواهد الشافية ٤٥٥ .

(٨٥) ينبغي أن يقول (حيث لم يتأخر عنها باء موحدة) . والقول برمته مأخوذ من التصريح ، انظره هناك ٣٩٢/٢ .

(٨٦) البيت للنابغة وهو من معلقته وفي ديوانه ١٩ برواية (أصيلاناً) بلا إبدال ولا شاهد فيه ، والإبدال رواية ابن السكيت . ويروى البيت (وقفت فيها أصيلا كي أسائلها) ولا شاهد فيه . وأغلب الروايات كما في الديوان (عيّت جواباً) . وهذا الإبدال قليل على حد تعبير الحسيني في شرح الشافية ٢٢٧/٢ .

(٨٧) في الأصل (أحياناً) .

(٨٨) في قوله السابق يجمعها هجاء قولك (هدأت موطياً) الذي تقدم .

(٨٩) في التصريح (من أوطأته جعلته وطأ) انظر هناك ٣٦٨/٢ .

(٩٠) انظر التصريح ٣٦٨/٢ .

(٩١) في الأصل (أراني) دون تعريف .

(٩٢) البيت للنمر بن تولب ، وقد نسبه سيبويه لرجل من بني يشكر . وقد يكون المقصود أبا كاهل اليشكري كما ورد في اللسان مادة (ر . ن . ب) والبيت وارد في سيبويه ٣٤٤/١ ، وفي المقتضب ٢٤٧/١ . وفي شرح شواهد الشافية ٤٤٣ والمفصل ٣٦٥ وشرحه ٢٤/١٠-٢٨ .

(٩٣) في الأصل (معنى) ولا دلالة لها .

(٩٤) في الأصل (ترابي فقلت صدقتم خلق الله آدم) وهو بيت من الشعر ينسب لبعض الشيعة دون تحديد قائل معين ، وقد ورد في ما يجوز للشاعر في الضرورة ٨٢ وفي شرح شواهد الشافية ١٨/٤ وفي الضرائر ٨٤ وفي الدرر اللوامع ٢١٧/٢ دون تتمة .

(٩٥) في قوله (ترابي) أي من تراب .

(٩٦) البيت للعذافر الكندي وهو من الرجز ، لم يرد في المصادر مجتمعاً ، بل ورد الشطر الأول في المحتسب ٣٦١/١ وشرح البغدادي ٢٢٦ وورد الشطر الثاني في الخصائص ٣٤٠/٢ و ٩٦/٣ وفي المنصف ٢٣٧/٢ وشرح البغدادي ٢٢٤ و ٢٢٦ وفي الضرائر ٩٧ .

(٩٧) البيت لعامر بن الطفيل وصدره : (فما سودتني عامر عن وراثة) وهو في المغني ٨٨٧ وفي المفصل ٣٨٤ وفي شرحه ١٠٠/١٠-١٠١ وفي الخزانة ٥٢٧/٣ .

(٩٨) ينسب البيت للحطيئة وليس في ديوانه، وقد ورد في شرح شواهد الشافية ٤١١ .

(٩٩) أسكن (الواو) في بيت عامر السابق (أن أسمو) .

(١٠٠) أسكن (الياء) في البيت المذكور (باريها) .

(١٠١) زيادة لاستقامة المعنى .

(١٠٢) البيت من الرجز ، وهو لرؤبة بن العجاج ، وصدره : (وقاتم الأعماق خاوي المخترق) وهو في ديوانه ١٠٤ وفي الخصائص ٢٢٨/١ و٢٦٠ و ٢٦٤ و ٣٢٠ و ٣٣٣ وفي المنصف ٣١٨/٢ والمحتسب ٨٦/١ ومعاني الشعراء ١٣٣ والضرائر ١٧ والأعلام : الجبال ، والخفق الاضطراب .

(١٠٣) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، وهو في ديوانه ٣ وفي سيبويه ٥٦/٢ وفي المقتضب ١٤٢/١ و ٣٥٤/٢ وفي المفصل ٣٨٦ وشرحه ١٠١/١٠ ورواية الديوان (إلا لهن مطلب) بلا واو .

(١٠٤) البيت لجرير وهو في ديوانه (٤٥٥) وروايته :

فيوماً يجارين الهوى غير ما صبا ويومـــاً ترى منهن غولاً تغـــوّلُ

وقد قال ابن القطاع بصحة رواية الديوان وقد صحفه جماعة ، وعليه لا شاهد فيه ، لأن أصل التغوّل الرفع وليس النصب ، والبيت مشهور في مصادر كثيرة .

والتغول : التلوّن .

(١٠٥) لم يعز إلى قائل معين . وهو من الرجز ، وهو في النوادر ١٦٥ وفي المحتسب ٨٦/١ وفي الخصائص ٧٧/٢ واللسان (يوم) وفي همع الهوامع ١٥٧/٢ وفي الدرر ٢١٤/٢ حيث ذكر صاحبها أن الشاهد فيه هو تحريك (دال) (عدداً) بالفك وقياسه عداً بخلاف ما ذكر المؤلف . والله أعلم .

(١٠٦) في البيت السابق (لا بارك ...) .

(١٠٧) في البيت المتقدم (فيوماً يجازين ..) .

(١٠٨) البيت للعجّاج الراجز وهو في ديوانه ٤٥٣/١ وفي سيبويه ٨/١ والصحاح واللسان (أ ــ ل ــ ف) و (ح . م . م) وفي الخصائص ٤٧٣/٢ وفي التصريح ١٨٩/٢ وقبله (والقاطنات البيت غير الريّم) ورواية البيت في بعض المصادر (أو الفا) واستشهد به على أن الحمي أصله الحمام فهو من الحذف الذي ليس بترخيم . وقد ورد في كتاب سيبويه أنه يجوز في الشعر مالا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف يشبهونه بما قد حذف ، واستعمل محذوفاً كقول العجاج (قواطناً مكة من ورق الحمي) يريد الحمام ، وقال الأعلم : يريد الحمام فغيّرها إلى الحمي . وفي ذلك أوجه أحسنها عندي وأشبهها بالمستعمل من كلام العرب أن يكون اقتطع بعض الكلمة للضرورة وأبقى بعضها لدلالة المتبقي على المحذوف منها وبناها بناء وجبرها بالإضافة وألحقها الياء في اللفظ لوصل القافية . ووجه آخر : أنه حذف الميم للترخيم في غير النداء ضرورة وأبدل من الألف ياء كما يبدل من الياء ألفاً في قولهم (مدارى) و (عذارى) وإنما أصله (مداري) و (عذاري) ومنهم من خطّأ العجاج في قوله ذاك . انظر الدرر ١٥٧/١ .

(١٠٩) قائله امرؤ القيس وهو في الديوان ٣٨٩ وفي المحتسب ٢٩٥/٢ وفي الضرائر ٩١ ويروي (إذا ما ركبنا ... إلى أن يأتيَ) .

(١١٠) البيت لأبي عمرو بن العلاء ، وزبان اسمه . وقيل إنه يخاطب به الفرزدق عندما هجاه ثم اعتذر له ، وهو من شواهد النحاة على إثبات الواو في قوله (تهجو) والأصل حذفها كما ذكر المؤلف ، وورد البيت في الإنصاف ٢٤/١ وفي المفصل ٣٨٧ وفي شرحه ١٠٤/١٠ وفي الأشموني ٨٢/١ وفي الضرائر ٤٥ وغير ذلك .

(١١١) لم أعثر على قائله .

(١١٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، قاله في امرأة تزوجها فخانته وكانت على غير ما أبدت فطلقها بعد تمثّله لذويها بأبيات منها هذا وهو في ديوانه ٢٠٣ وفي سيبويه ٨٥/١ وفي المغني ٧٢٠ و ٨٤٤ وفي الكشاف ١٥٢/١ . وقد اعتبر ابن هشام هذا الحذف قليلاً وآثره على حذفه للإضافة لإرادة تماثل المتعاطفين في التنكير .

(١١٣) البيت من الرجز لم يعز إلى قائل معين ، وهو في المحتسب ٢٢/٢ وفي الخصائص ٣٨٨/١ وفي التصريح ١١١/١ وفي همع الهوامع ٥١/١ وفي الدرر اللوامع ٢٧/١ وفيه شاهد آخر على حذف النون غير الذي ذكره المؤلف ، وهو حذف النون من (تبيتي) والأصل (تبيتين) وهو من الحذف الشاذ ولا يختص بالضرورة ، انظر الدرر ٢٧/١ .

(١١٤) لم أعثر على صدره ولا على قائله . وهو مما أنشده يعقوب في معاني الشعر . انظر الضرائر ١٨٣ برواية (من)

وقد أورد صاحب التصريح شاهداً قريباً منه يُعتقد أنه المقصود وهو :

احفـظ وديعـتك التـي استـودعتها يوم الأعـــازب إن وصلت وإن لم

لإبراهيم بن علي بن محمد الهرمي (ابن هرمة) لأن المؤلف رحمه الله أخذ تعليقه على حذف الجملة بتمامها من التصريح وكان الشاهد مختلفاً . وقد تصرّف المؤلف ببعض الشواهد كما تقدم . انظر التصريح ٢٤٧/٢ والأشموني ٦/٤ وشرح شواهد الألفية ٤٤٣/٤ .

(١١٥) انظر المغني ٣٦٧ وما بعدها .

(١١٦) الرجز لرؤبة بن العجاج ، وقد ذكر في ملحقات ديوانه ١٨٦ وهو في المغني ٨٥٢ وأوضح المسالك ١٥/١ والخزانة ٦٣٠/٣ والتصريح ١٩٥/١ وفي الهوامع

٦٢/٢ وفي الدرر ٧٨/٢ .

ويروى (وإن) بغير تثنية للنون ، وسماه ابن هشام من التنوين الغالي .

(١١٧) زيادة من التصريح لتتمة المعنى ، انظر التصريح ١٩٥/١ .

(١١٨) انظر التصريح أيضاً ١٩٠/١ .

(١١٩) البيت لامرىء القيس الكندي وهو في ديوانه ١٤٢ وفي التصريح ١٩٠/١ ويروى (تعشو ...) و (الخصر) .

(١٢٠) التعليق كما ورد في التصريح ١٩٠/١ (أراد ابن مالك فرخمه في غير النداء ضرورة وترك ما بقي كأنه اسم برأسه ونوّنه على لغة من لا ينتظر) وتفرّد في تعليقه على لغة من لا ينتظر .

(١٢١) انظر التصريح ١٩٠/١ .

(١٢٢) هو الشاعر الجاهلي المعروف .

(١٢٣) البيت في ديوانه ١٥٧ وهو مما خاطب به بني آل امرىء القيس وهم هوازن وسليم ودلالته (أي لا تفسدوا ما بيننا وبينكم من صلة الرحم) ويروى (خلوا حظكم) و (الرحم) .

(١٢٤) انظر المختار مادة (ر . ج . م) .

(١٢٥) من أنواع الضرورات التي ذكرها المؤلف .

(١٢٦) الرجز للعجاج ، ونسبته بعض المصادر لرؤبة ابنه وليس له ، وتتمته (سعيي وإشفاقي على بعيري) وهو في ديوان العجاج ٣٣٢/١ وفي سيبويه ٣٢٥/١ ومقاييس اللغة ٢٠٤/٣ وفي التصريح ١٨٥/١ ويروى (جارية) كما في الأصل وما أثبتناه رواية الديوان وأغلب المصادر .

(١٢٧) وقد أجاز سيبويه حذف (يا) من النكرة في الشعر ومنعه المبرد وقيل لا يجوز ذلك إلا عند الكوفيين . انظر الإنصاف ٣٥٢/١ .

(١٢٨) البيت ليزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي يعاتب فيه ابن عمّ له ونسب إلى زيد بن عبد ربه وهو في أمالي القالي ٦٨/١ وفي الخصائص ٣٨٣/٢ وفي الخزانة ٤٩٥/١ وفي الدرر ١٩٠/١ والضرائر ٢١٠ والتصريح ١٣٧/١ و ٣٤٤/٢ وقد أجاز ابن جني تقديم المفعول معه على المعمول لمصاحبة المصاحب ، والأولى المنع رعاية لأصل الواو .

(١٢٩) انظر تفصيل ذلك في التصريح ١٣٧/١ .

(١٣٠) البيت للأعشى وهو في ديوانه ١٧١ وروايته (أنجب أيام والديه به) وفي التصريح ٥٨/١ .

(١٣١) تتمة لكلامه السابق (فاعلاً كان الأجنبي أو مفعولاً) وانظر التصريح ٥٨/١ .

(١٣٢) البيت لجرير وهو في ديوانه ٣٨٥ وفي التصريح ٥٨/١ .

(١٣٣) انظر التصريح ٥٩/١ .

(١٣٤) البيت لشمير بن الحارث الضبي وقيل لسمير ، وقيل شمر على اختلاف ، وينسب لتأبّط شراً ، وهو في ديوانه ١٧١ وورد في النوادر ١٢٤ وفي الخصائص ١٢٩/١ وفي الخزانة ٣٣٦ . وتتمته (فقالوا الجن ، قلت عموا ظلاما) ويروى (عشوا ناري ..) (ومنون أنتم .. سراة الجن) ...

وقد قال صاحب التصريح إن هذه الأحرف كأحرف الإطلاق لا تكون إلا في الوقف ، فأما في البيت فالقياس من أنتم فنادر ، حمله سيبويه على من قال (ضرب منومنا) ، قال : إنما يجوز منون على هذا فهو عنده معرب كأي مجموع بالواو والنون . وقال الكسائي (ربما احتاج الشاعر فزاد هذه الرواية في الأصل . قال ابن خروف : وتوجيه سيبويه أجود وهو أن يكون معرباً وجمعه كأي مجموع .

وحكى الكوفيون أن منهم من يقول : منو أنت ؟ ومنان أنتما ومنون أنتم فيكون البيت على هذا ولا يقاس عليه خلافاً ليونس ، وحجته أنه سمع بعض العرب يقول : ضرب من منا لمن قال ضرب رجل رجلاً حكاه عنه سيبويه ، ووجهه أنه أزال الاستفهام عن صدريته وأعرب أحدهما فاعلاً والآخر مفعولاً في الأولين وحكاهما في الوصل في الباقين واستبعده سيبويه .

وفي هذا البيت شذوذان آخران : أحدهما أنه حكى الضمير في (أتوا) وهو معرفة وليس وجه شذوذه أنه حكى مقدراً . (ولم يذكر الشذوذ الثاني) انظر الدرر ٢١٨/٢ .

(١٣٥) ينسب البيت لعلباء بن أرقم اليشكري ، وينسب لأرقم بن علباء ولزيد بن أرقم ولابن صريم اليشكري وصدره (ويوماً توافينا بوجه مقسم) وهو في الأصمعيات ١٧٨ وفي سيبويه ٢٨١/١ و ٤٨١ وفي المغني ٥١ وأوضح المسالك ٢٧٠/١ و ٦٧/٣ والخزانة ٣٦٤/٤ و ٤٨٩ وفي التصريح ٢٣٤/٢ .

(١٣٦) هذه على رواية من جرّ ظبية. وقد أجاز النحويون زيادة أن بين حرف الجر ومجروره واستشهدوا بهذا البيت . ومنهم من أنكر هذا الوجه انظر المغني ٥١ و الجنى الداني ٢٢٢ .

(١٣٧) البيت للمعلوط القريعي وهو في سيبويه ٣٠٦/٢ وفي المغني ٣٨ و ٥٧ و ٤٠١ و ٨٩٠ وفي أوضح المسالك (١٧٣/١) وروايته في المصادر كلها (ورجٌ) على الأمر .

(١٣٨) غبّ الشيء : بعده .

(١٣٩) في الأصل (حذفوا دالها وقالوا) ولا يستقيم بها المعنى .

(١٤٠) هو محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي ، حموي الأصل ولد في دمشق ١٠٦١ هـ سافر إلى الآستانة وبروسة ومصر وولي القضاء في القاهرة ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها عام ١١١١ هـ أشهر كتبه (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) .

(١٤١) تقدمت ترجمته .

(١٤٢) لم أر للمناوي المذكور كتاباً في الطبقات .

(١٤٩) الكلام المتقدم كله وارد في الأنس الجليل تأليف أبي اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي ، انظر ذلك فيه ٢/١٤٦-١٤٧ .

(١٥٠) انظر الأنس الجليل ٢/١٤٦ .

(١٥١) عبارة الأنس الجليل «ومسافته عن بيت المقدس نحو ثلث بريد» . انظر هناك ٢/١٤٧ .

(١٥٢) هو زين الدين عمر بن المظفر بن عمر ... ابن الوردي ولد في معرة النعمان ١٢٩٠ م وعمل نائباً للقاضي محمد بن النقيب وتوفي في حلب بالطاعون ١٣٤٩ م ، كان أديباً ناثراً وشاعراً ، وألم بالفقه واللغة والنحو والحيوان والشعر ، ولاميته مشهورة معروفة .

(١٥٣) انظر المقدمة الألفية الوردية ٢٠ .

(١٥٤) في الأصل الفرقدان .

(١٥٥) إشارة إلى الحديث الشريف «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح أو علم ينتفع به» انظر صحيح مسلم باب الصدقات .

مصادر التحقيق

ــ أشعار الشعراء الستة : الأعلم الشنتمري ، بيروت ، دار آفاق ١٩٨٣ م .
ــ الأصمعيات : الأصمعي ، ت : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ١٩٥٥ م .
ــ الأعلام : خير الدين الزركلي ، مصر ١٩٥٤ ــ ١٩٥٩ م (الطبعة الثانية) .
ــ الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، دار الكتب المصرية ١٩٢٧ م .
ــ الألفية الوردية : ابن الوردي ط بولاق ١٢٨٥ هـ .
ــ أمالي القالي : أبو علي القالي ، مصر ١٩٥٣ م .
ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : مجير الدين الحنبلي ١٩٢٣ م
ــ الإنصاف في مسائل الخلاف : أبو البركات الأنباري ، مصر ١٩٦١ م .
ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام ، القاهرة ١٩٤٩ م .
ــ ترجمة حسين الدجاني : حسين بن سلامة اليافي ، مخطوط في الظاهرية برقم ٦٣٥١ تصوف .
ــ الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي ، ت فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، بيروت ١٩٨٣ .
ــ حماسة أبي تمام : حبيب بن أوس الطائي ، شرح التبريزي ــ بيروت ط ١ .
ــ حماسة البحتري ، مصر ١٩٢٩ م .
ــ خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي ، طبعة السلفية ١٣٤٧ هـ .
ــ الخصائص : ابن جني ، ت : محمد علي النجار ، القاهرة ١٩٥٢ م .
ــ الدرر اللوامع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع : أحمد بن الأمين الشنقيطي ط دار المعرفة بيروت .
ــ ديوان أبي الأسود الدؤلي : ت عبد الكريم الدجيلي ، بغداد ١٩٥٤ م .
ــ ديوان الأعشى : صادر صادر ١٩٦٠ م .
ــ ديوان امرىء القيس : ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
ــ ديوان جرير : المكتبة التجارية بلا تاريخ .
ــ ديوان جميل بثينة : جمع وتحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٦٧ م .
ــ ديوان الحطيئة ، نشر نعمان أمين طه ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، د . ت .
ــ ديوان الخنساء : دار صادر ، بلا تاريخ .
ــ ديوان رؤبة ، نشر آلوارد ، الجزء الثالث من مجموع أشعار العرب .
ــ ديوان زهير بن أبي سلمى : دار الكتب ١٩٤٤ م .
ــ ديوان العباس بن مرداس : جمع وتحقيق يحيى الجبوري بغداد ١٩٦٨ م .
ــ ديوان عبد الله بن رواحة : جمع وتحقيق حسن محمد باجودة القاهرة ١٩٧٢ م .
ــ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : دار صادر ١٩٥٨ .
ــ ديوان العجاج : ت عبد الحفيظ السطلي دمشق ١٩٧١ م .
ــ ديوان علقمة الفحل : ت لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي حلب ١٩٥٧ م .

ــ ديوان عنترة : ت وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ١٩٦٥ م .
ــ ديوان قيس بن الخطيم : ت ناصر الدين الأسد . دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ م .
ــ ديوان النابغة الذبياني : المكتبة الأهلية ، بيروت ، د . ت .
ــ سفر السعادة وسفير الإفادة : السخاوي ، ت محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية .
ــ سمط اللآلىء : أبو عبيد البكري ، القاهرة ١٩٣٦ م .
ــ السيرة النبوية : ابن هشام ، القاهرة ١٩٣٦ م .
ــ شذور الذهب : ابن هشام ، ت محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥١ م .
ــ شرح البغدادي لشواهد شرح الرضى لمتن الشافية : ابن الحاجب ، طبع ملحقاً بشرح الرضى للشافية بعناية محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين
ــ شرح التصريح على التوضيح : خالد الأزهري .
ــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : مصر ١٩٣١ م .
ــ شرح شواهد شرح الشافية : البغدادي : مصر ١٣٥٨ هـ .
ــ شرح المعلقات السبع : الزوزني ١٩٥٨ م .
ــ شرح المفصل : ابن يعيش ، ليبزيغ ١٨٧٥ م .
ــ ضرائر الشعر : ابن عصفور ، ت السيد إبراهيم محمد .
ــ العقد الفريد : ابن عبد ربه ، ت : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري ، ١٩٨٣ م .
ــ القسطاس : الزمخشري : ت فخر الدين قباوة ، ١٩٧٧ م .
ــ الكامل : المبرد ، القاهرة ١٩٣٦ م .
ــ الكتاب : سيبويه ، مصر ١٣١٦ هـ .
ــ الكشاف : الزمخشري ، مصر ١٣٠٧ هـ .
ــ الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة ، النجم الغزي ١٩٦٤ م .
ــ لسان العرب : ابن منظور المصري ، بيروت ١٩٦٩ م .
ــ ما يجوز للشاعر من ضرورة : القزاز القيرواني ، ت : منجي الكعبي ، الدار التونسية ١٩٧١ م .
ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : ابن جني ، ت : علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي .
ــ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، مصر ١٩١٠ م .
ــ المخصص : ابن سيده ، مصر ١٣١٦ هـ .
ــ المسائل العضديات : أبو علي الفارسي ت شيخ الراشد ، وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٨٦ م .
ــ المغني اللبيب : ابن هشام ، ت مازن المبارك وعلي حمد الله ، دار الفكر ١٩٧٥ م .
ــ المفصل : الزمخشري ١٣٢٣ هـ .
ــ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية : محمود بن أحمد العيني ، طبعت على هامش خزانة الأدب للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩ هـ .
ــ مقاييس اللغة : ابن فارس ، ت عبد السلام هارون ١٣٦٦ هـ .
ــ المقتضب : المبرد ، ت عبد الخالق عضيمة ، مصر ١٣٨٥ هـ .
ــ المقصور والممدود : ابن ولّاد ، القاهرة ١٩٠٨ م .
ــ المنصف : ابن جني ، ت إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .
ــ النوادر في اللغة : أبو زيد الأنصاري ، طبعة الشرتوني ، بيروت ١٨٩٤ م .
ــ هدية العارفين : إسماعيل البغدادي ، دار المثنى ، بغداد .
ــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع : السيوطي ، بعناية محمد بدر الدين النعساني .

★



«ورقة الغلاف»



«الورقة الأخيرة من الأصل ويظهر الخرم جلياً»



«الورقة الأولى والثانية من المخطوط وتظهر الإحالات الكثيرة فيهما»

رسائل جامعية

التربية والتعليم في البلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لسامي نمنقاني

غمنقاني ، سامي إسماعيل/التربية والتعليم في البلاد التي تم فتحها في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ـ إشراف ماجد عرسان الكيلاني ـ مكة المكرمة : جامعة أمرى القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، ١٤٠٨ هـ .

خرجت جيوش الفتح الإسلامي وبعوثه الفكرية لتعيد تنظيم حياة الشعوب على أسس إسلامية خالصة ، وطبقاً لمراحل واضحة تكون من التالي :

١ ـ دعوة رؤساء الأمم وقادة الشعوب للأخذ بمبادىء الإسلام وتربية شعوبهم وإقامة نظم حياتهم عليه .

٢ ـ مرحلة الجهاد العسكري لإزالة الحواجز من طريق الدعوة الإسلامية .

٣ ـ مرحلة تربية شعوب الأقطار المفتوحة تربية إسلامية ، فلقد اقتضت هذه المرحلة أن تتألف جيوش الفتح الإسلامي من قسمين : فرق الجهاد العسكري وعملها إزالة الحواجز المادية ، وبعوث ثقافية وعملها تربية الشعوب وإحداث التغير في العقائد والقيم والعادات والتقاليد .

٤ ـ مرحلة نضوج الشعوب وإسهامها في نشر الإسلام وتربية الشعوب الأخرى .

وحرص الإسلام على امتصاص العناصر الذكية القادرة في كل شعب بعد اكتمال إعدادها إسلامياً ، ثم توجيهها للقيام بالدور نفسه بين الشعوب التي تليها .

والإسلام دعوة عالمية وحركة إصلاحية مستمرة لا تنحصر بمكان ولا تتقيد بزمان ، فهي حارسة الإنسانية ومرشدها إلى يوم القيامة . لذا لا يمكن أن تعتمد هذه الرسالة على شعب معين بالذات ، إذ لابد من تجدد الجيوش التي تحملها ، ولابد من المحافظة على هذه الجيوش .

لقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدور بارز في تطبيق هذه المراحل ، وذلك بحكم موقع خلافته الإسلامية ، والفترة الزمنية التي امتدت خلالها هذه الخلافة ، وهي حوالي عشر سنوات من (١٣-٢٣ هـ) . ففي خلافته اتسعت رقعة البلاد المفتوحة حيث تم فتح الشام والعراق وفارس ومصر .

وصحب هذا الفتح فرق الجهاد العسكري والبعوث الثقافية لتربية الشعوب والدعوة لتغير العقائد والقيم والعادات غير الإسلامية .

وجد المسلمون أنفسهم أمام واجب كبير ، وهو نشر الإسلام بين شعوب هذه البلاد المفتوحة الذين لم تكن حياتهم فارغة بسيطة ، وإنما كانت عقولهم مليئة بالعقائد المختلفة ، كاليهودية والنصرانية والزردشتية والمجوس وفرقهم المختلفة ، وكانت لهم حضارات موروثة ، ولم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن يغيب عنه أثر تلك العقائد وهذه الحضارات في عقول ونفوس أصحابها ، ولم يكن رضي الله عنه ممن يضيق صدره بتلك العلوم والحضارات ، وإنما اختار مواجهتها طبقاً للفتوحات الإسلامية المحددة .

اختار رضي الله عنه عمال الأمصار الإسلامية من فقهاء الصحابة ليكونوا حكاماً مربين ، كما كان يبعث معهم رجالاً متخصصين بالعلم والتربية ، وكانت هذه سياسته الواضحة يعلنها على الملأ في مواسم الحج ، يقول لأهل الأمصار إنّ مهمة أمرائهم الذين بعثهم إليهم هي أن يعلموهم دينهم وسنة نبيهم ، ثم يشهد الله على ذلك . ومما يدل على هذا الأمر ، ما جاء بآخر خطبته على المنبر في المدينة كما رواها ابن سعد وابن الجوزي :

«.... اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم» .

كان المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا فتحوا بلداً سارعوا إلى تخفيف منابع الانحراف والفساد فيه ، ثم أقاموا حواضر إسلامية ، حيث تؤسس المساجد والمدارس لتكون قواعد تربوية عملها تربية الناس على مبادىء الإسلام بالقول والعمل .

وأصبح عمل المربين يسير جنباً إلى جنب مع قواد الفتح العظيم ، لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وأصبح قادة البعوث التربوية من جيل الفاتحين .

ويستهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ ـ ما الدور الذي قامت به التربية الإسلامية في البلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب ؟

٢ ـ هل استفادت التربية الإسلامية من حضارة البلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب ؟

٣ ـ من مشاهير المربين والعلماء في عهده ؟

٤ ـ ما مؤسسات التربية والتعليم التي قامت في عهده ؟

٥ ـ ما الأمصار الإسلامية التي اشتهرت فيها التربية في عهده رضي الله عنه ؟

إذن فالبحث دراسة لدور التربية والتعليم في الفتوحات الإسلامية التي تمت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتهدف إلى إبراز جوانب معينة من تاريخ التربية الإسلامية في عهده رضي الله عنه الذي يعتبر من الفترات المزدهرة في تاريخ التربية الإسلامية ، ثم الإسهام في إبراز مكانة التربية والتعليم ومشاركتهما في بناء الحضارة الإسلامية . كذلك يستهدف الكشف عن دور المربين الذين أسهموا في الفترة التي غطاها هذا البحث ، وقد تضمنت الدراسة الفصول التالية :

- الفصل الأول : يشتمل على خطة الدراسة ومبرراتها .
- الفصل الثاني : يشتمل على السياسة العامة في عهد عمر بن الخطاب ومنزلة التربية في هذه السياسة .
- الفصل الثالث : يتناول موقف المسلمين في عهد عمر بن الخطاب من التراث التربوي في البلاد التي فتحت في عهده .
- الفصل الرابع : يركز على دور العلماء والمربين الذين ساهموا في المجهودات التربوية في الفترة المذكورة .
- الفصل الخامس : يركز على مؤسسات التربية والتعليم في البلاد التي فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- الفصل السادس : الملاحظات والخاتمة .

وقد تناول البحث تفاصيل عديدة تحت الأبواب الرئيسية المشار إليها ، ثم انتهى إلى عدد من الملاحظات التي توصل إليها الباحث ، أهمها :

أن الفتوحات الإسلامية لم تكن عمليات عسكرية تسلحت بالقوة واستهدفت نهب مقدرات الشعوب أو التوسع والكسب المادي ، وإنما كانت رسالة حضارية هدفها نقل الناس إلى حياة أفضل ، وغايتها إصلاح البشر في أخلاقهم وأرواحهم وعقولهم وسعادتهم في دنياهم وأخراهم ، فلا غرابة أن تكون التربية والتعليم على رأس قائمة المسائل والأسلحة التي تسلحت بها هذه الفتوحات ، وجعلوها أداة من أدوات الدعوة الإسلامية وما يتصل بها من علم وتعليم .

ولقد كانت سياسة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده تتمثل في الاتصال بمختلف الوسائل بالقبائل والشعوب المجاورة ودعوتهم إلى الإسلام ، وعندما كان هؤلاء يقبلون الدعوة كان العلماء يتجهون إليهم لتعليمهم أركان الدين الإسلامي الجديد .

وكانت بعثة العلماء والمربين والفقهاء دوماً ملازمة للجيش الإسلامي عندما يذهب للفتح ، وكانت خيمتهم تنصب إلى جانب خيمة الجيش الفاتح لكي يتعلم جند الإسلام من ناحية ولكي يباشروا مهمتهم التعليمية والتربوية والحضارية مع البلدان التي تدخل الإسلام في شرح أهداف الرسالة ، وما تحمله للبشرية من خير وبركة وحرية ومساواة .

وبعد الفتح الإسلامي يتقدم الدعاة والعلماء والمعلمون يشرحون نظم الإسلام ومبادئه ، يحملون معهم الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة ، وكانت دعوتهم تجذب لها الناس ، وبخاصة عندما رأت الشعوب المغلوبة الفرق الكبير الواضح بين حكم قيصر وكسرى وطغيانهما وبين بساطة الإسلام وسماحته ، وبالدعوة دخل الناس أفواجاً في الدين الجديد .

كما نجد في الفتوحات الإسلامية قلة الأعداد التي كانت تفتح البلاد ، إذا ما قيست إلى أعداد أهالي تلك البلاد المفتوحة ، فإن العقل لا يتصور بأن عدداً قليلاً من هؤلاء الناس يثلّ عرش كسرى ويدكّ ملك قيصر ويرث هذه الامبراطوريات الفخمة في هذا العدد القليل من السنين بمجرد القوة والإكراه ، إنما قامت تلك الفتوحات على الإقناع الذي كان يقوم به الدعاة المتفوقون ، وما وجده سكان تلك البلاد في الإسلام منتعشاً وسماحة أنقذتهم من الطغيان والإكراه والاستغلال الذي عاشوا تحت ضغطه مدة طويلة .

كما حرص المسلمون منذ وصولهم إلى البلاد المفتوحة على الاستفادة من خبرات أبناء البلاد ومنجزات الحضارات التي سبقتهم ، فاستعانوا بأهل تلك البلاد لتعليم أبنائهم والقيام بأعمال الدواوين ، وتزويدهم بالكتب القيمة الموجودة لديهم ، وبعلوم الحياة وفنونها وما يهتدي إليه بعقولهم وتجاربهم ، فطوروا بعض الأساليب والمفاهيم التربوية التي ساعدت على نشر مبادىء الدين الجديد ، كما بلوروا كثيراً من القواعد التي تيسر عملية التفاعل والانفتاح على الثقافات الموجودة في تلك البلاد .

ولقد اهتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتربية والتعليم وتعليم المهارات الأساسية التي لا غنى عنها للفرد ، فكان يبعث المربين والعلماء ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويرفعوا ما أشكل عليهم من أمرهم . وكان يطلب من الآباء أن يعتنوا بأجساد أبنائهم وأن يحثوهم على تعلم الفروسية والرماية والسباحة ليبعدوهم عن الخمول والكسل ، متبعاً في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان الفاروق يتشدد في تعليم هذه الأمور خوفاً من أن يتعود الأبناء نعومة العيش ، فيفقدوا مزاياهم الحربية ، كما كان يطلب منهم العناية بحفظ القرآن الكريم كتاب الله الذي ختم به الكتب السماوية . وكان يمنح الجوائز لحفظة القرآن الكريم تشجيعاً لهم على حفظهم كتاب الله . كما كان يطلب منهم العناية باللغة العربية خوفاً من اللحن وخشية أن تفسد لغتهم المحلية في البلاد التي يسكنونها .

وكان يحث الأولاد على إظهار ما عندهم وتعويدهم الشجاعة الأدبية ليتعودوا حرية التفكير والكلام ، ولا يحجزهم حاجز عن إبداء آرائهم ، وكان أجمل شيء عندهم أن يرى الأب ابنه يتقدم بكلام جميل أو فكر صائب أو جواب لا يتهيأ لغيره .

وخلال هذه الجهود التربوية الإسلامية كان المسجد من أبرز المؤسسات التعليمية ، فلم يكن التعليم فيه مقصوراً على تعلم العلوم الدينية ، كالقرآن الكريم وتفسيره ، وشرح معانيه ، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوي الشرعية ، بل شمل فروعاً كثيرة من مختلف العلوم كعلم التاريخ وأخبار الأمم السابقة وعلم الأنساب والفرائض والشعر .. وأصبح المسجد جامعة شعبية تلقى فيه الدروس والمواعظ للرجال والنساء على السواء يأخذ كل قدر إمكانياته الذهنية واستعداداته الفكرية ، ولكل منهما الحق في السعي إلى المسجد ، فهو منتدى إسلامي كبير تلتقي فيه الأمة على محبة بيضاء لا تعرف الحقد ولا الكراهية ، وهو البيت الذي يضم القلوب المؤمنة الصافية يجمعها على الحب والتعاون والتضامن والوحدة من أجل إعلاء كلمة الله ونشر مبادىء الدين الإسلامي . وكان المسجد مركزاً دينياً وسياسياً وقضائياً واجتماعياً بكل ما في هذه الوظائف من معان قديمة وحديثة على السواء . يتعلم فيه العالم ، ويربى فيه النشء ، ويتزوج فيه الأيم ، ويتخرج منه العلماء مصابيح الهداية ، وتعقد فيه ألوية الجيش ، وترسل إلى المعارك والفتوحات ، كما تقام فيه مجالس الشورى — برلمانات هذه الأمة — لتحل المعضلات الاجتماعية والسياسية والحربية .

وكانت الدراسة في هذه المرحلة تركز على القرآن الكريم والعلوم المتعلقة به باعتباره مصدر العقيدة الجديدة التي يراد نشرها وإشاعتها في البلاد المفتوحة .

وقد اشتهر خلال ذلك عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين عملوا في التعليم وكانوا عماد الحركة التعليمية ، وحينما وجدوا وجد التعليم وانتشر العلم ، وكانوا أحراراً يدرسون دون منح خاصة تفرض لهم، إنما يبتغون وجه الله عز وجل طلباً للثواب ، وكان كل من يأنس في نفسه القدرة على تثقيف غيره يجلس في المسجد مختاراً ومن ذات نفسه ، يأتيه الراغبون في العلم ويلتفون حوله ويأخذون من علمه وثقافته ثم يذيعونه بين الناس ، فشع نور الإسلام وعلومه بين الأمصار الإسلامية .

وقد تميز التعليم باستقلال المعلم وقيمته في التعليم ، وشهرته التي كانت تفوق شهرة المكان الذي يدرس فيه ، وكان عماد الحركة التعليمية قائماً على حريته في تدريس ما يراه مناسباً وصالحاً للطلاب ، فلا تفرض عليه المناهج .

وانطلاقاً من الملاحظات التي مرت عن دور التربية والتعليم في البلاد التي تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يخلص البحث إلى بعض المقترحات والتوصيات التالية :

١ ــ العناية التامة بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وفهماً ، وكذلك علوم القرآن باعتبار ذلك اللبنة الأولى لتكوين عقيدة المسلم وأخلاقه وأفكاره وتصوراته ، فهو أساس الدين الإسلامي ، وعماد اللغة العربية القوي ، تدين له هذه اللغة في بقائها ، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها .. والاهتمام بمدارس تحفيظ القرآن الكريم ، والعمل على نشرها لتخريج شباب مسلم حافظ لكتاب الله دستور هذه الأمة .

٢ ــ النظرفي تراثنا التربوي من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وأخبار الصحابة والاستفادة منها في العملية التربوية ومؤسساتها .

٣ ــ إعادة النظر في نظام الكتاتيب وتحسين أوضاعها في القرى والبوادي وتطويره بمنهج تربوي للاستفادة منه في تعليم القرآن ومحو الأمية في البلاد التي لم تصل إليها المدارس ، وتهيئة الوسائل اللازمة للقيام بمهمتها .

٤ ــ إحياء رسالة المسجد ، فمنه صلاحنا وعزنا ونصرنا ، وإن منبر المسجد خير وسيلة لتعبئة قوة الأمة الإسلامية ضد أي عدوان ، وتهيئة المسجد والجو المناسب له ، وذلك بأن يكون معه عدة أجنحة ومرافق عامة كالمكتبة فإنها شيء ضروري للمسجد ، فهو مدرسة للمسلم ولا يتوفر لدى أكثر المصلين المصادر والكتب ، لذلك من الضروري أن يكون بجانب المسجد مكتبة عامة مزودة بالمراجع والكتب الإسلامية والثقافية والعلمية ، لتوسيع آفاق المصلين . وتكون كتبها لمختلف الثقافات والأعمار والطبائع ، فلابد من قصص الأطفال وكتب لأصحاب الثقافات العالية والمتوسطة ، ليستفيدوا منها في فهم مبادىء دينهم وأصول عقائدهم وتشريعاتهم وما يفيدهم في الدنيا والآخرة ، والتزود من المعرفة الدينية والعلمية ، وشغلاً لهم عن الحديث اللاغي ، ويمكن أن تلحق بالمسجد روضة أطفال قرآنية وظيفتها تلقي الأطفال منذ الرابعة من العمر وتدريسهم مبادىء القراءة والكتابة عن طريق تلقين قصار السور مع التدرج بهم في مبادىء القراءة والكتابة ، كما تقوم في المسجد حلقات دروس ذات علاقة قوية بما يتعلق بمشكلات الناس المعاصرة و تربية النشء وتوجيههم الوجهة الإسلامية الصحيحة .

٥ ــ العناية بإعداد واختيار المشرفين والمسئولين عن المساجد من الأئمة والدعاة والموجهين والمرشدين الدينيين والاهتمام بالبرامج التي تزيد من معرفتهم بأمور الدين وطرق الدعوة للإسلام وتحبيب الناس وترغيبهم في التمسك بتعاليم الإسلام والالتزام بأوامره ونواهيه .

٦ ــ الاستفادة من العلماء المعروفين بالعلم والصلاح والاستقامة الذين يحالون إلى المعاش في وظائف الإمامة بالمساجد، وبذلك نضمن كفايات علمية تكاد تكون مفقودة اليوم بين الأئمة والخطباء . ويكون دورهم تثقيف أهل الحي وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة بعقد الندوات والمحاضرات وإقامة الحلقات الدراسية .

٧ ــ الاهتمام باختيار رجال التربية والتعليم ، بحيث يكونون من ذوي الكفاءة العلمية والتربوية والخلق الإسلامي النبيل ، فالعلم وحده لا يصنع مربياً ، إذ لا يكفي أن يكون المربي متمكناً من مادته ، ملماً بأحدث النظريات التربوية ، بل يجب أن يكون قبل ذلك مربياً مسلماً مؤمناً ورعاً صالحاً مدركاً لجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه ، عارفاً أن الله سوف يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة في تعليم أبناء الإسلام .

٨ ــ تهيئة الجو المناسب الشرعي لمشاركة النساء في المساجد ، وذلك بإعداد مكان خاص في المسجد ، فما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنع النساء من المساجد لأنهن شقائق الرجال ، وخصص لهن دروساً خاصة ، أما منعهن من المساجد والدروس فإن ذلك يؤدي إلى جهالة بالدين ، فالواجب علينا تهيئة كل الشروط الشرعية لحضورهن إلى المساجد ، وما أحوج النساء اليوم إلى الوعظ لا سيما وقد انتشرت فيهن البدع والمنكرات واعتقاد الخرافات ومخالفة الأزواج وما لا يحصى من المحظورات . وكذلك تشجيع الأطفال للحضور للمساجد للاستفادة منها .

إشارات سريعة عن الرسائل الجديدة

أولاً : الماجستير

ــ **ابن عقيل في كتابه المساعد : دراسة نحوية** . إبراهيم بن صالح الحندود ؛ إشراف عبد الله بن سالم الدوسري .ــ القصيم : فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم العربية والاجتماعية ، ١٤١٠ هـ .

ــ **أبو القاسم الزجاجي وأثره في الدراسات النحوية** . خديجة بنت عبد العزيز الصيدلاني ؛ إشراف وهبة متولي سالمة .ــ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٤٠٢ ، ٣١ ورقة .

ــ **الاحتجاج بالقراءة الشاذة وأثرها في اختلاف الفقهاء** . إعداد محمد مشهوري محمد نعيم ؛ إشراف محمد إبراهيم محمد الحفناوي .ــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، فرع الفقه والأصول ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٣٥ ورقة .

ــ **أسباب اختلاف الفقهاء عند ابن رشد من خلال كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد : قسم العبادات** . عمر بن صالح بن عمر ؛ إشراف فهد بن محمد

السدحان .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **اضمحلال القوى العسكرية وأثرها على انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس** . مناع أحمد مناع .ـــ ؟ : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٨٩ م ، ١٤١٠ هـ .

ـ **التأثيرات السامة للمادة اللبنية في نبات العشر على الجرذان البيضاء** . إلهام يوسف دانش ؛ إشراف أحمد نبيل أبو خطوة ، علي بن أحمد الرفاعي .ـــ جدة : جامعة الملك عبد العزيز ، كلية العلوم ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **التبادل التجاري بين الدول الإسلامية : دراسة تطبيقية عن الفترة ١٣٩٥ ـ ١٤٠٥ هـ ووسائل تنميته** . عمر فيحان المرزوقي : المشرف الاقتصادي محمد أمين اللبابيدي ؛ المشرف الفقهي عبد الرحمن محمد عبد القادر .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، شعبة الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٤١٠ ورقة .

ـ **تحوّل المصرف الربوي إلى مصرف إسلامي ومقتضياته** . سعود محمد عبد الله الربيعة ؛ المشرف الفقهي عثمان المرشد ؛ المشرف الاقتصادي محمد اللبابيدي .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٥٩٥ ورقة .

ـ **التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٤-١٣٥١ هـ** . لطيفة عبد العزيز السلوم ؛ إشراف عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ ، ٥٣٨ ورقة .

ـ **تعين ثوابت التفكك لمشتقات الأنيلين والفينولات في مخاليط الماء المذيب العضوي عند ٢٥° م** . مشعل عبد العزيز عقل الخالدي ؛ إشراف آسيا عبد السميع طه .ـــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية العلوم للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٠٨ ، ٩ ورقات .

ـ **تقديم النادر على الغالب وإلغاؤهما معاً في الفقه الإسلامي** . صالح بن أحمد الوشيل ، إشراف عبد الله بن عبد الواحد الخميس .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ .

ـ **التيسير في علم التفسير : من أول سورة الواقعة إلى آخر سورة المرسلات** . نجم الدين عمر بن محمد النسفي ؛ تحقيق ودراسة أسماء محمد ياسين ؛ إشراف أحمد فؤاد المشتولي .ـــ مكة المكرمة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٧٥ ، ٤٩٥ ورقة .

ـ **ثبوت الأهلّة في الشريعة الإسلامية** . نهاد صالح طوسون ؛ إشراف أحمد عبد الرزاق الكبيسي .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه والأصول ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٤٣ ورقة .

ـ **الثقافة الإسلامية في مواجهة تحديات الثقافة الغربية الحديثة في تونس في عهد الاستعمار الفرنسي** . محمد بن يحيى يحياوي ؛ إشراف عمر عودة الخطيب .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **جهود المحدثين في الإعجاز البلاغي** . أحمد غريب .ـــ جامعة سوهاج ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .

ـ **الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وسياسته الداخلية والخارجية ١٣٦-١٥٨ هـ** . موضي عبد الرحمن الرميح ؛ إشراف أحمد عبد الكريم سليمان .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية الآداب للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٣١٢ ورقة .

ـ **الدخيل في تفسير أبي السعود ، المسمى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** . بدرية بنت صالح بن غصون ؛ إشراف جلال الدين محمد عبد الباقي .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية، ١٤٠٩ هـ ، ٢٦٩ ورقة .

ـ **دراسات عن السمية الوراثية في نبات الفول لإثنين من مبيدات الفطريات المستخدمة في المملكة** . خديجة حسين العمودي ؛ إشراف سعاد أبو بكر شاهين .ـــ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٢٤ ص .

ـ **دراسة القسم الثالث من مسند الإمام أحمد بن حنبل (؟)** . محمود محمد خليفة .ـــ القاهرة : جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **دراسة نظرية على الموجات الصدمية لغاز مغبر لبيان تأثير معامل التوصيل الحراري على مقدمة الصدمة** . فايزة محمد ناصر الفايز ؛ إشرف هناء حمد أحمد .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية ، ١٤٠٩ هـ ، متعدد الترقيم .

ـ **دراسة نظرية على الموجات الصدمية لغاز مغبر لبيان تأثير معامل اللزوجة على مقدمة الصدمة** . هدى تركي العطيشان ؛ إشراف هناء حمد أحمد .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، متعدد الترقيم .

ـ **دراسة النمط الاستهلاكي الغذائي لبعض الأسر السعودية بالرياض** . هند بنت عبد العزيز آل الشيخ ؛ إشراف قوت القلوب عبد الحميد محمد .ـــ [الرياض] : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية ، ١٤٠٩ هـ ، ١٢٤ ورقة .

ـ **دراسة هستولوجية وهستوكيميائية على جهاز الدوران في الدجاج بعد تغذيتها بنسبة عالية من الدهون** . نادية يوسف الدليجان ؛ إشراف سهير محمود سكر .ـــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية العلوم للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٢٨٧ ورقة .

ـ **دور العلاقات العامة في المصارف الإسلامية** . رزق سعد عبد المعطي .ـــ [القاهرة : جامعة الأزهر ، قسم الصحافة والإعلام] ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـ **الرسالة في أصول الفقه واللغة** . أبو حامد محمد بن إبراهيم الجاجرجي ؛ تحقيق ودراسة محمد جلال كل مرجان الأفغاني ؛ إشراف يونس السنهوري .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه وأصوله ، ١٤٠٩ هـ ، ٤٥٢ ورقة .

ـ **سورة المجادلة : دراسة موضوعية تحليلية** . فلوة بنت ناصر الراشد ؛ إشراف محمد علي حجازي .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٤٥٥ ورقة .

ـــ **الشروط في النكاح** . إبراهيم بن عبد الله العجلان .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **الصحيفة كوثيقة تاريخية** . دراسة تطبيقية على حادثي الكفاح المسلح في قناة السويس في عام ١٩٥١ وحريق القاهرة في ١٩٥٢ . حسني محمد نصر .ـــ القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الإعلام ، ١٩٨٩ .

ـــ **العدالة في الولايات الشرعية** . خالد محمد الرشود ؛ إشراف عبد العزيز بن محمد الداود .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **العزل الأوّلي ودراسة خصائص وتصنيف ميكوبلازما دجاج بعض مزارع الدواجن في المنطقة الشرقية** ... هدى عبد الرحمن حمد السعدي ؛ إشراف هدى مصطفى علام .ـــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية العلوم للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٤٢ ورقة .

ـــ **العلاقة بين التحصيل الدراسي وبعض سمات الشخصية لدى طالبات الصف الثاني الثانوي في مدينة الرياض** . سامية محمد عوض بن لادن ؛ إشراف سعيدة محمد أبو سوسو .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م ، متعدد الترقيم .

ـــ **علاقة سلطنة نجد وملحقاتها ببريطانيا ١٣٣٤–١٣٤٥ هـ** . دلال مخلد الحربي ؛ إشراف محمد نصر الدين مهنا .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية ، ٤٣٩ ورقة .

ـــ **الفسخ في العقود المالية** . إبراهيم شامي مطاعن شبية ؛ إشراف حمزة حسين الفعر .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه ، ١٤٠٩ هـ ، ٥٢٨ ورقة .

ـــ **قضاء الأدب في أسئلة حلب** . تقي الدين السبكي الكبير ؛ دراسة وتحقيق عبد المجيد الأفغاني ؛ إشراف حسن أحمد مرعي .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الشرعية ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ٨٧ ، ٥٨٢ ورقة .

ـــ **القيمة الفعلية لمياه الأمطار في غرب المملكة العربية السعودية : دراسة في المناخ التطبيقي** . بدرية محمد عمر حبيب ؛ إشراف عبد القادر عبد العزيز علي .ـــ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٦٨ ورقة .

ـــ **كتابة الشخصيات ليثوفر استوس .. دراسة تحليلية مع البحث في مصادرها وتأثيراتها** . عادل النحاس .ـــ جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .

ـــ **المباني المدرسية للتربية للمرحلة الابتدائية للبنات بمدينة الرياض ومدى مراعاتها لتعاليم الإسلام والاتجاهات التربوية الحديثة** . موضي محمد العذل .ـــ الرياض : جامعة الملك سعود ، كلية التربية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **المصادر المكتوبة للبخاري في صحيحه «كتاب الوضوء»** . محمد عبد الله أبو بكر جمعان ؛ إشراف عمر حسن فلاتة .ـــ المدينة المنورة : جامعة الملك عبد العزيز ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ ، ٢٩، ٤٢٤ ورقة .

ـــ **المفاهيم الكيميائية اللازمة لطلبة المعاهد الصحية الثانوية بالمملكة العربية السعودية على ضوء متطلبات مهنة التمريض** . هناء عبد الملك ؛ إشراف صالح محمد السيف .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **منهج الاقتصاد الإسلامي في مجال القيمة والثمن** . محمود سيد مصطفى .ـــ القاهرة : جامعة الأزهر ، كلية التجارة ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **الموقف الاجتماعي في روايات رشيد بو جدرة** . نادية باقة .ـــ جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م .

ـــ **موقف الأمراء الأمويين من ثورة بني حفصون في الأندلس ٢٦٧–٣١٦ هـ** . منيرة عبد الرحمن الرميح ؛ إشراف أحمد عبد الكريم سليمان .ـــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية الآداب للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ١٨٠ ورقة .

ـــ **نبوءات الرسول ﷺ** . ولي الله عبد الرحمن الندوي .ـــ القاهرة : جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م ، ٤٠٠ ورقة .

ثانيًا : الدكتوراه

ـــ **الاتجاه البدوي في الشعر العباسي** . جمال محمود عيسى .ـــ طنطا : كلية الآداب ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **أثر الشرط في الفقه الإسلامي : دراسة مقارنة** . زهرة بنت أحمد الألمعي ؛ إشراف محمد بن أحمد الصالح .ـــ الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، متعدد الترقيم .

ـــ **اقتصاديات الحرب في الإسلام** . غازي بن سالم الحربي ؛ المشرف الاقتصادي علي حافظ منصور ؛ المشرف الفقهي نزيه كمال حماد .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٦٥ ورقة .

ـــ **الالتزام الديني في الإسلام وعلاقته بقلق الموت** . طريفة بنت سعود الشويعر ؛ إشراف سامية الأنصاري .ـــ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، متعدد الترقيم .

ـــ **تحضير وتفاعلات بعض مشتقات البيريدان التي لها نشاط بيولوجي** . الجازي إبراهيم العفالق ؛ إشراف فائزة محمد محمود .ـــ الدمام : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية العلوم ، ١٤٠٩ هـ ، ١٧١ ورقة .

ـــ **«كتاب» الحاوي** : من أوله وحتى نهاية غسل الجمعة والعيدين. علي بن محمد الماوردي ؛ إعداد وتحقيق راوية بنت أحمد بن عبد الكريم الظهار ؛ إشراف حسن أحمد مرعي .ـــ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، فرع الفقه والأصول ، ١٤٠٩ هـ ، ٤ ع .

ـــ **الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)** . محمد الخلف .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

ـــ **دراسة عن المضادات الحيوية في بعض نباتات المملكة العربية السعودية «المنطقة الغربية»** . أحلام أحمد العوضي ، إشراف زينات كامل محمد .ـــ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، ١٤٠٩ هـ ، ٢٠٢ ورقة .

ـ **سوق الأوراق المالية وآثارها الإنمائية** . أحمد محيي الدين حسن ؛ المشرف الفقهي محمد محمد عبد الحي ؛ المشرف الاقتصادي علي حافظ منصور .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، شعبة الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٦٢٩ ورقة .

ـ **القيمة التشكيلية للكتابات المصرية القديمة وإمكانية الاستفادة منها في تصميم أقمشة المعلقات المطبوعة** . سهير عثمان .ـ جامعة حلوان ، كلية الفنون التطبيقية ، ١٩٨٩ م .

ـ **معايير وضمانات الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي** . نصر الدين فضل المولى سليمان ؛ إشراف فقهي عبد المجيد محمود ؛ إشراف اقتصادي محمد عبد المنعم عفر .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، شعبة الاقتصاد الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ ، ٥٧٧ ورقة .

ـ **النجاسات وأثرها في العبادات** . سامية محمود حنبظاظة ؛ إشراف رمضان عبد الودود عبد التواب .ـ جدة : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ١٤٠٩ هـ ، ٣٤٤ ورقة .

ـ **النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية** . عبد الله السماعي .ـ القاهرة : جامعة الأزهر ، ١٩٨٩ م .

ـ **الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز** . موضي بنت منصور آل سعود ؛ إشراف محمد عبد اللطيف البحراوي .ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، الدراسات العليا التاريخية ، ١٤٠٨ هـ ، ٤٦٨ ورقة .

عناوين الأندية الأدبية بالسعودية

١ ـ النادي الأدبي بالرياض
صندوق بريد ٨٥٣١
الرياض ١١٤٩٢
هاتف : ٤٧٦١٤٠٦ ـ ٤٧٦٢٠٨١

٢ ـ نادي مكة الثقافي الأدبي
صندوق بريد ٦٥٨٦
هاتف ٥٥٨٥٥٨٩ ـ ٥٥٨٠٩٦٦
فاكس ٥٥٨٠٨٣٨

٣ ـ نادي القصيم الأدبي ـ بريدة
صندوق بريد ٨٧٢
هاتف ٣٢٣٨٥٥٧ ـ ٣٢٣٠٤٢٨

٤ ـ نادي أبها الأدبي
صندوق بريد ٤٧٨
هاتف ٢٤٤٢١٠ ـ ٢٢٤٧٦٤١

٥ ـ نادي الطائف الأدبي
ص.ب ١٢٠٢
هاتف ٧٣٢٣٧٧٦ ـ ٧٣٣٥٩١٦

٦ ـ النادي الأدبي بجيزان
صندوق بريد ١٦٠
هاتف ٣٢٢١١٠٥

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة

يحيى فرغلي

كارم السيد غنيم
كلية العلوم - جامعة الأزهر

فرغل ، يحيى هاشم/الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة .ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ٢٣٠ ص .

يحتوي الكتاب على مقدمة وثمانية فصول ، أكبرها حجماً هو الثاني ، وأقلّها السابع ، وبقية الفصول متقاربة الأحجام ، واختتم بخلاصة مقتضبة جداً . وفي نهاية الكتاب نجد فهارس ، فهرس لأهم الشخصيات العلمية ، وفهرس لأهم المراجع والمصادر ، ثم فهرس للموضوعات . أما أهم الشخصيات العلمية التي ترجم لها المؤلف فهي تسعة عشر شخصية بارزة في مجالات العلوم المختلفة ، منها أربعة عشر من العلماء المتخصصين في الفيزياء ، واثنان في الكيمياء ، وواحد في علم الحيوان ، وواحد في الرياضيات ، وواحد في الفلسفة . وأما المراجع فأهمها عند المؤلف ثمانية وخمسون ، إلّا أنّه قد رجع إلى مراجع أشار إليها في حواشي الصفحات المتابعة ، وبلغت ستة وعشرين مرجعاً ، فتصبح جملة المؤلفات والكتب والدوريات التي رجع إليها مائة وأربعة عشر مرجعاً .

وتبرز أهمية هذا الكتاب من أهمية موضوعه ، فهو يردُّ بالحجة والبرهان على ادّعاء الفكر الإلحادي المعاصر في أنّ قوانين العلم التجريبي تُغْني عن الإيمان بوجود الله ، وقد اتخذ المؤلف خطة قائمة على علم الكلام القديم الذي كانت تحتوي مقدماته على تفهّم لمسائل العلم الطبيعي السائدة آنذاك ، فأكسب التحليل أصالة وقوة في مواجهة تيار الإلحاد المعاصر ، وترشد المؤمن إلى التديّن الصحيح .

يوضّح المؤلف في مقدمة الكتاب أن الإلحاد المعاصر يقوم على أساس وينبني على قواعد لخَّصها أوجست كونت في قوله : (إن الاعتقاد في ذوات عاقلة أو إرادات عليا ، لم يكن إلّا تصوراً نُخْفِي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية .. أما الآن فكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقلون بأن كل الحوادث العالمية والظواهر الطبيعية لابدّ لها من أن تعود إلى سبب طبيعي ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعي .. فلم يبق فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يدفعنا إلى الإيمان به) . كما أكد المؤلف على أن المذاهب والفلسفات المعاصرة وإنْ تعددت أسماؤها فهي كلها «مادية» ، وأنها تنبني على هذا المبنى الذي لخصه أوجست كونت ، ولعل جون سومرفيل يبيِّن هذا في قوله : (إنّ مجرد تسمية إحدى الفلسفات لنفسها «بالمادية» يعتبر عادة في نطاق حدودنا الثقافية أمراً يدعونا إلى النفور منها ، وقفل الأبواب دونها ، وأن كلمة «مادية» تستخدم في العادة في سياق الاتهام لا من أجل التصنيف فقط) ، ثم يقول : (لهذا فهم يميلون إلى إطلاق اسم «التجريبية» و «الطبيعية» و «الإنسانية» و «الواقعية» ، وما شابه ذلك على فلسفات كان من الأدق أن تُسَمَّى «مادية») ، والماركسية لم تختص باسم «الفلسفة المادية المعاصرة» إلّا لأن المفكرين السوفييت يحذون حذو ماركس وإنجلز في مقت أي تحايل لتفادي استخدام كلمة «مادية» ، فأطلقوها في جرأة ودون قناع .

أما قواعد الإلحاد العلمي المعاصر فهي ثلاث : **الأولى** : الزعم بأن «قوانين الطبيعة» من ناحية و «التطور» من ناحية أخرى يمكن الغنية بهما عن افتراض «وجود الله» وعلمه وإرادته . **الثانية** : إنكار كل الغيبيات التي لا يمكن إخضاعها للتجربة . **الثالثة** : ادّعاء كفاية

المنهج العلمي التجريبي والغنية به عن المناهج الأخرى ، تلك التي تستخدمها الفلسفة الميتافيزيقية ، أو الدِّين .

والمؤلف يستهدف بهذا الكتاب دحض أو إسقاط القاعدة الأولى فقط ، أما القاعدتان الثانية والثالثة فإنه يَعِدُ بإسقاطهما في كتب أخرى قادمة إن شاء الله . وأما برنامج الكتاب أو محتواه فهو ثمانية فصول ــ كما سبق أن قلناه ــ مرتبة على النحو التالي :

مذهب التطور العقلي ــ مذهب التطور الحيوي ــ مذهب التطور الاجتماعي ــ حتمية القوانين الطبيعية ــ الحتمية لا تلغي الإرادة الإلهية ــ الاستدلال على وجود الله طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ــ إيمان بعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين ــ المنهج البنائي للدين : الضرورة العملية ، حيث بيَّن المؤلف أن الإنسان مُلْجَأٌ إلى الإيمان بالله بحكم الضرورة العملية ، وبيَّن أيضاً أن هذه الضرورة العملية هي المدخل الحقيقي إلى الإيمان بالله ، وهي المدخل الحقيقي إلى العلم ، وهي الأساس الذي تلتقي عنده الاتجاهات الفكرية البشرية كلها ، وفي النهاية بيَّن أن هذا الأساس يُلْجِىء الإنسان إلى موقف التسليم لله .

الفصل الأول كان في (**مذهب التطور العقلي أو الفكري**) وكان جلّ مادته مناقشة لـ (قانون الأحوال الثلاث) . يقول المؤلف : يقدِّم الإلحاد المعاصر المنهجَ التجريبي على أنه المنهج الوحيد الصالح للفكر البشري المعاصر ، ويحاول أن يُلْبِسَهُ ثوباً من الفضائل العلمية والعقلية ، مدَّعياً أنه ــ أي هذا المنهج ــ منبعها الأصيل . وترجع جذور هذه الادعاءات ــ في الغالب ــ إلى الفلسفة الوضعية عند أوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٧٥ م) . يرى أوجست كونت أن الاضطراب العقلي الذي تعانيه الإنسانية مرجعه إلى أن الناس يعتملون على ثلاث فلسفات متعارضة هي : الفلسفة اللاهوتية ، والفلسفة الميتافيزيقية ، والفلسفة العلمية أو الوضعية ، وأنه قديماً سيطرت الفلسفة اللاهوتية بمضمونها الأسطوري الخرافي ، ثم أفسحت مجالاً للفلسفة الميتافيزيقية ــ وهي وثيقة الصلة بالخرافة ــ في حين أن الفلسفة الوضعية لم تتخذ طريقها إلى العقول إلّا بعد تقدُّم العلوم الطبيعية المادية ابتداء من القرن السابع عشر ، ومع ذلك فإن هذه الفلسفة الأخيرة لم تستطع القضاء نهائياً على الرواسب اللاهوتية والميتافيزيقية مما أدى إلى ظاهرة الفوضى العقلية ، وما يترتب عليه من صراع وأخطاء أخلاقية واجتماعية . ويعتقد أوجست كونت أن النصر سيكون في آخر الأمر حليف التفكير الوضعي . عَرَضَ المؤلف لمعنى الفلسفة الوضعية عند كونت ، ثم اعتقاده في أنه منشىء علم الاجتماع ، وذلك بتقديم أو الكشف عن قانون الأحوال الثلاث . أما صيغة هذا القانون فهي : (بناء على طبيعة العقل الإنساني لابد لكل فرع من فروع معلوماتنا من المرور في تطويره بثلاث حالات نظرية متتابعة : الحالة اللاهوتية أو الخرافية ، والحالة الميتافيزيقية أو المجردة ، وأخيراً الحالة العلمية أو الوضعية) . ويرى أوجست كونت أنه متى ثبت هذا القانون فإن علم الطبيعة الاجتماعية لا يظل مجرد فكرة فلسفية ، بل يصبح علماً وضعياً . وقبل أن يفنّد المؤلف تهافت هذا القانون ، أشار إلى أن فلاسفة وعلماء قبل كونت توقعوا هذا القانون ومنهم تيرجو ، كوندرسيه ، بيردان . بل حدوث صيغته منذ القرن الثامن عشر ، ومع هذا ينسبه كونت إلى نفسه .

وتأتي أهمية التصدي لهذا القانون من استعمال كونت له كمفتاح يفضُّ به مغاليق الإنسانية ممهِّداً بذلك كخطوة أولى لابد منها لاستنباط مبادئه الأخلاقية ولمباشرة تنظيماته الاجتماعية ، ولقد اعتبره كونت أساساً لعلم الاجتماع ، وفي نقد المؤلف له استشهد بآراء علماء وناقش آراء آخرين منهم عباس العقاد ، كلوتيلد دي فو ، محمد عبد الله دراز ، هيزنبرج .

وامتداداً لتفنيد المؤلف ونقده لهذا القانون ، ينبري لدحض «ادّعاء حداثة المنهج العلمي التجريبي» وهو الطور الثالث أو الحالة الثالثة في قانون الأحوال الثلاث ، ويقوم بتوجيه سؤال مهم يجيب عليه بالنَّفي بعد أن جال وصال مع علماء وفلاسفة ، ذلكم السؤال هو : هل من الصحيح أن التفكير العلمي طَوْرٌ مُحْدَثٌ من أطوار التفكير البشري بدأت بشائره في عصر النهضة الأوروبية أو بعده بقليل ، كما تدَّعى الفلسفة الوضعية ؟ لا ، بل يكاد يجمع كل من هربرت سبنسر ، هاكسلي ، بيكون ، جيمس كونانت ، على عمومية المنهج التجريبي وأنه ليس خاصاً بطور معين من أطوار النضج العقلي ، بل يقررون أن التفكير التجريبي يبدأ مع الطفل الوليد والرجل البدائي . ويعرض المؤلف للسَّقَطات التي وقع فيها إسماعيل مظهر في هذه المسألة وما جرى بينه وبين أمين الخولي ومصطفى الشهابي والعقاد ودراز . ثم يخلص إلى ما خلص إليه قبله دراز إذ يقول : «الواقع أن الحالات الثلاث التي يصورها كونت ، لا تمثل أدواراً تاريخية متعاقبة ، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة في كل الشعوب ، وليس كلها دائماً على درجة واحدة من الازدهار أو الخمول في شعب ما ، ولكنها تتقلب بها الأقدار بين بؤس ونعمى ونحوس وسعود ، بل نقول إن هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة في نفس كل فرد ، وأنّ لها وظائف يكمل بعضها بعضاً في إقامة الحياة الإنسانية على وجهها ، ولكلٍّ واحدة منها مجال يوائمها» .

(**مذهب التطور الحيوي**) كان موضوع الفصل الثاني في هذا الكتاب بدأه صاحبه بإعطاء القارىء لمحة عن الجذور القديمة لهذا المذهب ، حيث يقول : توجد البدايات الأولى لفكرة التطور الحيوي في كتابات بعض الفلاسفة الإغريق خصوصاً أرسطو

(٣٨٤-٣١٢ ق . م) الذي اعتقد أن الكائنات الحية قد ارتقت من أنواع بسيطة إلى أنواع معقدة يُعْتَبَرُ الإنسان ذروتها . ولكن هذه الفكرة لم يكن لها حظ الشيوع لاختلافها مع فكرة الخلق الخاص التي جاءت بها الأديان . ويذهب بعض الباحثين إلى أن بعض مفكري الإسلام قالوا بتطور الأنواع قبل داروين بقرون ، من هؤلاء الإمام (الحسن البصري) فيما رواه عنه الرازي في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر ..**﴾ وابن مسكويه ، وإخوان الصفا ، والبلخي ، وابن خلدون فيما جاء عنه في مقدمته «اتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان .. صاحب الروية والفكر ، ترتفع إليه من عالم القدرة .. وكان ذلك أول أفق من الإنسان» . وفي القرن الثامن عشر بَعَثَ الفكر الأوروبي الأفكار اليونانية القديمة القائلة بأن الأجناس الحية الحاضرة هي ثمرة عملية طويلة من النمو ، في ذلك الوقت كانت النظرة المقبولة هي نظرة العالم السويدي «لينيوس» القائل : «إننا نقرّ بوجود أنواع بعدد الأزواج التي خرجت من يَدَيْ الخالق ، وأن الأنواع بقيت ثابتة منذ خلقها الذي جاء وصفه في سفر التكوين ، والتغير الوحيد الذي وقع هو زيادة أعدادها لا تغيّر أصنافها» ، وأنه ليس هنالك من جنس جديد .. تلك نظرية لاءمت العالم النيوتوني كل الملاءمة ، لكن هذه النظرية كانت تتعرض لهجمات من جهات عديدة ، فالعلماء الطبيعيون كبوفون وإيرازموس ودازموس وداروين — جد شارلز داروين — وجوفروا سانت هيلير ، خصم كوفييه ، أحد الآخذين بموقف لينيوس ، والشعراء الرومانطيكيون والفلاسفة ، أمثال غوته وأوكن وشيلينغ ، حاولوا جميعاً أن يصوغوا فكرة التطور بأشكال مختلفة ، وكان أكبرهم لامارك صديق بوفون .

بعد أن عرض المؤلف لبعض آراء بوفون (١٧٠٧ — ١٧٧٨ م) وما له وما عليه في هذه المسألة وتقديم سؤال بوفون نفسه الذي تركه دون جواب شاف له وهو : ما هي الطبيعة ؟ انتقل إلى عرض (نظرية التطور) عند لامارك — ذلك العالم الفرنسي في علم النبات وعلم الحيوان(١٧٧٤ — ١٨٢٩ م) — وقد استكمل وضع نظريته في التطور في كتابه «فلسفة علم الحيوان» عام ١٨٠٩ م . أما نظرية لامارك في التطور فتتلخص في أن البيئة تؤثر في شكل الحيوانات وتركيب أعضائها ، وأن الاستعمال المتكرر أو المستمر لأي عضو يزيد في حجمه ، في حين يؤدي عدم الاستعمال إلى ضعفه وصغر حجمه حتى يختفي ، وأن الصفات المكتسبة التي تتكون على هذا النحو تنتقل إلى الأجيال بالتوارث ، وأن هذه الصفات تتكاثر بمرور الزمن ، إلى أن تحدث نوعاً جديداً من الحيوانات ، وقد قام المؤلف بالنقد العلمي لهذه النظرية ، ثم عرج على «داروين» ، فقدمه من لحظة المولد (١٨٠٩/٢/١٢ م) حتى عودته من رحلته التي قام بها في بعثة علمية على ظهر سفينة الأبحاث «بيجل» حيث اتجهت إلى الأرخبيل الهندي للقيام ببعض الأبحاث العلمية .. ثم أعانته الحكومة على نشر كتابه الأول (في أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأجناس في صراع الحياة) في عام ١٨٥٩ م ، ثم إصدار كتابه الثاني بعنوان (أصل الحياة) في عام ١٨٧١ م . وقد توفي داروين في ١٨٨٢/٤/١٩ م .

العناصر الأساسية لنظرية التطور عند داروين هي : الانتخاب المقصود — الانتخاب الطبيعي — الصراع على البقاء . قدّم المؤلف آراء داروين وتلامذته لبيان الإطار العام لكلٍّ من هذه العناصر التي تقوم عليها النظرية ، وانتهى إلى رأي داروين في أصل الإنسان (في كتاب «أصل الأنواع») حيث ترك هذه المسألة معلقة ، إلّا أنه عاد فرأى عدم وجوب استثناء الإنسان من قانون التطور ، وهو يصرح بهذا أيضاً في كتابه (تسلسل الإنسان) .

بعد ذلك عرض المؤلف الأدلة التي تستمد نظرية التطور الداروني إطارها العام منها ، وهي عدة علوم منها : علم التشريح المقارن — علم الأجنة — علم التقسيم — علم الحفريات . وبالنسبة لأدلتهم المستمدة من علم الحفريات ، فإنها تأتي من السجلّ المرتب للحفريات الذي استطاع العلماء وضعه ، وهو يدل في نظر التطوريين على وجود تعاقب يبدأ من كائنات بسيطة للغاية إلى كائنات أكثر تعقيداً وتخصصاً ، كما أن هذه الحفريات تقدم لنظرية التطور دليلاً جديداً ، إذْ تُظْهِر (الحلقات الموصّلة) بين الأنواع التي لاتوجد في الحيوانات الحالية . ويتضمن سجل الحفريات عند تطور الجنس البشري في زعم التطوريين مجموعة من الأشكال اقتربت من هيئة الإنسان الحالي :

أولاً : إنسان جنوب إفريقيا الشبيه بالقرد ، وهو أول نوع مشابه للإنسان .

ثانياً : الإنسان الجاوي .

ثالثاً : إنسان بكين .

رابعاً : إنسان هايدلبرج — بألمانيا .

خامساً : إنسان نياندرثال — بألمانيا أيضاً .

سادساً : إنسان كرومانيون — بفرنسا .

سابعاً : الإنسان الحديث أو الإنسان العاقل ، وقد بدأ ظهوره منذ حوالي ١٢٠٠٠ ساعة فقط .

يقول علم الدين كمال الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة في بحثه عن التطور في الكائنات الحية : «إن علماء التطور لا يقولون إن الإنسان

انحدر من القرد ، وإنما يعتقدون أن الإنسان والقرد كان لهما سلف مشترك) . وهناك مجموعة من الأدلة الأخرى مستمدة من علوم مختلفة مثل علم التوزيع الجغرافي للكائنات الحية ، علم وظائف الأعضاء ، وعلم الوراثة .

نشأة الحياة : ذلك الموضوع العويص ، الذي قدَّم له المؤلف بعَرْض لبعض الاعتقادات القديمة عن كيفية نشأة المادة الحية وظهور الأنواع المختلفة ، كما كان عند قدماء المصريين والهنود والإغريق . يرى أفلوطين مؤسس الأفلاطونية الحديثة أن جميع الكائنات الحية نشأت نتيجة لتسامي المادة بواسطة روح تهب الحياة . ثم عرض للاعتقاد عن نشأة الحياة إبَّان القرون الوسطى ، فالقرن الماضي ، حتى وصل إلى أحدث الاعتقادات ، وهي التي أبَانَ عنها العالم السوفيتي ألكسندر إيفانوفيتش أوبارين في كتابه (نشأة الحياة على الأرض) في الخمسينات من القرن الحالي .

ونظرية أوبارين في نشأة الحياة على الأرض تتلخّص في أن الحياة حالة من أحوال المادة ، وأنها نشأت على الأرض وفْقاً للخطوات التالية :

تطور المواد غير العضوية إلى مواد عضوية أولية ← تطور المواد العضوية إلى البروتينات ← النقاط التجمعية (التجمعات أو الأكوام من المواد العضوية المعقدة) ← نشأة البروتوبلازم الحي ← ظهور الخلية الحية .

وبعد أن عرض المؤلف باختصار لكل واحدة من هذه الخطوات التي فصَّلها أوبارين صاحب النظرية ، قدَّم للقارىء رأي العالم نفسه في المدى الزمني (أو عمر) هذا التطور ، حيث يعتقد أن الأرض ظلت أربعة أخماس عمرها (٤٠٠٠ مليون سنة تقريباً) خامدة ، وكان تطور المادة خلال هذه المدة المذكورة بعمليات غير حيوية بطيئاً للغاية ، ثم ظهرت بعد ذلك «النقاط التجمعية» ، ثم انقضت ملايين السنين بعد ذلك حتى ظهرت الكائنات الحية الأولية . ثم ظهرت عملية البناء الكلوروفيلي . ثم في المليون سنة الأخيرة ظهر الإنسان ، وظل بدائياً لمدة طويلة . وفي خلال عشرات القرون الأخيرة فقط ظهر التطور الاجتماعي للإنسان .

التطورية الداروينية والدين : يعتبر لابلاس من أشهر منكري الألوهية ، وفي عام ١٧٩٩ م — حينما قدم نظريته عن التطور في النظام الشمسي من السديم — سأله نابليون عن مكان الخالق في هذه النظرية أجاب في خيلاء : (يا صاحب الجلالة لست بحاجة إلى تلك الفرضية) . وهكذا أخذ الأمر يجري في نظرية التطور عند داروين ، ومهما يكن موقف داروين من الدين ، فإن الحوار الذي جرى حول نظريته وجَّه الأذهان إلى ضرورة إعادة النظر إلى «الكتاب المقدس» ، وبالذات إلى سفر التكوين في ضوء النتائج العلمية الحديثة . ويقول بعض العلماء : لو كانت نظرية النشوء والارتقاء صحيحة ، لكان معناها رفض قصة الخلق التي وردت في الكتاب المقدس . ولذا اعتبرت الكنيسة في الحال عند ظهور النظرية الداروينية أن هناك خطراً يهدد الدين . ثم عرض المؤلف لدفاع إسماعيل مظهر عن داروين وأبعاد شبهة إنكار الألوهية عنه ، وكذلك فإن عباس العقاد يرى أن والاس وداروِن لم يكونا ملحدين أو معطلين ، وإنما غاية ما ذهب إليه داروين هو أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية ، ولم يقل بأنه يفسر خلق الحياة . كما قدم يوسف كرم دفاعه عن دارون ، ثم أنهى هذه المناقشة بتبْيان مسألة مهمة ، وهي أن الماديين الملحدين استغلوا هذه النظرية واغتصبوها لحساب الإلحاد وإنكار وجود الإله .

نقْد نظرية التطور الدارويني : ويفند المؤلف هنا هذه النظرية ، ويتوجه في هذا إلى ناحيتين : ناحية عامة ثم ناحية خاصة . **الناحية العامة** هي التي يشترك فيها ما يشاع عن النظرية مع النظريات الأخرى التي تحاول أن تتخذ من العلم التجريبي سنداً لرفض المعرفة الإلهية أو الميتافيزيقية ، وذلك حيث تقوم على «الاعتقاد» بأن المادة أصل الأشياء . وقد قام المؤلف بنقد النظرية من هذه الناحية في كتب سابقة له ، ثم أكمله في هذا الكتاب في مبحث (حتمية القانون لا تلغي الإرادة الإلهية) وهو آتٍ بعد .

أما نقد النظرية من **الناحية الخاصة** ، فهو يدور في خمس نقاط ، أوردها المؤلف في اثنتين وعشرين صفحة في هذا الفصل ، نلخصها كما يلي :

أولاً : نقد النظرية في الأوساط العلمية .

ثانياً : قيام النظرية على جملة افتراضات أو اعتقادات غير ملزمة .

ثالثاً : اعتماد النظرية على مبدأ «الصدفة» .

رابعاً : اقتصار النظرية على مبدأ «التشابه والترتيب» .

خامساً : افتراض صحة النظرية لا يلزم إلغاء الألوهية أو إبطال الإرادة الإلهية .

ويختم المؤلف الجزئية الأخيرة بأن هذه النظرية لا تلغي بالضرورة «الإرادة الإلهية» ، ومن ثَمَّ فينبغي أن يبقى فيها مكان خاص لنظرية «الخلق الخاص» بالنسبة لبعض الأنواع على الأقل (الإنسان) إذا وردت بذلك الأخبار الصحيحة . ولاشكّ أن الأخبار الصحيحة قد جاء بها القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق آدم عليه السلام

ثم أخذ المؤلف يبين (**الحتمية الإسلامية في إخراج آدم من نظرية التطور الدارويني**) على أساس ما جاء به القرآن الكريم ، مستدلاً بالنصوص القرآنية التالية : الحجر/٢٨-٣١ ، البقرة/١١-٣٤ ،

الإسراء/٦٠ وما بعدها ، الكهف/٤٩ وما بعدها ، طه/١١٥ . وكلها توضح أن آدم خُلِق مستقلاً وليس على مراحل من التدرج غير الملحوظ في مدارج الأنواع المختلفة .

كما تدل الآيات ٣٠-٣٣ من سورة البقرة على أن آدم حينما ظهر ظهر وهو في أعلى مراحل النضج البشري . وتؤكد الآيات ٥٩ ، ٦٠ من سورة آل عمران على أن خلق آدم لم يتفق مع السنن العادية ، كما تقضي بذلك نظرية التطور إنْ صحّت ، وإنما على نحو خارق لهذه السنن .

وفي ختام الفصل يعرض المؤلف لآراء علماء السوسيوبيولوجي (علم الأحياء الاجتماعي) ، وعلماء البيولوجيا ، وعلماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين ، وعلماء الانثروبولوجي التي تقضي كلها بما قرره الإسلام من قبل حول (أصل الإنسان) .

وكان موضوع الفصل الثالث في الكتاب محل العرض والتحليل هو **(مذهب التطور الاجتماعي)** ، حيث استهله صاحبه بتقديم لمحة عن نشأة هذا المذهب ، وقال : يرجع التفكير التطوري في عمومه إلى زمن أبعد من ظهور دارون ، كذلك فإنَّ فكرة التطور بمعنى التقدم والارتقاء من مرحلة دنيا ومستوى متخلف إلى مرحلة الحضارة الحديثة ، ظهرت في كتابات عدد من علماء الانثربولوجيا والثقافة والاجتماع قبل أن تظهر نظرية دارون بقرن كامل على الأقل . ثم أورد المؤلف أقوالاً لبعض علماء الانثروبولوجيا منهم جوستاف كلم (١٨٠٢ ــ ١٨٦٧) الذي قسَّم الجنس البشري إلى قسمين (ثنائية السلالات البشرية) ، شعوب سلبية مقلِّدة غير مبتكرة ، شعوب فعالة مؤثرة خلاَّقة ، وأخذ يوضح عملية الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية . وما هي نظرية سبنسر في التطور الاجتماعي ؟ ما هي المزالق التي وقع فيها أشياع نظرية التطور الداروني من المسلمين المعاصرين ؟ يقول إسماعيل مظهر مدافعاً ومؤيداً للذين قالوا بتطور الدين من مراحل دنيا إلى مراحل عليا : علمتنا هذه الأبحاث أن مَثَل الأديان كمثل الأنواع الحية في الطبيعة ، لم تُخْلَق فجأة ، بل إنها قد مضت متطورة في خطىً نشوئية تدريجية ، حتى إن الديانات التي أتى بها مبشّرون من أكبر مَنْ يذكرهم التاريخ قدْراً ، قد كونت على أساس أنه كان بذاته نتاجاً لخطىً من النشوء والتدرج المستمر .. ويقول المؤلف مفنِّداً آراء هرمان راندال في كتابه (تكوين العقل الحديث) : إن تطبيق فكرة التطور على «الدين» تؤدي منطقياً إلى ما ذهب إليه فويرباخ من الاعتراف بالدين على أنه من صنع الإنسان .. والقول بأن فكرة «الله» نفسها ليست سوى مَثَل أعلى متغيّر وَضَعَهُ الناس لأنفسهم سدًّا لحاجات ما يسميه «التجربة الدينية» ، وهي عند مَنْ لا يكشفون عن وجوههم تؤدي بالضرورة إلى تكوين النصوص الدينية التي تقرر سمو التصور الديني عند سيدنا آدم عليه السلام ، وتقرر استحالة قبول تعدد الآلهة في أي عصر من عصور النبوة ، كما تقرر وحدة الدين عند الله ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ . وقد تنطبق هذه النظرية ــ أوْ لا تنطبق ــ على الأديان الوضعية ، أما الدين الذي هدى الله إليه الإنسانية منذ آدم ، فلا يقبل هذه النظرية على أي حال من الأحوال .

نقد نظرية التطور الاجتماعي : أخذ المؤلف يدحض هذه النظرية ويبطل مزاعمها وينقض أركانها ركناً بعد الآخر ، وهي على التوالي :

١ ــ ادّعاء المماثلة بين النوعين من التطور ، البيولوجي والاجتماعي (أو بمعنى آخر : قياس التطور الاجتماعي على التطور البيولوجي) .

٢ ــ ادّعاء التلازم بين التطور والتقدم .

٣ ــ ادّعاء القدرة على تفسير التاريخ والحضارة .

٤ ــ الاعتماد على نزر قليل من المعلومات .

٥ ــ الاكتفاء بالتأملات الافتراضية والأحكام الاعتقادية .

ثم ختم المؤلف الفصل الثالث بشرح التطور الأخير لعلم الاجتماع المعاصر ، وأخذ يبين الفروق بين التطورية المعاصرة وبين التطورية القديمة . وكان آخر ما ورد : إن النتيجة التي نخرج بها من هذا المبحث هي أن التطور والتقدم كليهما لا يفسران لنا «الدين» ، بل على العكس من ذلك ، فإن الدين هو وحده الذي يمكنه أن يقدم تفسيراً للتطور والتقدم .

ما هو المقصود بـ «حتمية القوانين الطبيعية» ؟ وكيف يتبيَّن لنا أنه لا حتمية لهذه القوانين ؟

هذا هو موضوع الفصل الحالي . حيث يقول علماء الطبيعة والفلاسفة بادّعاء الحتمية ، فما هي الحتمية المقصودة ؟ يقدم المؤلف تعريفاً لها ، وهو أن المغالطة الكبرى التي يروّج لها أذناب المادية باسم المنهج العلمي التجريبي ، هو أن العلم المادي الحديث ينتقل بنا من حضيض الأوهام والظنون التي يورّطنا فيها الفكر الأسطوري أو الميتافيزيقي ، ويرتفع بنا إلى مستوى القوانين الحتمية ، أي القول بأن لكل ظاهرة طبيعية علّة طبيعية توجب وقوعها ، ولكل علة معلول ينشأ عنها ، فالظواهر يتحتم وقوعها متى توافرت أسبابها ، ويستحيل أن تقع مع غياب هذه الأسباب ، وهذه الاستحالة هي ما يسمى بـ «الضرورة» أو «الحتمية» . ويوضح لويس دي بولي أن نجاح فرض «الحتمية العامة» يشكّل أحد المبادئ الراسخة في الفكر العلمي .

وقد انبرى المؤلف لفضح هذه الفرية ، وإثبات أنه لا حتمية للقوانين الطبيعية ، وقد استغرقت مساحة هذه المباراة الثقافية العلمية

خمساً وعشرين صفحة من الكتاب تضمَّنت فقراتها ما يلي :
١ ــ اكتشاف اللاحتمية في تاريخ العلم الإسلامي (أو في ميدان الفكر الإسلامي) .
٢ ــ وفي ميدان العقيدة والفلسفة الإسلامية .
٣ ــ وفي ميدان الفلسفة الحديثة والمعاصرة .
٤ ــ وفي ميدان العلم التجريبي ، وهنا أوضح المؤلف أن مشكلات عويصة تعترض «الحتمية» التي يدّعيها الفلاسفة والعلماء الماديون ، تلك هي : المفاهيم الغامضة ، إحصائية القوانين ، تضارب بعض القوانين المعتمدة (قانون الضغط الهوائي ــ قانون الجاذبية والتنافر الكوني ــ تفسير ظاهرة الضوء) .
٥ ــ وضوح اللاحتمية في العلوم الإنسانية .
٦ ــ اللاحتمية في علم الوراثة .
٧ ــ اللاحتمية في التفسير الاقتصادي للتاريخ . وينتهي إلى القول أنه بانهيار حتمية القوانين الطبيعية ينهار أساس مهم من أسس الإلحاد المادي المعاصر الذي يشوش بهذه الحتمية الطبيعية على الاعتقاد بخضوع الكائنات للإرادة الإلهية . وامتداداً لهذه المناقشة يأتي موضوع الفصل التالي :

هل هناك تعارض بين «الحتمية» وبين «الألوهية» أو «الإرادة الإلهية» ؟ نعم ، فما دواعي هذا التعارض ؟ وهل يوجد مثل هذا التعارض بين حتمية القوانين الطبيعية وبين الإرادة الإلهية في الجو الإسلامي ؟ يقول المؤلف في هذا الصدد : إن افتراض حتمية القانون لا يلغي الإرادة الإلهية إلّا عند أولئك الذين يتصوَّرون الألوهية تصوّراً بشرياً ، منشؤه استمدادهم هذا التصور من الأساطير الشرقية أو الإغريقية ، وهؤلاء لا مجال لهم في الجو الإسلامي ، إننا نجدهم في البيئة التي نشأ فيها رُسل وأمثاله .

وبيَّن المؤلف أن البيئة الدينية في أوروبا في القرون الوسطى كانت كلها خرافات وأساطير تتنافى مع العقل الواعي والفكر المستنير ، وهو ما أدى إلى ظهور «الفلسفة المادية الحديثة» كردٍّ فعل آنذاك . ثم استعراض أفكار بعض الفلاسفة والعلماء حول السبب والنتيجة «أو العلة والمعلول» في العلوم الطبيعية ، وهي الأفكار التي توصل بها أصحابها إلى أن إحكام القوانين الطبيعية أو ثبوتها يفيد بعدم الحاجة إلى «الله» أو بمعنى «الإرادة الإلهية» في إدارة أعمال الحياة . وفي تفنيد المؤلف لهذه الآراء الضالة ونقده لها ، بيَّن الفرق بين السبب الحقيقي وبين السبب العلمي ، وما هو الشرط الكافي وما هو الشرط الضروري ، ومتى يكتفي العلماء بالشروط الضرورية ومتى يكتفون بالشروط الكافية ، ثم تحديد اصطلاح «السبب» ، وبيان أن السببية العلمية ليست سببية حقيقية ، وتوضيح كيف أن السببية تقتضي التسليم بالألوهية ، ثم بيان الفرق بين العدمية وعدمية التصور ، أي الفرق بين عدم وجود الله وبين عدم القدرة على تصور ذاته وصفاته ، وتحديد موقف الإنسان من «الما لا يُعْرَف» . وفي سبيل إثبات ضرورة البحث عن «السبب الأول» يقول مؤلفنا : ... ومن هنا فإنه لا بدَّ لنا من استنتاج وجود الإرادة الإلهية وراء الأسباب الظاهرية على نسق ما ندركه من وجود إرادة لنواتنا وراء إحداثنا للظواهر الحسية . ثم يرد على المنكرين للإرادتيْن (الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية) ، ويبيّن أن «الوعي» لا يمكن تفسيره ماديًّا ، ثم ينبري لفضح فكر الملحدين ، فهم يبدأون من «الإيمان بالمادة» وينتهون إلى إنكار المادة أو التشكيك فيها . الجزئيتان التاليتان اللتان شرحهما المؤلف هما : إثبات الإرادة الإلهية ضرورة عقلية ، وإثبات الإرادة الإلهية ضرورة علمية .

وقبل أن يحدد المؤلف «الإرادة الإلهية في التصور الإسلامي» يمرّ على أينشتاين ليعرض للقارىء من أقواله وآرائه ما يوضح تردده في الاستدلال على وجود الإرادة الإلهية وراء القوانين الطبيعية ، ثم يقول : .... وأينشتاين طبقاً لهذا التحليل يرى أن رجال الدين يخاطرون عندما يجعلون بقاء الدين مرهوناً بقصور العلم ، ومن هنا يقول : «إن العقيدة التي تقوى على البقاء في الظلام ، ولا تقوى عليه في وضح النهار ، لابد أن تفقد تأثيرها في الناس» . ويصل أينشتاين بعد ذلك إلى النصيحة التالية التي يقدمها لرجال الدين : «لابد لعلماء الدين أن يتخلوا عن مبدأ العقيدة في إله له صفة الأشخاص» يعني ذلك الإله البشري الذي نجده في التصور المسيحي ، أو التصورات الوثنية .

ونحن نقول : إنّ المشكلة التي أحس بها أينشتاين لا وجود لها في العقيدة الإسلامية ، وذلك :
أولاً : لأن الإله الذي له صفة الأشخاص مرفوض تماماً في الإسلام ، فهو ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ .
ثانياً : لأن القواعد والقوانين الكونية التي يكشفها العلم ، لا تطارد الدين في ظل المفهوم الإسلامي ، بل تؤكده ، لأن هذه القواعد كائنة وباقية ومستمرة بضمان إلهي ﴿**ولن تجد لسنّة الله تبديلاً**﴾ . فمن مبدأ الأمر لا تناقض بين الدين والعلم ولايضطر العلمُ الدين الإسلامي إلى التراجع إلى منطقة الظلام .. وهكذا يصبح من الجلي أننا لا نرضى في عقولنا فكرة التسلسل السببي التي قد يأخذ بها العلم الحديث إلّا بالاعتقاد بوجود **إرادة عاملة** وراء الظواهر الطبيعية .. إن الله سبحانه له الكمال المطلق ، **فهو أيضاً له الإرادة المطلقة** ﴿**فإن الله غني عن العالمين**﴾ ، وهذه الإرادة المطلقة تفسرها لنا القوانين الطبيعية ، ولا تتعارض معها .

وكان آخر جزئيتين أو مسألتين عالجهما المؤلف هما : التطور بين الحتمية والإرادة الإلهية ، نظرة التقدمية الحقيقية نجدها في الإسلام وهو أحق بها .

حاول المؤلف في الفصل السادس أن يشرح بالتفصيل كيف أن العالم محتاج لا محالة إلى الله ، وذلك طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ومعطياتها . وكانت الجوانب التي دارت فيها المناقشة هي : بيان مبدأ «عدم التحدّد» في الفيزياء وكيف نستدل به على الإرادة الإلهية ، وقيام برتراند رُسل بمعارضة هذا الاستدلال ، ومناقشة المؤلف له في معارضته هذه ــ استحالة توصل العلم التجريبي إلى «التحدد» في المستقبل ــ حدوث العالم وفناؤه : الكون مُتَنَاهٍ حَجْماً ، الكون متناه زَمَناً (في الماضي وكذلك في المستقبل) ــ قابلية المادة للفناء ــ تمدد الكون حالياً دليل على حداثته ماضياً ــ القانون الثاني للديناميكا الحرارية كدليل على وجود بداية زمنية للكون .

وكان أبرز ما في هذا الفصل أننا وجدنا المؤلف يصل بالإقناع العلمي إلى استنباط عدد من الأدلة على وجود الأمر الإلهي ، أيْ وجود الله وثبوت إرادته المطلقة الحكيمة ، هذه الأدلة المستنبطة هي :

ــ **الدليل الأول** : دليل القانون «غير الطبيعي» .

ــ **الدليل الثاني** : دليل الانضباط الإحصائي الواقعي للصغيرات (أي محتويات الذرّة) .

ــ **الدليل الثالث** : دليل «إمساك المادة من الفناء» .

بعد ذلك قدَّم المؤلف لبعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين الذين قادهم علمهم إلى الإيمان بالله ، وهم : ويلارد فرانك ليبي : عالم الذرة العملاق ، الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠، وعضو لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وكانت «رغبته الدائبة في فهم أسرار الطبيعة» هي التي قادته إلى الإيمان بالله ــ تشارلز هارد تاونز : من كبار العلماء الأمريكيين ، وهو مخترع الميزر ، وهو مجموعة من الأدوات ذات الأثر المهم في ميدان العلم والصناعة لا يقل شأناً عن الترانزستور ــ جيمس ألفرد فان ألن : الحاصل على دكتوراه الفلسفة في الطبيعة النووية ، وهو أعظم علماء الفضاء في أمريكا ، وصاحب اكتشاف «شريط فان ألن» الذي يحيط بالكرة الأرضية ــ ألبرت بروس سابين : عالم «الميكروبات» الشهير ، وصاحب مصل شلل الأطفال «سابين» المسمى باسمه ــ فيليب موريس هاوزر : أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو ، ومدير هيئتين لأبحاث السكان في الجامعة نفسها ــ دين أفرت وولدردج : حصل عام ١٩٣٦ على دكتوراه الفلسفة في الطبيعة من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وقد شغل منصب رئيس شركة تومسون راموا وولدردج في المدة ما بين ١٩٥٨ ــ ١٩٦٢ ، وهي من أنشط الشركات في أمريكا التي يعتمد نشاطها على العلوم .

هذا ، ولم نَرَ المؤلف يسوق أمثلة من العلماء الطبيعيين أو الفلاسفة الذين قادتهم دراساتهم وتخصصاتهم إلى الدخول في الإسلام ، وهم جمع غفير ، فلماذا فاته هذا الأمر ؟ إننا نرى أنّ مرور هذا الفصل دون عَرْضٍ لنماذج من هؤلاء العلماء العالميين يُعَدُّ نقصاً كبيراً فيه .

ونأتي إلى الفصل الأخير ، وهو الفصل الخاص ببيان (المنهج البنائي للدين) أو إيضاح (الضرورة العملية) لاستسلام الإنسان لله . ويستهله صاحبه بقوله : الإنسان لا يمكنه أن يعيش مع «الشك» ، مثلما أنه لا يمكنه أن يعيش مع «الجوع» ، وهو مع الجوع «يموت» ، لكنه مع الشك «يستسلم» ، يستسلم بحكم «الضرورة العملية» . والضرورة العملية أنواع ودرجات مختلفة القيمة ، وخير أنواع الضرورة العملية التي يستسلم لها الإنسان «الاستسلام» «لله» سبحانه وتعالى ، كيف ؟ الإجابة هي الفصل بأكمله .

أولى جزئيات الفصل كانت في بيان أن الضرورة العملية أساس للبحث العقلي ، وكانت جوانبها :

أ ــ في الفلسفة القديمة : حيث أفلاطون وآراؤه في هذه المسألة وسؤاله (من أين لنا الوصول إلى هذه المعرفة الضرورية اليقينية الأولية ؟) ، ثم أرسطو الذي كان يرى أن مصدر هذه الأوليات هو العقل ، وعموماً فقد ترك أرسطو مسألة العقل غامضة ــ حسب رأي محمود قاسم ، ثم جاء إسكندر الأفروديسي الذي ذهب إلى أن العقل الفعال عند أرسطو : (ليس جزءاً من أجزاء النفس ، أو وظيفة من وظائفها ، بل هو الإله الذي يتمثل في نفوس البشر ، ويقوم مقامهم في إدراك معاني الأشياء) ، ثم آراء إميل بوترو .

ب ــ في الفلسفة الإسلامية ، حيث أبو نصر الفارابي والإمام الغزالي .

جـ ــ في علم الكلام، حيث أئمة المعتزلة وأئمة الأشاعرة ومصطفى صبري . ثم عاد المؤلف مرة أخرى إلى الفلسفة القديمة لبيان موقف الفلسفة اليقينية والثقة بالعقل .

الجزئية الثانية كانت (الضرورة العملية والشك) ، وفيها ناقش المؤلف آراء كل من الأبيقوريين ، هلنز ريشنباخ ، سكتوس أمبيريكوس ، سليمان دنيا ، عثمان أمين ، هيوم ، كانط ، أزفلد كوليه ، وليم جيمس . ويقول المؤلف ختاماً لهذه الجزئية : وأخيراً ، فإن الضرورة العملية هي التي أوقفت سريان الشك النظري إلى إيمان الشخص بوجود ذاته ــ في غير اللحظة الراهنة ، ومن ثم رجعت به إلى إثبات وجود العالم الخارجي بنفس طريقة الاستدلال التي تمَّ بها

إثبات وجود ذاته في غير اللحظة الراهنة . ونضيف إلى ذلك أنها ترجع به أيضاً ــ على المنهج نفسه ــ إلى الإقرار بوجود الله **﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾** . ثم انتقل المؤلف إلى مناقشة (الضرورة العملية هي الأساس في العلم التجريبي) ، وكانت مناقشته ــ كسابقاتها ــ ممتعة ومقنعة ، توصَّل فيها إلى أن الضرورة العملية هي التي ترغمنا على التسليم بما يقع في خبرتنا مباشرة ، وهي التي جعلت علماء الذرة يقررون وجودها ، وهي التي جعلت العلم التجريبي يتمسك بقوانين الإحصاء على الرغم من يقينه بأن الأفراد لا يخضعون لما يخضع له المجموع ، و هي التي جعلت العلم يأخذ بتفسيرين لظاهرة الضوء ، وهي التي تُلجئنا إلى الأخذ بنتائج الفيزياء الحديثة على وجه العموم ، وهي التي دعت إلى افتراض بقاء الطاقة ، وهي التي جعلت برتراند رُسِل (يؤمن) بما يسميه «الأحداث» كنسيج محايد للعقل والمادة . وفي النهاية يقول : .. فإنه يصبح السير وراء الضرورة العملية لازماً إذا قادتنا هذه الضرورة خطوة أخرى بعد التسليم بالأحداث أو بالأشياء أو بالقوانين ، أيْ إذا قادتنا إلى علّة هذه الأحداث ، والأشياء والقوانين ، العلّة التي لا تحتاج لعلّة وراءها ، أي إلى الاستدلال على وجود الله ، وهنا يحق لنا أن نقول إن الضرورة هي الطريق إلى معرفة الله .

الضرورة العملية مدخل إلى «الدين» ، وهنا يقوم المؤلف بإفحام الملحدين في مسائل خطيرة كالخلود الإنساني ، والخير الأسمى ، والعلاقة بين الروح والجسد ، والموت ، والأبدية . ثم وصل إلى بيت القصيد وهو (الضرورة العملية في الإسلام) فأوضح أنها ليست من باب الإجبار أو القسر أو الخضوع عنوة للأمر الإلهي ، وإنما هي استسلام لله بمحض الاختيار ، ثم ناقش القوى : العقلية ، والحسية ، والوجدانية ، وبيَّن الفرق بين الضرورة العملية الحيوانية والضرورة العملية الإنسانية ، وعرج على كيفية إلزام الضرورة العملية للإنسان . وأخذ يفصّل القول في توضيح الضرورة العملية كما هو في منهج الدعوة الإسلامية :

(أ) في منهج الرسول ﷺ : **الإنذار** الذي جاء في أنحاء متفرقة من القرآن (١٢٠ مرة صراحة + ٨ مرات جاءت بكلمة التبشير المراد به الإنذار) ، ثم انتقل إلى الحديث النبوي حيث يقول النبي ﷺ : (مَثَلِي ومَثَلُ ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إني رأيتُ الجيش بعيْنَيّ ، فأنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم) . ثم انتقل إلى وقائع السيرة النبوية . وهو يوضح من خلال هذه المناقشات أولية الإنذار باليوم الآخر في منهج الدخول إلى الإسلام ، ويبيّن لماذا تقدَّم الإنذار بالعذاب الأخروي على مشكلة التوحيد منهجياً ؟ أو على الأقل : لماذا صحب الإنذار طرح مشكلة الألوهية على هذا النحو القوي الرهيب ؟ ، ولماذا لم تنقض فترة كافية في الجدل حول مشكلة الألوهية قبل الإتيان بالإنذار من العذاب في الآخرة ؟

(ب) في الفكر الإسلامي .

وختم المؤلف الفصل الأخير بملاحظات على ما مرَّ في الكتاب ممَّا يتصل بقضية «الضرورة العملية» .

أولاً : الردُّ على القول (لا يصح أن نسمح للدائرة العملية من العقل أن تفرض اتجاهاتها على الدائرة النظرية ، بل ينبغي أن يقف العقل موقفاً سلبياً ، وأن يبقى صحيفة بيضاء حتى تأتي الحقائق الخارجية فتسجل عليه) .

ثانياً : أن البداية من «الضرورة العملية» ، وهي من الناحية النظرية لا ترتفع فوق مستوى الظن ، ليست مخالفة للشرع ، أو بدعة من البدع ، نقحمها على المنهج الإسلامي .

ثالثاً : أن العقل الذي يدفع إلى أخذ الإنذار بالآخرة مأخذ الجدّ ليس هو العقل النظري الذي لا يكفّ عن اختراع الاحتمالات ، وإنما هو العقل العملي ، وهو الذي وصفه متكلمو الإسلام بأنه (قوة التصرف في الموضوعات واستنباط الصناعات ، وتمييز المصالح من المفاسد لانتظام أمر المعاش والمعاد) .

رابعاً : إذا كان العلماء قد قبلوا (الظن) في العمليات ، فإنني لا أرى وجهاً للتفرقة بين الاعتقادات والعمليات ، حيث يجوز الأخذ بالظن في الأخيرة دون الأولى .

خامساً : إن المتعرض للدعوة بعد أن يتعرض للإنذار ، يجد نفسه مضطراً عملياً إلى «التسليم» ، فينطق بالشهادتين كما طلبهما الرسول ﷺ (أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله) ، فيكون مُسْلِماً ، وهذا هو «التسليم» الذي يدعو الإسلام إليه الإنسان **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب﴾** (الزمر/٥٤) .

وفي ختام هذا العرض نشير إلى إلى بعض الأخطاء الواردة في الكتاب ، والتي بلغت نحو ٣٧ خطأ ، مثل : (نفذ) ، وموقعه س ٣ ص١١ ، وتصحيحه (نقد) س الأخير ص ٢٦ : ١٨٥٨ ــ الواضع : س ١٧ ص ٤٦ : الواضح ــ المادة : س ٥ ص ٣٦ : المدة ــ السوسيون بيولوجي : س ٩ ص ٦٤ : السوسيوبيولوجي ــ ... ــ يجوزا : س ٨ ص ١٨٠ : يجوزا ــ القينية : س ١٠ ص ١٨٣ : س ١٠ ص ١٨٣ : اليقينية . ومن هذه الأخطاء عدد آخر كما هو واضح في المواقع : س ٨ ص ٢٩ ، س ٥ ص ٥٩ ، س ١٠ ص ٦٧ ، س ١٣ ص ٧٨ ، س ٥ ص ٨٦ ، س ٢٠

ص ٨٩ ، س ١٧ ص ١١٤ ، ... ، س ١٣ ص ١٦٤ ، س ٢٠ ص ١٨٠ ، وغيرها . وليس هناك مبرر في وقوع هذه الأخطاء ، إذا علمنا أن «بروفة» الكتاب — وهي طور من أطوار طباعته — يجب على المؤلف مراجعتها وتصحيح ما بها من أخطاء ، فإذا لم تتم المراجعة فهذا هو الأدهى . إضافة إلى الأخطاء المطبعية ، فإننا وجدنا مَرْجعاً كَثُرَ اعتماد المؤلف عليه وشاع ذكْره في حواشي عدد من الصفحات وهو «الإسلام ونظرية التطور» لصاحبه محمد أحمد باشميل ، إذاً يحقُّ له أن يكون من (أهم المراجع والمصادر) التي أوردها المؤلف في نهاية الكتاب ، لكننا لم نعثر عليه في هذه القائمة ، ووجدناه في الحواشي فقط ، فلماذا حدث هذا ؟! وامتداداً للأخطاء المطبعية التي تعددت في صفحات الكتاب يلاحظ وجود بياض س ٦ ص ١١١ ، ثم نسي المؤلف وضع رقم الصفحة في إشارته إلى مرجع بحاشية ص ١١٩ السطر الثامن ، كذلك هناك في صفحة ١٧٨ إشارة إلى مرجع برقم ٤٤ على الرغم من عدم ذكر المرجع في الحاشية كما هو المعتاد !

النقطة التالية التي يجب لفت نظر القارىء والمؤلف — على السواء — إليها ، هي كثرة النُّقول الآتية من مصادر متعددة وأغلبها مؤلَّفات مترجمة ، ونَظَراً لتعدد المترجمين واختلاف ثقافاتهم ، فإننا وجدنا الكلمة الأجنبية الواحدة تُرْجِمَتْ بأكثر من مقابل عربي ، وبالطبع هذا لم يحدث في كل مُؤلَّفٍ على حِدَةٍ ، ولكن عند النقل من المؤلفات لم يراع مؤلفنا توحيد الترجمة للفظ الواحد ، فمثلاً (Genes) وجدناها مترجمة في أنحاء متفرقة من الكتاب الذي بين أيدينا بـ (صبغات ، صبغيات ، مورثات) وإن كانت الثلاثة يمكن استعمالها ، لكن الاقتصار على ترجمة واحدة أفضل ، وكلمة (Vertebrates) ترجمت في مواقع هكذا : (الفقريات) . هذا بالإضافة إلى العبارات الركيكة التي وردت في الأسطر المنقولة من المترجمات ، وإن كنّا نعلم أن هذه ليست عبارات مؤلِّفنا ، فكان حَرِيًّا به أن ينوه إلى ركاكة الأسلوب وتصحيحه في مواقع تتخلله كلما أمكن . والنقطة الأخيرة هي ورود أسماء كافة العلماء والفلاسفة والكتَّاب في هذا الكتاب مُعَرَّبَةً ، وإننا ننصح كل مَنْ يقوم بذكْر أسماء أجانب أن يذكر الهجاء الإفرنجي مرافقاً للتعريب الذي اجتهد في الإتيان به ، حتى نطمئن إلى صحته أو تصحيحه إذا وجد به تحريف ما . والله أسأل أن يبصِّرنا بالصواب .

الإشارات الإلهية

لأبي حيان التوحيدي

بتحقيق عبد الرحمن بدوي

إبراهيم السامرائي
كلية الآداب - جامعة صنعاء

أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد/الإشارات الإلهية ؛ تحقيق عبد الرحمن بدوي — ط ٢ — الكويت : وكالة المطبوعات ؟

أقول : هذا الكتاب من مصنفات أبي حيان التوحيدي كما أثبتها ياقوت في «معجم الأدباء» ، وذكر أنه جزءان . غير أن الذي بقي منه الجزء الأول في مخطوطة فريدة في «الظاهرية» ، لقد نشر عبد الرحمن بدوي هذا الكتاب نشرة أولى في مصر ، ثم أعاد نشرته في الكويت ، ولكن في هذه النشرة الثانية لم يشر إلى نشرته الأولى .

وقد نشر «الكتاب» في بيروت منذ عدة سنوات ، وقامت بتحقيقه وداد القاضي ، وقد نال الكتاب في هذه النشرة البيروتية عناية لم أر ما يماثلها أو يقرب منها في نشرة «بدوي» ، هذه العناية بدت واضحة في ضبط النص . وأذكر أني قرأتها منذ أكثر من عشر سنوات ، فلم أتوقف في شيء يشكو منه النص على نحو ما كان حين قرأت هذه النشرة الكويتية .

إن مادة «الكتاب» تندرج في لغة خاصة هي لغة الدعاء والابتهال إلى الله، ولا تخلو فيما كان فيها من أدب الزهد من لمحات صوفية أو فلسفية . وهي في الجملة أدب رفيع وفرته له لغة مواتية ، وعربية سمحة تتحول في سماحتها من طواعية أصيلة إلى أدب عميق يتسم بالتعقيد أدّته عربية لغوي ضليع من فنه .

على أن هذا الأدب قد اشتمل على صفحات مؤلمة عرض فيها أبو حيّان لآلامه وأوجاعه وما عاناه في الدنيا ، وما لقيه من أهل الدنيا .

كل ذلك قد صرفه عن العاجلة الفانية إلى الباقية الخالدة .

وأنت في هذه الأوراق الحزينة واصل إلى أدب أبي حيان في نقده للناس ، وتصويره للمجتمع ، وفي سبره لأغوار النفس الإنسانية . وقد تهيّأ لأبي حيان هذا الأدب الرفيع لما كان له من طاقة في عربية لم يملكها إلّا خاصة الخاصة .

لقد قال المعنيون بأدب أبي حيان أنه كان ينظر إلى الجاحظ ، وأنه قد أعجب بأدبه ، غير أن الجاحظ قد صور مجتمعه الذي نفر منه فأتى على نقائص الناس بما أتيح له من سخرية لاذعة ، فلم يشق شقاء أبي حيّان الذي حمله شقاؤه على الانفصام عن الدنيا .

غير أن أبا حيان الذي شقي بدنياه كما شقي بأهل عصره ، ظل أديباً ، عرف الكلمة وتعلق بها وسطر بها فكره على نحو يقرب من الشعر . وكأنه أخضع هذه المادة في الزهد وما فيه من لمحة صوفية إلى نماذج أدبية فنية رائعة .

إن هذه المادة في عدة مئين من صفحاتها ، على تداخلها وتشابهها في أوصالها ، لاتبدو إليك مكررة تدعوك إلى السأم ، ولكنك تذهب فيها فتحس أن مودة انعقدت بينك وبين هذا الرجل الذي شقي على علمه وفضله .

لقد قدّم المحقق عبد الرحمن بدوي للكتاب بمقدمة فلسفية عرض فيها لهذا النموذج من الأدب العالمي ليعقد الصلة ، أو قل ليتوصل إلى هذه الصفحات التي حفلت بالأسى فربحت من لغة الوجد أفانين من الأدب الإنساني الخالد .

ولابد لي أن أعرض لوقفاتي في «الكتاب» هذه الوقفات لاتنال من فضل المحقق العالم الفيلسوف الذي انصرف إلى العلم فكتب فيه وترجم وأتى بالنفائس التي أحبها ، والتي تجاوزت مئة كتاب . غير أن أهل عصرنا قد غضّوا الطرف عن جهد هذا العالم البارع الذي أجاد في العربية الفلسفية كما أجاد فيما كتب بالفرنسية والألمانية .

ومن عجب أنك لا تحظى عنه لدى العرب بمثل ما تحظى عنه لدى أهل العلم من الأعاجم .

أقول : إن وقفاتي في «الكتاب» تظهر أن المحقق العالم لم يكن له من العربية الأدبية الأصيلة القدر الذي يعين على إخراج الكتاب مبرّأً سليماً . ومن هنا كان لي أن أثبت ما وقفت عليه . وقد ألتمس للمحقق العالم الفيلسوف عذراً فأقول : إن «الكتاب» قد وصل إلينا في نسخة مخطوطة فريدة ، ومن هنا لم يكن للمحقق سعة في النظر ، وهذه المخطوطة تؤلف الجزء الأول ، ولم يعرف من أثر للجزء الثاني .

ثم إن المحقق لم يألف هذا النموذج من العربية فيما حقق من نصوص فلسفية قديمة .

ولا يفوتني أن أشير ، وأنا أنهي هذه المقدمة ، إلى ما تميّز به أدب الكتاب من صفحات مشرقة في أدب الاغتراب ، ووقوفه على «هُوية» الغريب في وطنه .

عرض عبد الرحمن بدوي في «مقدمته» لموازنة بين أفرنتس كفكا (Frnz Kafka) والتوحيدي ، ذلك أن هذا الألماني قد شقي في حياته كما شقي أبو حيان .

والآن لابد من استقراء الكتاب في وقفات فأقول :

١ — قال المحقق (ص ٨) في كلامه على الطيبين ، وأهل الغش (الغشّاشة ، كذا) : « .... أما «الغشّاشية» فهم الذين يغشّون ، لأنهم يخادعون القواعد المصطلح عليها ...... ولأن في اختيارهم جانباً متهماً مقلقاً يزعج النفوس المطمئنة القانعة «السمينة» الراضية ...» .

أقول : «الغشّاشة» على أنها مأخوذة من العامية الدارجة ، فهي مقبولة في العربية الفصيحة ، ذلك أن ما ورد على «فعّال» يكثر جمعه على «فعّالة» في الألسن الدارجة كالبيّاعة والشرّاية ونحوهما . ولا نعدم أن نجد في الفصيح الخيّالة والنقّاطة وغيرهما .

غير أني أتوقف في وصف «النفوس» بـ «السمينة» ، وهل لي أن أحملها على الخطأ المطبعي فأذهب إلى أن الصحيح هو «السمحة» مثلاً ؟

قد يكون شيء من ذلك ، والذي أسترجحه هو ذاك لمسايرة «السمحة» للصفات الأخرى وهي : المطمئنة والقانعة والراضية .

٢ — وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق :

نعم ! كان «كفكا» رجلاً مرهف «الحساسة» .

أقول : «الحساسة» من الكلم الذي أباحه المحقق لنفسه ، فقد ولّد مصدراً على «فعالة» كالشجاعة والفصاحة ونحوهما . وربما دفع إلى هذا لشيوع هذا البناء في الأفعال الدالة على الصفات الثابتة كالكرامة والشهامة والبلاغة ونحو ذلك .

أقول أيضاً : ومن المعربين من ولّد «الحساسية» ومنهم من يخرجها بتشديد السين وتشديد الياء مبعداً لها بذلك عن الطواعية والرفاهية والعلانية . وقد ذُهب بهذا المولد إلى المصطلح فصُرفت إلى «أمراض الحساسية» مثلاً . وهذا كله جديد ، وليس لنا أن ندرجه متشدّدين في باب «ماجدّ من الخطأ» ، وسماحة العربية تتسع لهذا كله .

٣ — وجاء في (ص ٩) في «مقدمة» المحقق قوله :

«بيد أن صاحبنا [أي التوحيدي] هذا لقي من دهره و «الأحياء» ما هو أشدّ هولاً ممّا لقيه كفكا ، فتحدّث عن ألم مرير أعنف من ألم كفكا ، لأنه «حيّة» [كذا] على نحو أعنف» .

أقول : لقد تسمّح المحقق الفاضل فأثبت عربية خاصة تقرب من الشائع الدارج . إن قوله : و«الأحياء» أراد به الناس ، و«الأحياء»

تصدق في كل ما هو حي من مخلوقات الله ، وفي هذا الشمول إساءة للمطلوب المراد .

ثم إن قوله : «لأنه حيّة على نحو أعنف» لاينصرف إلى مدلول واضح ، ولعل في «حيّة» عدولاً عن المراد أو خطأً مطبعيّاً .

٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق :

«والخطيئة هي الشعور بالتضاؤل .... وأنه عالم القهر كما يقول السهروردي .... القهر للإنسان تحت سلطان قوّة مستورة جبارة ... عالم السلب الذي يضع الحدود في وجه كل اتساع أمام الممكنات ، فلا تلبث أن ترتدّ إلى سردابها (Souterrain) الذي تحدّث عنه دوستويفسكي »

أقول : إن الكلمة (Souterrain) لا تعني «السرداب» وهذه الكلمة «سرداب» المعربة لا تؤدي المراد بالكلمة الفرنسية ، والكلمة الفرنسية تعني باطن الأرض مما يلي القشرة الأرضية . وكلمة «سرداب» تقابل الكلمة الفرنسية (Cave) ، وهي داخلة في العمارة الفرنسية التقليدية إذ إن في كل العمارة مخدع تحت الطابق الأرضي يدعى «Cave» ، وهذه تقابل «السرداب» في العمارة العربية التقليدية .

٥ ــ وجاء فيها أيضاً قول المحقق :

«هذا السرداب الذي هو مجال الشعور في باطنه الحر اللامعقول .... المليء بالظلمات والأهواء .....» .

أقول : قوله : «المليء» بمعنى الممتلىء أو المملوء من المولّد الجديد في العربية المعاصرة ، وقد جرى عليه المعربون فلا نملك الطاقة على تصحيحه . إن «الملِيء» من «الملاءة» وهي السيادة والقدرة ، و «المَلأ» هم أشراف الناس .

و «المليّ» بالياء غير مهموز يعني الهُويّ من الدهر ، قال تعالى : ﴿واهجرني مليّاً﴾.

٦ ــ وجاء في (ص ١٤) قول المحقق :

«.... وهذا يدلنا على معنى ' الاستئصال والإجذار (Deracinement) ...» .

أقول : «الاستئصال» يقابل الكلمة الفرنسية، فأما «الإجذار» فهو مولّد ، فلم في «جذر» الفعل المهموز «أجذر» على أن همزته همزة سَلْب .

إن همزة السلب سمعت في أفعال معروفة مثبتة في كتب اللغة ، وليس لنا أن نتوسع فيها ، قالوا في هذه الهمزة : إنها كما في «أعجَمَ» أي سلب العجمة ، وكأنهم حملوا على هذا «أعرَبَ» أي أن ضبط الكلمة بحركات الإعراب وحركات الحروف في حشو الكلمة سلب لعروبيتها . وكذلك وردت في «أقذَى» العين أي أزال قذاها ، وكذلك «أعذَرَ» بمعنى سَلَب العذر .

٧ ــ وجاء في (ص ١٦) قول التوحيدي مما ذكره المحقق في «مقدمته» في كلامه على الغريب :

« .... إن نطق نطق حزنان منقطعاً ...» .

أقول : لم يرد بناء «فَعْلان» من «حزن» في العربية ولا ورد في استعمال الكتاب في العربية الفصيحة . إن الأبنية في العربية مقيدة بالسماع فقد ورد «غضْبان» ولم يرد «غضيب» مثل حزين . ولم يرد «حزْنان» ، وكأن أبا حيّان ، وهو يعرف هذا ، أراد أن يكون له معجمه ، وكأنه أراد أن يقول أنا من المشاركين في إشادة صرح العربية . ومن هنا لم يكن لنا أن نحمل استعماله لـ «حَزنان» على التجاوز .

ومن الغريب أن «حَزْنان» في عربية عصرنا من الاستعمال العاميّ الدارج .

٨ ــ وجاء في (ص ١٨) قول المحقق :

«.... وابن فارس في كتاب «الخريدة والفريدة» يقول عنه : إنه كان قليل الدين والورع ...» .

أقول : لم أقف على «الخريدة والفريدة» في مصنفات أحمد بن فارس صاحب «المجمل» و«معجم المقاييس» وغيرهما . ولا أدري أين اهتدى المحقق الفاضل إلى هذا ، وهو لم يُشر إلى ذلك في هوامشه .

٩ ــ وجاء في (ص ٣٣) قول المحقق :

«.... إذ نضوج الأسلوب يكشف عن تأخر العهد» .

أقول : إن مصدر الفعل «نضج» هو «النَّضج» ، والاسم فيه «النُّضج» بضم النون ، فأما «النضوج» فهو مما شاع في العربية المعاصرة تجاوزاً .

ثم أتحول إلى نص الكتاب ، ولابد من القول : إن كتاباً قديماً ليس له إلا أصل مخطوط واحد لهو من الأعمال العسيرة ، وإن المحقق مهما كان على قدر من العلم ليتوقف فيه وقفات طويلة ليحلّ مشكلاته ، وما عرض له على يد الناسخ من أوهام .

ولنبدأ رحلتنا مع أبي حيان فنقول :

١ ــ جاء في (ص ٤٩) قوله :

«يا هذا ! إن عرفت هذه اللغة ، واستخرجتَ حالك من هذا الديوان ، وحصلت مالك وما عليك .. أوشكت أن تكون من المجنويين إلى حظوظهم ....»

أقول : والذي أراه : أوشكتَ أن تكون من المجنويين ...

وهذا من أوهام الناسخ ، وقد نرى أمثال هذا كثيراً في هذا الأصل الفريد .

٢ ــ وجاء في هذه الصفحة أيضاً قوله :

« ... وإن كنتَ عميّاً عن هذه الإشارات أعجميّاً طاحت بك الطوائح ...» .

أقول : والصواب «عمياً» بالتخفيف ، وتشديد الياء غلط . و«عَمٍ» بناء «فَعِل» صفة من الفعل «عَمِيَ» مثل «هَوٍ» صفة من «هَوِيَ» .

٣ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... وجُلّيت عرائس الهُدَى ....»

أقول : والفعل «جُلِيت» بالتخفيف ولا حاجة في تضعيف اللام . قالوا : جَلَت المرأة العروس ، ولم يقولوا : جلّت ، بالتشديد .

٤ ــ وجاء في (ص ٥٠) قوله :

«.... فاصرف زمانك كله في فَلْي هذه الأنباء واستنباط هذه الأنباء» .

أقول : إن إثبات «الأنباء» مرتين غير صحيح . وقد أثبت المحقق هذا تمسّكاً بالنص . غير أن التمسك بالنص ينبغي أن يكون في حيّز الصواب . لقد فطن المحقق لهذا فأشار في هامشه بقوله : لعلها جمع (لم يرد في لسان العرب) أُبْنة ، وهي العقدة والعيب ، والجمع الوارد هو «أُبَن» .

أقول : ما أشار إليه المحقق هو الصواب ، وكان عليه أن يثبته في النص ، ويشير في الهامش إلى هذا الإشكال ، ذلك أن تحقيق النص يعني إثبات حقيقة النص لا إثبات الخطأ .

٥ ــ وجاء فيها أيضاً قول المصنف :

«..... وسَلْ واستَبِينْ ، وخَفْ واستَأمِنْ ، وقَرَّ واطمَأنِنْ ....» .

أقول : إثبات «اطمَأنِنْ» بنونين لغة وليس خطأً ، غير أن اللغة العالية هي الإدغام مع الفتح : «واطمَئِنَّ» ، وقد يوقف عليها بالسكون فيَستقيم بناء الفواصل .

٦ ــ وجاء في (ص ٥١) قوله :

«.... وأتانا من لدنه سوى ما أتانا ! فَعَلنا بذلك كنّا على سكون لا تعتوره حركة ....» .

أقول : ووجه القول : «.... فعلنا بذلك وكنّا على سكون....» .

٧ ــ وجاء في (ص ٥٢) قوله :

«... فإنّ الحركة والسكون ... قد أبْلَيا جِدَّتنا ، وأكَلّا جدّتنا ، وأضعَفا شدَّتنا ....» .

أقول : والصواب : «وأكَلّا حِدّتنا» بالحاء لا الجيم .

وجاء فيها أيضاً قوله :

« .... فأين الأمان وإنّا أُتينا من المأمَن ، وأين المطلوب وإنما عَطِبنا في الطلب ، وكيف الطلب وإنّا هلكنا بالوجدان ....» .

أقول : والصواب : «.... وأين المطلوب وإنّا عطِبنا ....» .

٨ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«وهل لنا من مناص ، وقد أُخذنا بالنواصي» .

أقول : وكان ينبغي أن يثبت المحقق : «وقد أُخذنا بالنواص» ليسلم السجع في النص . ثم إن قول المؤلف : «وقد أخذنا بالنواص» هو من الآية **﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾** ٤١ سورة الرحمن .

٩ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«اليأس ممّا لاينال إحدى الراحتَين» .

أقول : وينبغي أن يشار إلى أصل العبارة وهي في المثل «اليأس إحدَى الراحتين »

١٠ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«ثم نجلس على منابر الرضوان مترملين» .

أقول : والصواب : متزملين .

١١ ــ وجاء في (ص ٥٤) قول أبي حيّان :

«اسمع أيها الجليس المؤانس ... حتى أصف لك تصاريف حالي ... وجميع ما يدلّ على سكري وشكواتي ، وراحتي وبلوايَ ...» .

أقول : والصواب : «شكري وشكواي ...» .

١٢ ــ وجاء في (ص ٥٥) قوله :

«.... والوجد عاملاً عمله بالهزّ والتذكرة» .

أقول : كأن «الهذّ» أولى من الهزّ ، وسرعة القطع مطلوبة أكثر من التحريك وهو من معاني الهزّ .

١٣ ــ وجاء في (ص ٥٦) قوله :

«ولكن مع كلّ خطرة خيال ، ومع كل نظرة وبال ، ولكل اسمان حال ، ولكل مقام مقال ....» .

أقول : من غير شك أن كلمة «اسمان» معدولة عن صحيحها ، وهي مصحفة ، وليس لي أن أقطع بصوابها . وكأن المحقق وجد في نفسه شيئاً فلم يطمئن إلى شيء ودفع ذلك بقوله في الهامش : «الأسمان والأسمال الأثواب البالية» .

أقول : وليس للأسمال من علاقة بما يريده المصنف ، والعبارة السابقة والتي لحقت بعد «الأسمان» لا تومىء إلى هذا الذي أثبته المحقق في تعليقه .

١٤ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... ومع هذا التقديم والتأخير ، ومع هذا التعريف والتنكير ، ومع هذا التسليم والتنقير ....» .

أقول : ورد كل كلمتين على التضاد ، كالتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، ومن أجل ذلك لابد أن يكون التسليم متبَعاً بـ «التنفير» .

١٥ ــ وجاء في الصفحتين (٥٦، ٥٧) أبيات :

وأقول :

أعلّل فيك النفس والنفس صبّة إليك وما تعليلها عنك نافعُ

وأقول :

تواصلُنــــي وتقطعنــــي وتدعــو ثــم تمتنــعُ

وأيضاً :

ويؤنسني وعدٌ كَوَرْدٍ بقيعةٍ متى رمتُه كُلِّفتُ بيداء بلقعا

أقول : إثبات المحقق الفاضل قوله : «وأقول» في أول البيت الأول يوهم أنه شيء من صدر البيت ، وهو ليس منه ، والبيت : «أعلّ فيك النفس ... .» من الطويل .

وكذلك إثباته «وأقول» في أول البيت الثاني يوهم أيضاً أنه شيء من صدره ، وهو ليس منه .

والبيت : «تواصلني وتقطعني ....» من الهزج .

وكذلك قوله في البيت الثالث : «وأيضاً» ليس من البيت .

ومثل هذا قوله : «وأيضاً» في أول بيت في الصفحة (٥٧) : يا قابسَ النار ....

١٦ — وجاء في (ص ٥٧) البيت :

طربتُ ولم أطرَبْ وتمتُ ولم أنم ولم تدرِ ما ألقى ، ولكنني أدري

أقول : والصواب :

طربتَ ولم أطرَبْ ونمتَ ولم أنم ....

١٧ — وجاء في (ص ٥٩) قول المصنِّف :

«الله أسأل أن يزيدك من مواهب الصافية ما تصير به فرداً ، ويوردك من شرائعه الصافية ما تزداد به ربًّا» .

أقول : والصواب : من مواهب الصافية ..... ويوردك من شرائعه الصافية ما تزداد به ريًّا» .

وقد شرح المحقق في حاشية له «الربا» بالكسر فقال : هو الفضل .

١٨ — وجاء في (ص ٦٠) قوله :

« .... وارحَمْ فقرنا في غِنانا ، واحفظ عنانا (كذا) في فقرنا» .

أقول : والصواب : «واحفظ غِنانا في فقرنا» .

١٩ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«..... وظاهر لم تختطفه الخطايا ، وباطن لم ترتدفْه الخطايا» .

أقول : والصواب : لم ترتدفه المطايا .

وقال المحقق في حاشية له : الحطيء الرُّذال من الآدميين ، ثم قال : ولعل أصله : «المطايا» بدليل : ترتدفه ....

أقول : وهو الصواب ، ولِمَ القول : ولعل أصله .... فأين «الحطيء» في هذا النص ؟

٢٠ — وجاء في (ص ٦٠) قوله :

«.... وهو أقرب إلينا من حبل الوريد» .

أقول : وهذا من قوله تعالى : **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** ١٦ سورة ق .

٢١ — وجاء في (ص ٦٣) قوله :

«واصطنعنا على عينك» .

أقول : يومىء إلى قوله تعالى : **﴿واصنع الفلك بأعيننا ...﴾** ٢٧ سورة «المؤمنون» .

٢٢ — وجاء في (ص ٦٥) قوله :

« .... والأحساس في جليّاتها فوضَى مبدّدة» .

أقول : جمع «حِسّ» على «أحساس» مما تفرَّد به أبو حيّان ، ولم يرد في المعجمات .

٢٣ — وجاء في (ص ٦٧) قوله :

«.... وكتب أسماءكم وصفاتكم في ديوان من سبقت له من الله الحُسنَى» .

أقول : وفي العبارة شيء من قوله تعالى : **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحُسنَى﴾** ١١١ سورة الأنبياء .

٢٤ — وجاء في (ص ٦٨) قوله :

«فيا أحبابي ! ارحموني في أوصابي ، ودبِّروا ما بي ، فإني لمسابي [كذا]» .

أقول : وكأني أرى الصواب : فإني لمصابي (؟)

غير أن المحقق قد أشار في تعليق له فقال : ولعل صوابه : لمُسبيَ ، من أسبأ لأمر الله : خضع ، والمعنى أنه ينقاد لهم .

أقول : ولم يبد لي وَجْه فيما ذهب إليه المحقق الفاضل .

٢٥ — وجاء في (ص ٧١) قوله :

«.... لا رائد لي إلّا وهو يكذب ، ولا ذا يد عنّي إلّا وهو يعتب» .

أقول : والصواب : «ولا ذائد عنّي ....» .

٢٦ — وجاء في (ص ٧٣) قوله :

«.... خلّفتنا في ذُراك في أهنأ عيش وأنعم بال ...» .

أقول : والصواب : في ذَراك (بفتح الذال) ، و «الذَرَى» بالفتح هو كل ما استترتَ به . ولا مكان للذُرى بالضم ، فإنه جمع «ذروة» .

٢٧ — وجاء في (ص ٧٤) قوله :

«.... زهّدوك في الدنيا ورغبتَ فيها ، ورغّبوك في الآخرة فزهدتَ عنها...» .

أقول : ونظم الكلام يستدعي أن نقول : «زهّدوك في الدنيا فرغبتَ فيها...» .

٢٨ — وجاء في (ص ٧٥) قوله :

«... كذَّبتك نفسك فصدقتَها....» .

أقول : والصواب : كذَبَتْكَ نفسك ، بالتخفيف .

٢٩ — وجا في (ص ٧٦) قوله :

«.... وبأيّ لطفٍ حاشَكَ ، وبأيّ شيء سكَّر جاشَك ....» .

أقول : علق المحقق على الفعل «سكَّر» فقال : سكر (من باب نصر) : سكَنَ وسكَّر بالتشديد تكون إذن بمعنى : سكن .

والاستنتاج الأخير ممّا توصل إليه المحقق ، والذي أعرفه ، وهو

مثبت في المعجمات ، أنّ : سَكَرت الريح (بالتخفيف) بمعنى سكَنَتَ .
والذي أراه أن الفعل في النص ينبغي أن يكون «سَكَنَ» بالنون ، ذلك أن «سَكَر» بمعنى سَكَنَ قد قُيِّد بالريح ، وفيه وجه من التشبيه يؤدي إلى هذه الدلالة الخاصة ، فأما الجأش فله «السكون» ليس غير .

٣٠ ــ وجاء في (ص ٧٧) قوله :
«.... وإن جَنَحت للسلم تَقَبَّل اللهُ منك ، وإن لُذتَ باللهِ عليك [كذا] ، وإن شكوته مابكَ إلى الله سمعَ شكواك ...» .
أقول : هذه جمل شرطية عطف بعضها على بعض ، وقد جاء مثلها قبلها وبعد في هذا الموضع من الكتاب . والجملة الثانية الشرطية التي أثبتها قد جاءت مفتقرة إلى جواب الشرط ، ولم يشر المحقق إلى هذا النقص ، وهو لو وُجد لكان كقولنا مثلاً : وإن لذتَ بالله «جادَ» عليك .

٣١ ــ وجاء في (ص ٨٠) قوله :
«.... وعلى طلب العاجلة دون املاجلة [كذا] ...» .
أقول : والصواب : دون الآجلة . ولعل هذا من خطأ الطبع .

٣٢ ــ وجاء في (ص ٨٢) البيتان :

حتى متى يسترقُّني الطمَعُ وليس في الكفاف متَّسَعُ
ما أوسعَ الصبرَ والقناعة للناس جميعاً لو أنهم سَمِعوا

أقول : وهما من مُخلّع البسيط ، وقد جاء صدر البيت الثاني ناقصاً ووجهه :

ما أوسَعَ الصبرَ والقناعة للنا س جميعاً لو أنهم سمعوا

٣٣ ــ وجاء في (ص ٨٥) قوله :
«يا هذا ! بأيّ قوّةٍ أُنعِشُكَ عن صرعتك ....» .
أقول : الفعل هو «نَعَش» ثلاثي في استعمال ، وإن أُثبت في المعجمات المزيد المهموز «أنعَشَ» ، ذلك أنه قليل ونادر ، والأمر معكوس في العربية المعاصرة . ومن هنا كان الأولى إثبات الثلاثي فنقول : بأيّ قوّةٍ أنعشك .

٣٤ ــ وجاء في (ص ٨٨) قوله :
«.... واقتحمت الجمر المسعر ... وآويت إلى المزابل ...» .
أقول : والصواب : وأَوَيت إلى المزابل ، لأن الثلاثي اللازم هو المطلوب .

٣٥ ــ وجاء في (ص ٨٩) قوله :
«..... وإذا حَضَرتَ مجالسهم لم يُفسحوا...» .
أقول : والصواب : لم يَفسحوا ، والثلاثي هو المطلوب ، ولم يستعملوا «أفسَحَ» .

٣٦ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :
«.... ولولا ما تجرَّعت من جَزَع البأساء والضرّاء.....» .
أقول : والسياق يقتضي : «جُرَع البأساء ....» .

٣٧ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :
«.... أردتُ بهم أنهم لا يطمئنّوا إلى نعيم العاجلة ...» .
أقول : والصواب الذي يقتضيه بناء الجملة هو : أردت لهم أن لا يطمئنّوا .... والدليل : أن الفعل كما أثبته المحقق محذوف النون فلابد أن يتقدّمه ناصب أو جازم ، ومن هنا جاء «أنهم» والصواب : أن الناصبة .

٣٨ ــ وجاء في (ص ٩٠) قوله :
«بقي الآن أن تتحوّل عنه إلى غيره ليكون لي في القول ولك في الاستماع طُوفان في أرجاء الحكمة....» .
أقول : والمراد : الطَوَفان ، بفتحتين ، وهو المصدر الدالّ على الحركة والتقلب كالطَيَران والجَوَلان وغيرهما ، فأما «الطُوفان» بضم الطاء ، وهو زيادة الماء ، وحادثة الطُوفان التاريخية معروفة .

٣٩ ــ وجاء في (ص ٩١) :
﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص﴾ .
أقول : وهذه الآية (٢١) من سورة إبراهيم ، وقد أدرجت في نص الكتاب على أنها من كلام المصنف ، وكان ينبغي أن يشار إلى أنها آية كريمة .

٤٠ ــ وجاء في (ص ٩٣) قوله :
«.... أم أنت من هذا الورى نديم السُّرى ، ولا تحمد صباح المسرى ...» .
أقول : وفي قول المصنف : «لاتحمد صباح ....» إشارة إلى المَثَل :
«عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرى» .

٤١ ــ وجاء في (ص ٩٤) قوله :
«.... وإنْ ملّت ملّت استللالا ، وإنْ طمِعَت طمِعَت مصانعة، وإنْ تَسَلّت قانعة» .
أقول : والجمل شرطية ، وقد جاءت الثالثة مفتقرة إلى جواب الشرط ، والوجه : وإنْ تَسَلّت «تَسَلّت» قانعة .

٤٢ ــ وجاء في (ص ٩٤) أيضاً قوله :
«... وتيه يهيج الحاسد على الحسد ، وينفث النفّاثات في العُقَد....» .
أقول : وفي قول المصنف : «ينفث ....» شي من قوله تعالى :
﴿ومن شرّ النفاثات في العقد﴾ ٤ سورة الفلق .

٤٣ ــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

لا تعجبنّ فإني قد ذَهِبتُ كما يُذْهَى سواء الدجى من شقرة الشفقِ

أقول : وقد شرح المحقق الفاضل الفعل «ذَهَى» بمعنى تكبر ، وضبط الفعل «يُذهَى» بضم الياء وبناه للمجهول ، وصوابه «يَذْهى» بفتح الياء مبنياً للمعلوم .

وكأني أراه قد صُحِّف عن الفعل «زُهِيَ» ، وقد يكون لي أن أذهب إلى هذا لأن معنى التكبّر يقتضي حرف الجر «على» .

و«سواء الدجى» صوابه «سواد الدجى» .

٤٤ — وجاء في (ص ٩٥) قوله :

«.... فعندها صرختُ مستغيثاً وقلت : فما حيلة مَن إنْ أدنيتَه أبلَيتَه ، وإن أخفيتَه جلّيتَه ، وإن غرّيتَه حلّيته ، وإن واريته أريته ....».

أقول : والكلام يشتمل على جمل شرطية جاء فيها فعل الشرط مضاداً في معناه للجواب ، وعلى هذا كان ينبغي أن يكون الكلام : مَن إن أبَنْتَه أبليتَه .

أقول : ويدلّ على هذا الجملة الثانية التي جاءت : وإن أخفَيتَه جلّيتَه ، والإخفاء ضد الإبانة .

وجاءت الجملة الثالثة : وإن غرّيته حَلّيته .

أقول : وسياق الجملة أن الفعل الأول لابد أن يأتي عكس الفعل الثاني ، ومن هنا لابد أن يكون الصواب : وإن عَرَّيتَه حلّيتَه ، والعُرْيُ ضد الحلية .

٤٥ — وجاء في (ص ٩٦) قوله :

«.... فليصحّ الطلوع على المراد بلا حاجز يُؤذي ولا ظنٌّ يَقذي....».

أقول : الفعل هو «قذِيَ» مثل «نَسِيَ» وليس «قَذَى يَقذي» . وكان الصواب أن يكون الفعل رباعياً ليتحول من اللزوم إلى التعدّي ، فيكون : ولاظنّ يُقذي ..

٤٦ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... فليعتدل التقاتل من أجله ، الذي همت الدموع بالعريق ، والتَهَبَت الضلوع بالحُرَق...» .

أقول : وينبغي أن يكون وجه الكلام : الذي همت فيه الدموع بالعَرَق ، والتَهَبَت الضلوع بالحُرَق ..

٤٧ — وجاء في (الصفحة ٩٧) قوله :

«.... ومفرّقك وجامعك ، وضارُّك ونافعُك ، ومُغرّبك ومُبعدك....» .

أقول : وبناء الكلام يقوم على المقابلة بين كل كلمتين فإحداهما عكس الأخرى ، ومن هنا كان الوجه أن يقال : ومقرّبك ومُبعدك ، والتقريب ضدّ الإبعاد .

٤٨ — وجاء في (ص ٩٨) قوله :

«.... أعني بالآثار ما أنت به تَخلّق ، وأعني بالأخبار ما أنت به ربّ...» .

أقول : وليس من وجهٍ في كلمة «تَخلّق» وأراها «خليق» .

٤٩ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... أرسِل حافي [كذا] وأطلبْ منّي ما أملك....»

أقول : وقد علق المحقق على كلمة «حافي» وقال : لعلها حسابي . وهذا وجه حسن ، ولعل أولى من ذلك «حقّي» ، إذ ليس في السياق ما يشعر بالحساب .

٥٠ — وجاء في (ص ٩٩) قوله :

«ولا بد من الانحراف عنه ... عن نيّة التائت في العبادة ، وعن حالِ رائتٍ في تحقيق الزهادة» .

أقول : لا وجه لقوله : «رائتٌ» ، ولعلها مصحّفة عن «رثّتْ» .

٥١ — وجاء في (ص ١٠٠) قوله :

«... واجعل أرواحنا مغارس معرفتك ، وألسنتنا قواطف وصفك ، ونعتك [كذا] في قدرتك وحكمتك....» .

أقول : لعل الصواب : وأعِنّا في قدرتك ....

٥٢ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... وإذا افتقرنا فأغنِنا ، وإذا بنا [كذا] منك فصلِنا بك ....» .

أقول : والمقابلة التي درج عليها أبوحيان قد تكون وسيلة إلى إصلاح ما أخلّ به الناسخ . والذي أراه مثلاً أن يكون النص في هذا المعنى : وإذا ابتعدنا عنك فصِلنا بك . وقد كان على المحقق أن يشير إلى هذا الإشكال .

٥٣ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«... الراعي للقليل من الحرمة ، المتمكّن في درجات المعارف ، المنجوّ [كذا] من سكرات المتالف ...» .

أقول : وقوله : «المنجو» كلمة معدولة ، والصواب غيرها ، ولم يتوقف فيها المحقق .

٥٤ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... متى انفتح بصرك لطلب حياة نفسك ، وانشرح صدرك في تعرّف كالك وفضلك ، وانجابَ عنك غيابتك ، فبدت لروحك منك غايتك...» .

أقول : والصواب أن جملة «وانجابَ ....» لابد أن تكون جواب متى» .

٥٥ — وجاء في (ص ١٠١) قوله :

«.... وإن مرضتَ فلا تَستَشفِ استشفاء المترفين ، وإن ملِلتَ فلا تستكفّ استكفاء المتعيّفين» .

أقول : والصواب : تستكِف ، وبهذا تتفق مع «تَستشفِ» ، ولا

مكان لـ «تستكفّ» الفعل المضعف ، ويدل على ذلك المصدر «استكفاء» والفعل له استكْفى يستكفي .

٥٦ ــ وجاء في (ص ١٠٢) قوله :

«.... أما أزاحَ علّتك ، أما وفّرَ طاقتك ، أما ....» .

أقول : والصواب : وَفَّر طاقتك .

٥٧ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«ولكن الإنسان لربه لكنود» .

أقول : وهذا من قوله تعالى ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ ٦ سورة العاديات .

٥٨ ــ وجاء في (ص ١٠٣) قوله :

«.... وإن ارفأنّ جأشك فليُذقكَ خصوصية أنسه ...» .

أقول : وقد علق المحقق على «ارفأنّ» فجاء بالكلام على رَفَأَ وأرفأَ ثم ختمه بشرح «ارفأنّ» .

وهذا قد ورد في المعجم القديم مما اقتضته صنعة المعجم ، والحقيقة أن مادة «ارفأنّ» لا علاقة لها بـ «رفأ» ، وإن كان معناهما يكاد أن يكون واحداً .

٥٩ ــ وجاء في (ص ١٠٤) قوله :

«.... وامتزج الخبلأ [كذا] بالعيان» .

أقول : والصواب : وامتزج الخيال بالعيان ، ولعل ذلك من خيال الطبع .

٦٠ ــ وجاء في (ص ١٠٥) قوله :

«ها أنا أصرّح فأقول ....» .

أقول : نصَّ أهل العربية على أن «ها» للتنبيه المتبعة بـ «أنا» لابد أن يليها «ذا» للإشارة ليتم معنى التنبيه . والذي أراه أن «ذا» كانت في نص التوحيدي ، وقد سقطت لدى ناسخ الكتاب .

٦١ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«... عوجا على رسم جسمي فخذا حظّكما منه بقَسَمي [كذا] ورَسْمي» .

أقول : والصواب : بقَسْمي [بسكون السين] ، إذ لا مكان للقَسَم .

٦٢ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«يا حسرات القلب تَحرَّق ، يا أستار الضمير تهتّكي ....» .

أقول : والصواب : تَحَرَّقي .

٦٣ ــ وجاء في (ص ١٠٦) قوله :

«وكُلٌ عندك رهين ، وبعضٍ بسوء إغفالك مُهين» .

أقول : والصواب : مَيهن ، وهو اسم مفعول من الثلاثي ، فأما «مُهين» فهو اسم فاعل من الرباعي «أهان» ، وهو شيء لا يقتضيه المعنى .

٦٤ ــ وجاء في (ص ١٠٧) قوله :

«... فأْمَنْ الآن ــ أحاطك الله ــ على دعائي ، ونقرّب أذنك من ندائي ...» .

أقول : قوله : «فأْمَنْ» معناه : قل : آمين . والصواب : وقرِّب أذنك ، ولا معنى لقوله : نقرّب .

٦٥ ــ وجاء فيها قوله :

« ... لأنه نازح عن وفائك ، عارٍ عن عطائك ، حالِ بولائك ، فانٍ ببلائك ....» .

أقول : والصواب : خالٍ بولائك .

٦٦ ــ وجاء في (ص ١٠٨) قوله :

«اللهم غَفري ، بلى هناك ما يطوّح نطق كل ناطق ....» .

أقول : ليس من وجه في إضافة «غَفْر» إلى ياءِ المتكلم ، والصواب : غَفْراً ، وليس من مكان لـ «بَلَى» وهي حرف جواب عن نفي ، والصواب : بل للإضراب . ومن العجيب أن المحقق قد أثبت في تعليقه أن في أصل المخطوط : بل ، ولكنه لم يتنبّه فيُفِدْ من ذلك .

٦٧ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... وإنما هي هبّات نسيم زفّت فترنحت ... من رام الخير عنها تاه ، ومن حدّث نفسه بالظفر شاه»

أقول : ووجه النص :... ومن حدّث نفسه بالظفر [بها] شاه .

٦٨ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... فالزمان لا يرسمه سَيحاً ، والخاطر لا يُجتاز سَنْحاً» .

أقول : والوجه أن يقال : فالزمان لا يُرسَمُ ....

٦٩ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

فُطوبى لمن بُصِّر فأبصرَ .... وجُلّيَ فتاتين [كذا] ....

أقول : ولعلّ الوجه : وجُلّي فتَبيَّن ...

٧٠ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

وطوبَى لمن سمع به فسأل عنه ..... وشُرِّق [كذا] في محلّ فاشتاق ....» .

أقول : والصواب : وشُوِّق ....

٧١ ــ وجاء في الصفحة ١٠٩ قوله :

«..... فنشبت معك في فنو [كذا] تضلّ فيه ضروب الخلق أجمعين» .

أقول : ولعلّ الصواب : في فنٍّ تضلّ ....

٧٢ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«فإن كان ما لغوتُ ظنّاً منّي فيك فارفعه ببِشْر عند اللقاء .... أو بفَرَج عند البأساء أو برقة عند الضرّاء ...» ، أو بزورة عند شدة الغماء ....» .

أقول : ولعل الصواب : ..... أو برِفْقٍ عند الضرّاء ، أو بزورة عند شدّة العَماء .

٧٣ ــ وجاء في (ص ١١٠) قوله :

«... طُلبتَ فلم توجد ، ووُجتَ [كذا] فلم تُعرَف ...» .

أقول : والصواب : ووُجدْتَ ....

٧٤ ــ وجاء في (ص ١١٣) البيت :

إن الغريــبَ بحيــث ما حَطَّتْ ركائبه ذليــلُ

أقول : وهو من الكامل ، وصدره : «إن الغريب بحيثُ ما» .

٧٥ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«وإنْ ظَهَرَ ظَهَرَ ذليلاً ، وإن توارى عليلاً» .

أقول : ووجه الكلام : .... وإنْ توارَى توارَى عليلاً ...

٧٦ ــ وجاء في (ص ١١٤) البيت :

بِمَ التعلّلُ ! لا أهل ولا زمَن ولا نديم ولا كأس ولا سَكَن

أقول : وقد جَرىَ المحقق على إثبات القائل للأبيات التي اهتدى إلى معرفة أصحابها مشيراً في الهامش إلى الديوان مثلاً .

وهذا البيت مطلع قصيدة للمتنبي ، وهو مشهور على كل لسان ، إلّا أنه لم ينسبه إلى المتنبي . وروايته في الديوان :

بِمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ....

٧٧ ــ وجاء في (ص ١٢١) قوله :

«... هي والله حال مَن ذاقها عرف ، ومن انتهى عنها وتقف [كذا] ابتدأ الحنين إليها وتشوَّف» .

أقول : ولعل الصواب : ومن انتهى عنها وتَوَقَّفَ ...

٧٨ ــ وجاء في (ص ١٢٢) قوله :

«.... فإن أردت أن تشبَع وتَروِي ، وتَتَخلَّصَ من فنون القول وتُكفَى ...» .

أقول : والصواب : وتَرْوَى .

٧٩ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«.... ولا مرشد إلا من أخذ بدك [كذا] من الظلمات ...

أقول : والصواب : أخذ بيدك ...

٨٠ ــ وجاء في (ص ١٢٣) قوله :

«.... أهكذا يكون مَن تمرَّغ في نِعَمه صباحاً أو مساء ؟ أهكذا يكون مَن بودى [كذا] بالآية مشبّها أو نائماً ..» .

أقول : ولعل الصواب : مَن تمرَّغ في نعمه صباحاً ومساءً ، أهكذا يكون مَن نُودِيَ بالآية مشبّهاً (؟) أو نائماً ...

٨١ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«سَلْه فإنه لن يُفتَح بابُ المسألة منه إلّا ويُدرّ أخلافَ بِرّه من لدنه» .

أقول : والصواب : ..... إلّا تَدرّ أخلاف بِرّه من لدنه . وفي هذا يجب أن أشير إلى أن الفعل هو «دَرَّ» الثلاثي ، والأخلاف هي التي تدرّ . ثم إن صدر الجملة الحالية بعد إلّا الاستثنائية لاترتبط بالواو إذا كانت جملة فعلية ، قال تعالى : **﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾** ٥ سورة الشعراء ، والشواهد في لغة الذكر كثيرة .

٨٢ ــ وجاء في (ص ١٢٦) قوله :

« ... ألا مُقتَدي ..... ألا مُنتَحي .... ألا مُصغي لعتاب الله ...» .

أقول : والصواب : مُقتدٍ ، ومُنتحٍ ، ومُصْغٍ . لأنه اسم فاعل من الناقص .

٨٣ ــ وجاء في (ص ١٢٧) قوله :

«.... تيهاً به ، وثقة بوعده ، ورضاً بفعله ، وحطاً في اختياره ...» .

أقول : ولعلّ الصواب : حظاً في اختياره .

٨٤ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«... وإذا أومأت اكتفيتَ ، وإذا أشرتَ بلّقت (؟) .

أقول : والصواب : وإذا أشرت بلّغتَ .

٨٥ ــ وجاء في (ص ١٣٠) قوله :

«.... أليس ينبغي أن يكون له الشفّ والفضل والموية ...» .

أقول : لعل الصواب : ... الفضل والمنّة (؟) .

٨٦ ــ وجاء في (ص ١٣٨) قوله :

«.... فإنك تأن [كذا] لم تأخذ عتاد الأخر قبل إطلاله أعجلك إطلاله عن إرساله» .

أقول : والصواب : فإنك (إنْ) لم تأخذ ....

وأتساءل : هل لي أن أحمل هذه على الخطأ المطبعي الذي حملت عليه الكثير مما لم أذكره في هذا التعقيب .

٨٧ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«هذا منتهى قولي لك ... بعد التياث وتقاعُس ... فاسعو [كذا] أبقاك الله بما أمرتك بذلك ...» .

أقول : انتبه المحقق للكلمة المعدولة عن حقها وهي «فاسعوا» فقال في الحاشية : كذا في الأصل ، فهل أصلها : فاسعد .

نعم إن أصلها الحقيقي «فاسعد» كما يشير السياق . وإذا كان هذا فهل يعني التحقيق إثبات الخطأ الواضح الذي يشير إليه السياق .

٨٨ ــ وجاء في (ص ١٤٣) قوله :

«يا هذا ! حواجز الكون معترضة دون على [كذا] الغش بزينة الكون» . أقول : علّق المحقق على الإبهام في العبارة فقال : ولعلها

دون البصيرة على .. إن فطنة المحقق لما عرض للنص من إشكال يضطره أحياناً في غير هذا الموضع إثبات الخطأ الفاضح .

٨٩ — وجاء في (ص ١٤٥) أبيات لأبي العتاهية جاء فيها :

إني رأيت عواقب الدنيـــا فتركتُ ما أهوَى لِما أخشى

فكرّت (كذا) في الدنيا وجدّتها فإذا جميع جديدها يبلَـى

أقول : الوزن هو من الكامل ، وهذا يقضي أن يكون البيت الثاني :

فكّرت في الدنيا ....

ولا أدري لم تصرّف المحقق فأثبت أبيات أبي العتاهية على طريقة أصحاب «الشعر الحرّ» !

٩٠ — وجاء في (ص ١٤٧) البيت :

وإذا نظرتَ ترى مُعتبـرَاً انظر إليك ففيك معتبَـرُ

أقول : والصدر مختلّ الوزن ، ولعله كالآتي :

وإذا نظرتَ تريد [أو تروم] مُعتبَراً فانظرْ إليك ففيك معتبَر

ويقوي هذا البيت الذي يسبقه وهو :

وإذا جهلتَ فلم تجد خبَراً فسَلِ الزمانَ فعنده الخبَرُ

٩١ — وجاء في (ص ١٥٢) قوله :

«... فاجهَدْ أن تكون مقبولاً لا مردوداً ، ومجموعاً لا مفرَّقاً ... وساطعاً لا كاسفاً ، ومطمئنّاً لا حجاً [كذا] » .

أقول : لم أر وجهاً لـ «حجاً» بعد كلمة «مطمئن» ولعلها : حرجاً (؟) .

٩٢ — وجاء في (ص ١٥٣) قوله :

«... فوحقّكَ ما استرسلتُ هذا الاسترسال ، ولا خيتُ [كذا] عنان القول على هذا المقال ، إلا لأني .....» .

أقول : كنت أتوقع أن يقف المحقق على «خيت» وهي مصحّفة من غير شك ، ولكنه لم يفعل .

٩٣ — وجاء في (ص ١٥٨) قوله :

«... ورُبَّ فضيلة مُستملاة من أخذهم [كذا] » .

أقول : لعلها : من أحدهم .

٩٤ — وجاء في (ص ١٦٠) قوله :

«هو مالك الظل إنْ شاء قلّص وإن شاء أسبَغ ، وهو العالم بالحال (وإن) شاء قَطَعَ وإن شاء أبلَغ» .

أقول : والصواب : ... وهو العالم بالحال إن شاء قطع ...

٩٥ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«وطوبى لمن إذا فقد سبيلاً ، وإذا عَدِم قِلّى ، بل طوبى...» .

أقول : إن «إذا» مفتقرة للجواب ، وعلى هذا فالوجه أن يقال : وطوبى لمَن إذا فقد سبيلاً عَدِمَ قِلّىً ، والمعنى أن المفتقر ينبغي له ألا يُبغض غيره بسبب فقره .

٩٦ — وجاء في (ص ١٦٤) قوله :

«والويل لمن ييأسَنّ من روح مع سعته ، أو قَنِطَ من عفو الله مع اشتماله» .

أقول : والدعاء لا يقتضي توكيد الفعل ، ثم إن الفعل المعطوف «قَنِط» جاء بصيغة المضيّ ، ولذلك فالصواب : والويل لِمن يَئِسَ من روح الله ....

٩٧ — وجاء في (ص ١٧١) قوله :

«اللهم إنّا إليك نفزَع ، وفي رياضك نرتَع ، وصون رضاك نتوقّع ، وثوب خدمتك نتدرَّع » .

أقول : ولابد أن يكون : وصوبَ رضاك نتوقّع ...

٩٨ — وجاء في (ص ١٧٢) قوله :

«.... قد بَلينا فجدّدْنا ، وتلّينا [كذا] فسَدّدْنا ، ونُكِبْنا فأنعِشْنا ....»

أقول : لابد لي أن أقرأ : وتُلِبْنا فسدَّدْنا ، إذ لا معنى لما ورد «وتلّينا» .

٩٩ — وجاء فيها قوله :

« ... وعُطِّلْنا فحَلّنا ، وأفغِلنا فسَمّنا ...» .

أقول : والصواب : وأُغفِلنا فسَمّنا ...

١٠٠ — وجاء في (ص ١٧٤) قوله :

«... إنْ أنت إلّا بلاء عن نفسك» .

أقول : والصواب الذي يقتضيه السياق قبل وبعد ، هو : بلاء على نفسك .

١٠١ — وجاء في (ص ١٧٥) قوله :

«وآن لك أن تثوب إلى سيرتك الحُسنى التي كانت عليها قاعداً أو قائماً» .

أقول : والصواب : التي كنتَ عليها .....

١٠٢ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«... ولا نفس تخشع لما فاتها .... إنماه [كذا] قِحة وجرأة» .

أقول : والصواب : إنما هي ....

١٠٣ — وجاء في (ص ١٧٦) قوله :

«... وما يُلتَقَى التفاتة منك إلى نجاتك ....» .

أقول : والصواب : التِفاءة ...

١٠٤ — وجاء فيها أيضاً قوله :

«لكنْ ران على قلبك ما كسبَت يداك ، وخدَعَك عدوّ الله وأردك [كذا] .

أقول : وقد علّق المحقق فقال : في الأصل : وأرادك ، ولكنه أثبت خطأً جديداً .

والصواب : وأرداك ، وبهذا يستقيم بناء الفاصلتين المسجوعتين : «يداك» و «أرداك» .

١٠٥ ــ وجاء في (ص ١٨١) قوله :
« ... وإذ عَنَت النفس الإباءة [كذا] على مداهشها ...» .
أقول : والصواب : النفس الأَبَّاءة .... أي بصيغة المبالغة «فعّالة» من «أَبَى» .
١٠٦ ــ وجاء في (ص ١٨٢) شطر بيت اختلف في نسبة القصيدة التي ورد فيها ، وهو :
«بكلٍّ تداوينا فلم يشفَ ما بنا» .
أقول : وقد علّق المحقق فقال : «نصف بيت شعر» ، ولو أنه قال : شطر لكان له ذلك ، ولو أنه من أهل الصنعة لقال : صدر بيت . وهذا الصدر من مقطوعة وردت في ديوان ابن الدمينة ، وكذلك في الأغاني ، وديوان الحماسة وقد نسبت إلى يزيد بن الطثرية في ذيل الأمالي ، كما نسبت إلى المجنون ، انظر حاشية المحقق .
١٠٧ ــ وجاء في (ص ١٨٣) قوله :
﴿ قُتِلَ الخَرّاصون ، الذين هم في غمرة ساهون ...﴾
أقول : وهذا هو نص الآية ١٠ من سورة الذاريات .
١٠٨ ــ وجاء في (ص ١٨٦) قوله :
«وقد قيل : وآخر ما يبقى من الذاهب الذكرُ»
أقول : وينبغي أن يشار إلى أن هذا شطر بيت .
١٠٩ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :
« ... فجودك فائض ، وخزائنك ملأى ، وحكمك نافذ ، وملك عظيم ...»
أقول : والصواب : وملكك عظيم ...
١١٠ ــ وجاء في (ص ١٨٧) قوله :
«يا هذا إلى متى تنافس أهل الدنيا في الدعوى ، لِمَ لا تنظر إلى حالك في العُقْبى ! لِمَ لا تَسلك الطريقة المُثلى ، لِمَ لا تلتمس (ماربك بالحسب) [كذا]» .
أقول : ولعل الوجه : لِمَ لا تلتمس مآربك بالحسنَى . وبهذا تنتظم الفواصل .
١١١ ــ وجاء في (ص ١٩٠) قوله :
«والأحساس تكون خاثرة ، وفي خثورة الأحساس زكُوّ الرأي ...» .
أقول : قلت في أول هذا التعقيب إن أباحيان قد ولّد هذ الجمع ، واستعمله كثيراً وإن لم يرد في المعجمات ولا في نثر غيره من كبار الكتّاب على ما أعلم .
١١٢ ــ وجاء في (ص ١٩٩) قوله :
«... وبنارك نصطلي مقرونين ... وبك نعتصم متحبرين ...» .
أقول : وقد توقّف المحقق في «مقرونين» فقال : ولعل أصلها مقرورين أي مصابين بالقر وهو البرد.
أقول أيضاً : لقد فات المحقق الفاضل أن عبارة التوحيدي تومىء إلى قوله تعالى :
﴿وتَرَى المجرمين يومئذٍ مقرَّنين في الأصفاد﴾ ٤٩ سورة إبراهيم .
وقال تعالى : ﴿وآخرين مقرَّنين في الأصفاد﴾ ٣٨ سورة ص .
وليس لنا أن نهرعَ إلى «مقرورين» أي المصابين بالقرّ ، أي البرد كما ذهب المحقق . وأراها مقرَّنين . ثم إن «متحبرين» لا وجه لها ، وهو ما أثبته المحقق ، ولكنه قال في الحاشية : لعلها متحيّرين . أقول : وكان عليه أن يثبت «متحيّرين» ويشير إلى ذلك في حاشيته .
١١٣ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :
«اللهم إن معرفتنا بك بعدنا [كذا] عنك ، ومخالفتنا لك تؤنسنا منك ، وإناختُنا بِفنائك يطمعنا في روح رضوانك ...»
أقول : والصواب : إن معرفتنا بك (تُبعدنا) عنك ، بدلالة «تؤنسنا» في الجملة بعدها .
والصواب أيضاً : تطعمنا ، والفعل فاعله ضمير يعود على مؤنث سابق ، وهو «إناختنا» .
١١٤ ــ وجاء فيها أيضاً قوله :
« ... أيها العامل المكدود كم تغتَرّ وقد أحبَطَ رؤياك عملُك عليك ...» .
أقول : وقد استعمل أبو حيّان «الرؤيا» بمعنى الرؤية ، وهذا يدل على صحتها خلافاً لما يذهب إليه المتشبثون باللغة في عصرنا .
١١٥ ــ وجاء في (ص ٢٠٠) قوله :
«.... أنتَ رقيبة على نفسه وأنت لا تشعر ...» .
أقول : وفطن لهذه الإحالة المحقق فقال : ولعلّ صوابه : نفسك .
أقول أيضاً : يلح المحقق فيثبت الخطأ الظاهر ، وهو ينظر إلى الصواب ، وكان عليه أن يتوقف في «رقيبة» والصواب : رقيب .
١١٦ ــ وجاء في (ص ٢٠١) قوله :
«.... وحلمتَ بكرامة لا هبوب منها ، وحُلّيتَ بحيلةٍ لا تكشُّف بعدها» .
أقول : والصواب : بحلية ....
١١٧ ــ وجاء في (ص ٢٠٢) قوله :
«خلقناك عبداً فتبرَّيت لتكون ربّاً ...» .
أقول : وتوقف المحقق في «فتبرَّيت» وقال : لعلّ صحته : فانبريت .
ولكني أرى أن يكون في مكانها فعل يؤدّي ما يؤدّيه «تكبَّرتَ» .
١١٨ ــ وجاء في (ص ٢٠٥) قوله :
«هو هو لا بانقسام الإشارة النفيسة ، ولكن هو هو بالتمام الإشارة العقلية» .
أقول : والصواب المراد : الإشارة النفسية ، والفاصلة تقتضي ذلك ، وقال المحقق في تعليقه : ولعل صوابه : النفسية . أقول : وكان خليقاً به أن يثبت هذا في النص .

١١٩ ـــ وجاء في (ص ١٠٩) قوله :

«.... واصرف عنا كتيل [كذا] صارف عن بابك ، وأجِلْ نواظرنا ...» .

أقول : ولم أر وجهاً لـ «كتيل» ، وهي من غير شك معدولة عن أصلها ، ولكن المحقق لم يشر إليها .

١٢٠ ـــ وجاء في (ص ٢١٠) قوله :

«... وتارةً أُحَبِّب إليك ربَّك لتُسارع إلى طاعته ،... وتارة أنفضك عليك .....» .

أقول : وقد علّق المحقق فقال : الأصل : أنقصك عليك .

أقول أيضاً : وهذا عندي أولى مما اجتهد فيه وأثبته في النص .

١٢١ ـــ وجاء في (ص ٢١١) البيت :

يا ساكن الدنيا ألم ترَ زهرةَ الدنيا على الأيام كيف تصيرُ

أقول : وقد أطال المحقق صدر البيت وضمَّ إليه شيئاً من العجز ، والوجه أن يكون :

يا ساكنَ الدنيا ألم ترَ زهرة الدنيا على الأيام كيف تصيرُ

والبيت مدوّر ، والصدر ينتهي بالدال من كلمة «الدنيا» .

١٢٢ ـــ وجاء في (ص ٢١٢) قوله :

«أطال الله ، أيها الشيخ بقاءك ، ولا غبطة في البقاء ، وأدام صفاءك وكلَّ العيش في الصفا» .

أقول : وقد علّق المحقق على «الصفا» فقال : إما أن تكون ممدودة ، وحينئذٍ يكون «كل العيش» بالفعل «أدام» أو تكون مقصورة ، جمع صَفاة أي الحجر الصلد الضخم ، وحينئذٍ تكون «كل العيش» مرفوعة على الاستئناف ، لأنها مبتدأ ، ويكون المعنى هو : كل العيش في خشونةٍ وقسوة وصَلابة وشقاء .

أقول : إن نظام الفواصل يقتضي مدّ «الصفا» فيتوفر لأبي حيان السجعة التي قصد إليها ، ثم إن الكلام النحوي الذي أفاض فيه المحقق فاسد لا يُرضي شُداة طلاب النحو ، ثم إن الشرح والذهاب إلى أن «الصفا» جمع لـ «صفاة» ، وما خلص إليه من المعنى فمن المحال الذي لم يقصد إليه أبو حيّان .

١٢٣ ـــ وجاء في (ص ٢١٣) قوله :

«.... ولا أزَلَّ بكَ القَدَم ، ولا استتَبَّ فكَ الهِمَم ...» .

أقول : والذي بدا لي أن الوجه : «ولا أتَبَّ فيك الهمم» إذ لا وجه لـ «استتبَّ فكَ» .

١٢٤ ـــ وجاء في (ص ٢١٨) قوله :

«... فإنْ نَبَست بكافٍ أو ميم أو بحاء أو بجيم فُدِمَ فوكَ بك فُضَّ ، ورُدِمَ كَفُك بل رُضَّ» .

أقول : والوجه أن يقال : .... فُدِمَ فوكَ بل فُضَّ ...

١٢٥ ـــ وجاء في (ص ٢٢٣) قوله :

«فهجِّيراها فب [كذا] ليلها ونهارها قولها .....» .

أقول : والصواب : في ليلها ...

١٢٦ ـــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«... وأمْ ؟ ك لي ...

أقول : هذه معميّات كان على المحقق في الأقل الإشارة إليها .

١٢٧ ـــ وجاء في (ص ٢٢٤) بيت العباس بن الأحنف الذي ورد ناقصاً في (ص ١٣٥) ولم يشر المحقق إليه وهو :

كأني ذبالـــــــــة نُصبَتْ تضيء للناس وهي تحترقُ

وهو هنا كامل :

صرتُ كأنيّ ذبالة نُصِبَتْ ....

١٢٨ ـــ وجاء في (ص ٢٣١) قوله :

«.... فالقول لا يأتي على حقّك في نعتك ، والضمير لا يحوْ بكُنهك» .

أقول : وكأن الوجه : لا يجيء بكنهك .

١٢٩ ـــ وجاء فيها أيضاً قوله :

«... أنا أنسى ما جدتَ به عليّ في القدم ، حيث أنا ليس [كذا] وفي العدم ..» .

أقول : وقد توقف المحقق فأثبت في حاشية له : ليس معدوم !! ، وماذا نفيد من هذه الحاشية !

١٣٠ ـــ وجاء في (ص ٢٣٧) قوله :

«... فهذا جوابك التي أجابني إليه بغيتك ...»

أقول : وقد توقّف المحقق فقال : كذا في الأصل ، وقول المحقق هذا لا يعفيه من إثبات الخطأ ، والوجه أن يقال : فهذا جوابك الذي أجابتني إليه بغيتك .

١٣١ ـــ وجاء في (ص ٢٥٢) قوله :

«... وفي شحذ بصائرنا إذا أكلت فينا» .

أقول : والصواب : إذا كلّت ...

١٣٢ ـــ وجاء فيها أيضاً قوله :

« ... فإن الإنسان يُؤتى عند ذاك من مأمنه ...» . أقول : وأصل هذا المثل : «يؤتى الحِذر من مأمنه» .

١٣٣ ـــ وجاء في (ص ٢٥٥) قوله :

«لا تحكم عن نفسك إذا غَبّنتك بغضها إذا أرشدَتكَ» .

أقول : ولعل الوجه : لا تحكم على نفسك ... ولا تبغضها .

١٣٤ ـــ وجاء في (ص ٢٦٠) البيت :

غُرَّ امرؤ منَّته نفس أن تدوم للسلامة

وقد أدرج البيت في النص على أنه نثر وليس بيتاً ، وهو من مجزوء

الكامل ، وصوابه ، وبه يستقيم الوزن :
غُرَّ امــرؤ منّتــه نفــــ ــسٌ أن تدومَ إلى السلامة
١٣٥ ـــ وقد جاء في (ص ٢٦٢) كلام كثير معدول عن جهته ، وأكتفي بالإشارة إلى موضعه .
١٣٦ ـــ وجاء في (ص ٢٦٥) قوله :
«... وتفرَّد بخوائضه أمرك ...» .
أقول : لعلة : بخاصة أمرك .
١٣٧ ـــ وجاء فيها قوله :
«... لكنك في سكرتك عامة [كذا] ، وفي صحوتك من خمارك واله ...» .
أقول : والصواب : عامِه ، من العَمَه .
١٣٨ ـــ وجاء في (ص ٢٧٣) قوله :
«فما أفوزَ قَدَحَك فيما أنت مخصوص به عند ربك ...» .
أقول : والصواب : قِدْحَك ، والقِدْح واحد القِداح ، وهي السهام تُرمَى في الميسر .
١٣٩ ـــ وجاء في (ص ٢٧٥) قوله :
«اتَّق الله تجدْ حلوة ، وعاقبته محمودة» .
أقول : ولابد أن تكون كلمة «تقوى» قد سقطت ، والوجه : ... تجد تقواك حلوة ، وعاقبتها محمودة .
١٤٠ ـــ وجاء فيها أيضاً قوله :
«يا هذا ! الطريق مختصر ، والدليل واضح ، ... والسراج مرفوع ، والثقال مجموع ...
أقول : هل لي أن أقرأ «الثفال» هو ما يبسط تحت الرحى !
١٤١ ـــ وجاء في (ص ٢٨٠) قوله :
«فعمّا قليل نضير ممّن إذا قال باح ، وإذا ارتاح ...» .
أقول : لابد أن يكون الوجه : «... وإذا سكَتَ ارتاح » .
١٤٢ ـــ وجاء في (ص ٢٨٥) الرجز :

يا عاشق الدنيا بَجُلْ [كذا] ....
أقول : وقد علّق المحقق على «بَجُلْ» هذه في هامشه فقال : كذا .
وأضيف أن الكلمة هي «بَجَل» بفتحتين ، ومعناها حَسْبُ
١٤٣ ـــ وجاء في (ص ٢٨٦) قوله :
«... والليل مقمراً ، والنجوم زاهرة ، والسُّرى متصلّة ...»
أقول : والصواب : متّصلاً .

١٤٤ ـــ وجاء في (ص ٢٨٨) قوله :
﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ .
أقول : هذه آية كريمة أدرجها المحقق في كلام الكاتب ، وهي ١٤ سورة القيامة .
١٤٥ ـــ وجاء في (ص ٢٩١) قوله :
«... فقد وحقّ الحق ذُنتُ كمداً ، ومدت وَمَداً ، ومارست كَبَداً ...» .
أقول : والوجه : ... ذُبتُ كمداً ووَمِدتُ وَمَداً .....
١٤٦ ـــ وجاء في (ص ٢٩٢) قوله :
«.... هذا عَجَب ، وكل عَجَب من هذا شَحَب ...» .
أقول : وقد علق المحقق فقال : من الشحوب ، وهو تغيّر اللون ، ثم قال : ولعله شَجَب أي الحاجة والهمّ ...
أقول أيضاً : وهو الشجب ، ولا معنى للشحوب .
١٤٧ ـــ وجاء في (ص ٣١٨) قوله :
«... فبقيتم في بلاد الغربة حيارَى متلذّذين» .
أقول : والصواب : حيارَى متلدّدين .
١٤٨ ـــ وجاء في (ص ٣٢٢) قوله :
«.... أيها المغترّ بالصحة والشبابة ...» .
أقول : والصواب : ... والشباب ...
١٤٩ ـــ وجاء في (ص ٣٢٣) قوله :
«... وأنت البادي بالحسن والعادي بالأحسن ...»
أقول : والصواب : والعائد ...
١٥٠ ـــ وجاء في (ص ٣٢٨) قوله :
«... والغبطة مكتنفة نظريتك ، مشتمفة [كذا] عليك» .
أقول : والصواب : مكتنفة نظرك ، مشتملة عليك .
١٥١ ـــ وجاء في (ص ٣٢٩) قوله :
« ... ويترنّم بما سلف من الأيام الخالية من تنفس في خلوة ، وتأنّس في خلوة» .
أقول : وقد سعى المحقق في بيان الفرق بين «خلوة» الأولى و«خلوة» الثانية فقال : الأولى بمعنى المكان الذي يختلي فيه الرجل ، والثانية بمعنى انفراد المرء نفسه .
أقول : ما أظن أن أبا حيّان قد تخيّل هذا الفرق ، وكأني ألمح أن الثانية مصحّفة عن «جلوة» .
١٥٢ ـــ وجاء في (ص ٣٣٧) قوله :
«... أما دنا لغائبكم أن يحضر وأن يُبَرّ ، ولسقيمكم أن يَستَشفي ...» .
أقول : لابد أن يكون قبل قوله «أن يُبَرّ» شيء محذوف ، قد سها عنه الناسخ ، وهو مثل : و«لمقطوعكم» .
١٥٣ ـــ وجاء في (ص ٣٣٩) قوله :
«ها أنا قد أعذرت ...»
أقول : والصواب : ها أنذا قد أعذرت .

١٥٤ ــ وجاء في (ص ٣٤٠) قوله :
«وأعلاك من حين أتاك ...» .
أقول : لعله : من حيث ....
١٥٥ ــ وجاء في (ص ٣٤٣) قوله :
«واهاً لنفس مُنيت بهوى شديد ،..... وفطنت لعائد شريد ، حتى خُلقت في اختلاف شكولها واختلاف انقطاعها [كذا] ووصولها معارف ....» .
أقول : وقد علّق المحقق على «خلقت» وقال : ضرب عليها وكتب في الهامش مكانها : شاهدت . ولا أدري كيف اهتدى إلى البديل ، وأثبت «خلقت» !!

خاتمة :

وإذا كنت قد اكتفيت بهذا القدر فإني أخشى الإطالة وأنظر إلى طاقة ما يمكن أن يوعب في بحث للمجلة .

لقد تركت طائفة كبيرة أخرى مما عرض لنص الكتاب من الكلم المعدول عن وجهه ، كما أني ضربت صفحاً عن جمهرة من الخطأ يتصل بضبط الكلم ، وما أثبت خطأ من المشتبه من الحروف .

وأظن أن فيما أوردته ما يحفز على إعادة طبعه ، مع علمي أن شيئاً منه قد أصلح في نشرة وداد القاضي .

رواية ابن عمار

لثروت أباظة

حلمي محمد القاعود
كلية الآداب - جامعة طنطا

١) شارك «ثروت أباظة»[١] مع الموجة الثانية من بناة الرواية الحديثة في إثراء الأدب العربي بالعديد من الروايات التاريخية والاجتماعية والسياسية ، وقد ظهرت بعض هذه الروايات على شاشة السينما المصرية ، وأحدثت نوعاً من التأثير والتفاعل مع الجمهور ، ويحفظ الجمهور المصري عبارة شهيرة وردت على لسان أحد أشخاص روايته «شيء من الخوف» وتعبر عن رفضه للظلم والقهر الذي يمارسه البطل[٢] ، وبصفة عامة يمكن القول : إن معظم روايات «ثروت أباظة» ، تمثل نوعاً من التأمل السياسي في الواقع الذي تعيشه الأمة ، وإن كان هذا التأمل يتغطى غالباً بأغطية اجتماعية تتفاوت كثافة ورقة حسب الموضوع ، ويستطيع القارىء أن يلمح ذلك بوضوح في رواياته : شيء من الخوف ، قصر على النيل ، جذور في الهواء .

ولا تشذ الرواية التاريخية الوحيدة التي كتبها «ثروت أباظة» بعنوان «ابن عمار» عن هذا الأسلوب الذي يسعى إلى التعمق في الواقع الاجتماعي والنفسي للكشف عن القوى السياسية التي تصنع هذا الواقع وتحركه في شتى الاتجاهات .

ويبدو لي أن رواية «ابن عمار» من أوائل ما كتب ونشر «ثروت» من روايات ، إن لم تكن الأولى على الإطلاق[٣]، وتبدو أيضاً قريبة العهد بتلك الفترة التي ازدهرت فيها كتابة الرواية التاريخية ، وهي فترة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين ، حيث كان «الجارم» و«أبو حديد» و«العريان» و«باكثير» ... وغيرهم ، قد نشروا معظم رواياتهم التاريخية ، بحيث يمكن القول ، إن هذا النمط من الروايات قد صار «موضة» في الكتابة الروائية ، بحكم عوامل عديدة أبرزها : الصراع بين الأمة والمحتلين ، ونشوء دولة العلوّ اليهوديّ في فلسطين ، وتجدد الآمال والأحلام في وحدة عربية أو إسلامية تنظم مجموعة الدول العربية سعياً من أجل القوة والعزة والتقدم .

وكما كانت «الأندلس» منبعاً ثراً للكثيرين من كتاب الرواية التاريخية ، وبخاصة «الجارم» ، فقد كانت رواية «ابن عمار» أيضاً ماتحة من هذا المنبع ، واتخذت من عصر الطوائف «القرن الخامس الهجري» ، مجالاً زمنياً تتحرك فيه الأحداث والأشخاص .. ومن مدن الأندلس الشهيرة (إشبيلية وقرطبة وشلب ومرسية وبلنسية وسرقسطة ...) ، مجالاً مكانياً يشهد الصراع بين آل عباد وآخر ملوكهم «المعتمد بن عباد» في إشبيلية مع حكام الإمارات الأخرى ، وكان صراعاً قائماً على قدم وساق ، وانتهى بسقوط الأندلس كلها في يد المرابطين القادمين من الشاطىء الآخر (المغرب)

بقيادة يوسف بن تاشفين[٤].

ونفهم من المجالين الزماني والمكاني مباشرة ، أن القضية المطروحة للمعالجة هي محنة المسلمين في التفرق والتشرذم والغرق في اللهو والترف والمتع الحسية ، والصراع بين الحكام ، والتحالف مع الأعداء ، بينما يتربص هؤلاء الأعداء (الفرنجة) بالمسلمين ، وينتظرون الفرصة لالتهامهم واحداً بعد الآخر ، للإتيان عليهم جميعاً ، وطردهم من الأندلس الجميلة شر طردة ..

بيد أن الرواية لم تعالج القضية على هذا النحو المباشر ، وإن كانت قد تضمنته ، ولجأت إلى انتزاع شريحة من شرائح المجتمع الأندلسي ، وطرحت من خلالها مقولات عديدة ، حيث اختارت شاعراً مداحاً متكسباً بشعره ، يمثل «الميكافيللية» في سلوكه ، و«الأبيقورية» في مذهبه ، وركزت الأضواء حوله داخلياً وخارجياً ، ذلكم هو الشاعر «أبو بكر محمد بن عمار» بطل روايتنا ، ومن الأحداث التي مرَّ بها ، والتي صنعها ، نضع أيدينا على معالم واقع مريض ومهترىء ، يسير نحو الهاوية .

ويمكن القول إن هذه الرواية تمثل رواية «الشخصية» حيث تقوم على محور الشخص أو البطل الذي يحظى بالأضواء الروائية ـــ إن صح التعبير ـــ ويخصه المؤلف بكل اهتمامه وجهده ، ويمكن أن نضع «رواية الشخصية» في مقابل «رواية الموقف أو الحدث» ، حيث يكون التركيز على ما جرى من وقائع وأحداث هو غايتها كما نجد في روايات «علي الجارم» وبخاصة «هاتف من الأندلس» و«غادة رشيد» .

ويقدم المؤلف شخصية ابن عمار من خلال فصول الرواية الأربعة عشر ، التي يختار لكل فصل منها عنواناً يحمل دلالة على ما يجري لابن عمار من أحداث ووقائع ، وفي كل فصل تتنامى الأحداث وتنمو شخصية ابن عمار حتى تستوي ، وتصل إلى نهايتها المأساوية التي سنراها إن شاء الله .

٢) وشخصية «ابن عمار» تواجهنا منذ بداية الرواية كشخصية تلعب لعبة شاذة وغريبة في واقعها ، وتسخر مواهبها العديدة في الشعر والقول والذكاء والحيلة ـــ على غير عادة الشعراء ـــ لتحقيق مآربها الشخصية ، وأغراضها الخاصة ، بل إن الكاتب يقدم لنا ابن عمار في أول فقرات الرواية كمخلوق كذاب ميت الضمير «لقد ترك بلدته مهد ميلاده ، ومدرج طفولته ، ومغنى شبابه ، ليدور بشعره على الملوك يسترفد مالهم بما يرفده عليهم من شعره ، ولقد دار ، ولقد مدح ، فبالغ في المديح ، ولقد كذب على الحق فأوغل في الكذب ، ولقد أمات ضميره ليجعل الظالم منهم عادلاً والمجنون منهم حكيماً ...»[٥]، ويلح الكاتب على تقديم هذا الوصف المباشر لدرجة تجعل من بعض العبارات زائدة عن الحاجة ، حيث نراه مثلاً يقول بعد عدة أوصاف تدور حول الكذب وموت الضمير عبارة مقحمة تؤكد ذلك[٦] .

وتبدو شخصية «ابن عمار» أكثر الشخصيات في الرواية حيوية ونضجاً ، ليس لكونها «بطل الرواية» ، وإنما لطبيعة بنائها الفني ، فهي تتحرك وفقاً لتطور طبيعي يكشف لنا حالات ضعفها وقوتها ، فابن عمار شاعر فقير يبحث عن الرزق ، ولا يملك قوت يومه ، ولا قوت حماره ، الشيء الوحيد أو البضاعة الوحيدة التي يروج لها ولم تلق استجابة لدى الكثيرين هي «الشعر» ، ومع الطموح والإصرار تجد هذه البضاعة مشترياً متحمساً يدفع في مقابلها الكثير مما يطمح إليه ابن عمار ، هذا المشتري المتحمس الثري هو المعتمد ابن عباد ، الشاعر ، وآخر ملوك بني عباد .. وبعد أن يلتقي البائع والمشتري تتكاثف الأحداث ، وتتوهج شخصية ابن عمار ليعبر عن طموحه وآماله مستخدماً مواهبه وإمكاناته ، حتى يحقق المجد الذي يخر بعده صريعاً نتيجة لمنهجه وفلسفته «الميكافيللية» التي تؤمن أن الغاية تبرر الوسيلة .

وقد عرضت الرواية لخصائص وفلسفة ابن عمار ، أو عناصر شخصيته المميزة في مواضع كثيرة ، وهي عناصر جعلت من ابن عمار كياناً حياً متنامياً يشد القارىء إليه ليتتبع مسيرته وخطواته .. إن عناصر الطموح وحب السلطة والبحث عن الذات والأنانية والتسلق والتزييف والهروب من المواجهة وإدراك النتائج قبل وقوعها ، كفيلة أن تجعلنا نتفاعل مع صاحب الشخصية ونحيا معه ، بالرغم من بغضنا لسلوكه وتصرفاته ، وننتظر بعد ذلك خاتمة المطاف لهذه الحياة الصاخبة .

إن حب ابن عمار للسلطة أو طموحه إليها وتفكيره المستمر فيها والعمل الدائب من أجلها ، جعل السلطة جزءاً من نفسه ، وجعل نفسه جزءاً منها « ... إنه ابن عمار ذلك الرجل الذي دار على قصور الملوك فرأى وفهم ما رأى ، ثم هو حليف للطريق الطويل في أكثر ما خلا به وبحماره هذا الطريق ، فكان يفكر ويمحص ويتعمق الأمور حتى يبلغ أعماقها وهو يقرأ فيصل إلى أغوار ما يقرأ ، فما هو إذن بالشاعر الهاذر الذي يمد يده ليثنيها إلى فمه فلا يفكر في غير مدّ وانثناء ...»[٧].

وعندما يتحقق له جانب من آماله وطموحاته ، فإنه لا يتوقف عند حد معين ، أو يراجع نفسه ، ولكنه يفكر فيما هو أكبر وأفضل ، ولا يهمه أن يكون المنهج مقبولاً أو غير مقبول ، فقد علمنا أنه «أمات ضميره» ، ومن ثم فإنه لا يتورع أن يكون مُهَيِّئاً لجلسات الأنس والمتعة يستمتع بها صديقه ابن عباد «ويشيد المعتمد بقدرة ابن عمار النابغة في السياسة وفي الشعر وحتى في تهيئة الليلة

الأنيسة ، ويبالغ المعتمد في تلك الإشادة ، ويقرب ابن عمار أكثر مما تعود أن يفعل ، وكلما دارت الخمر برأسه رفع من شأن ابن عمار ...»[٨].

إنه على استعداد لفعل أي شيء من أجل طموحاته التي تتنامى دائماً ، وإذا كان تقديم المتعة ، وتهيئة ليالي الأنس لصديقه ابن عباد يحقق له بعض الآمال ، فإن نجاحاته السياسية تتيح له أن يتقاضى ثمنها في الحال وكما يشتهي ، فبعد أن قام بمهمته في إبعاد «الأذفونش» عن غزو مملكة آل عباد «اشبيلية» ، فإنه يعود إلى الملك المعتمد ليشعر بنفسه وقد طالت قامته أكثر من ذي قبل ، ويستشعر أنه شريك للملك في مملكته « ... ويعود المعتمد إلى نافذته يرنو منها إلى اعتماد وذيل ثوبها قد رفع وقدماها قد غاصتا في المسك وماء الورد .. إلا أنه في هذه المرة لم يكن وحده بل كان ابن عمار إلى جواره يرنو منها إلى اعتماد وذيل ثوبها قد رفع وقدماها قد غاصتا في المسك وماء الورد .. إلا أنه في هذه المرة لم يكن وحده ، بل كان ابن عمار إلى جواره يرنو هو أيضاً إلى جواريه يغصن بأقدامهن مع الملكة في المسك وماء الورد»[٩].

وواضح أن ابن عمار يتسلق في الوقت المناسب بالأسلوب المناسب ، فهو يستغل محنة المعتمد ، كما استغل صداقته ، ليأخذ مقابل أتعابه ، ويتقاضى ثمن جهده الذي يبذله عند الأعداء ليصدهم عن غزو «اشبيلية» ، إنه لا يعرف حقاً لدين أو واجباً لوطن أو وفاء لضمير ، وقد سبق للكاتب أن وصفه بقوله : «فما هو بالوطني الصادق الوطنية لوجه الشرف ، ولا هو بالوفي الخالص الوفاء لآل عباد ، إن ابن عمار لم يكن صادق الوفاء ولا خالص السعي إلا لابن عمار وحده ، وبهذا المبدأ الواقعي سار ابن عمار في وزارته وسارت به الأيام ..»[١٠].

وإذا كانت أخلاق ابن عمار مع المعتمد صاحب مجده وعزه كذلك ، فإننا نجد الأمر طبيعياً أو أكثر طبيعية عندما يتعلق الأمر بالأعداء ، فهو لا يحترم عهداً ولا كلمة ، لأن المبدأ الخالد لديه هو «الغاية تبرر الوسيلة» ، فعندما يراد تخليص «الراشد» ولد المعتمد من قبضة «ريمون» كونت برشلونة بعد أن صار رهينة بيده نظير مبلغ من المال لا يتوفر في مملكة «اشبيلية» ، فإن «ابن عمار» لا يتورع عن تزييف نقود ليس فيها من الذهب إلا القليل ، وتجوز الحيلة على ريمون فيطلق الراشد من أسره[١١].

ويشبه هذا الموقف الذي احتال فيه على «ريمون» موقفه من جنوده عندما قطع رواتبهم بسبب خواء خزانته ، فقد تجمهروا وعزموا على تسليمه إلى المعتمد ليقتص منه بعد أن علموا أن الأخير يطلبه للانتقام منه ، فما كان من ابن عمار إلا أن خدع الجند بقوله : «إن هي إلا بعض ساعة حتى تكون رواتبكم بين أيديكم ..» ثم يدخل إلى القصر لا ليؤدي الرواتب كما وعد ، فما كان بخزانته شيء ، وإنما ليجمع ما يستطيع حمله ، ومن باب سري يخرج دون أن يراه أحد ، ويظل مستخفياً حتى يفارق «مرسية» كلها إلى الطريق ..[١٢].

هذه المواقف وغيرها توضح صورة مخلوق أفاك ، لا يؤمن بالقيم أو المواهب التي أفاء الله بها عليه إلا بقدر ما تؤدي له من منافع ومصالح على حساب الشرف والخلق والدين .

ومع أنه صَادَق ملكاً ، وعاش في بيئة ملوك لمدة تقرب من ربع قرن من الزمان ، فإن ذلك لم يؤثر في طباعه ولا في قيمه ولا في سلوكه ، بل ظل كما هو ، ومنذ نشأته ابناً شرعياً للغاية تبرر الوسيلة ، ويبدو أن المؤلف في تفسيره لسلوك ابن عمار ينظر إليه من خلال منظور طبقي يعول على الأصل أو الحسب ، ولما كان ابن عمار نتاج فقر وتواضع أصل ، فلا بد أن تقوده جذوره وأوضاعه الاجتماعية إلى ما انتهى إليه ، فهو وصولي وانتهازي وخسيس ولئيم ووضيع ، ولم تُجدِ ترقيته خلقياً ، بالتكريم أو الإعزاز أو التمجيد ، وإن كان ذكاؤه يدفعه إلى توظيف فقره القديم وتواضع أصله — كلما دعت الحاجة — لاستمالة الناس وخداعهم «فهو يحمل معه ذلك الكيس الذي أنقذه وأنقذ حماره من جوع بما حمله من شعير ، وهو يحمل الكيس معه ، لم يفقده في كل مناصبه التي تولاها ، ولم يفقده في الثروة التي اقتعدها ، وإنما أبقى عليه ليشكر به من أنقذ .. فما يكاد يجلس على كرسي الإمارة حتى يرسل من يبحث عن التاجر فيجده ، ويعلم ابن عمار أن الخشية قد تولت هذا التاجر حين علم أن الأمير يبحث عنه ، فيشفق عليه أن يستقدمه ، ويكتفي بأن يرسل إليه الكيس وقد ملأه فضة وأوصى من يحمل الكيس إلى التاجر أن يقول له : لو كنت ملأته بُرّاً لملأناه تبراً»[١٣]، وكانت هذه اللفتة الذكية من ابن عمار عاملاً مهماً في جذب قلوب الأندلسيين في إمارة شلب ونحوه ، باعتباره عصامياً ورجلاً وفياً لماضيه ، بينما يسعى — في الواقع — إلى تأمين مستقبله ، لأن هذا هو الذي يعنيه «يجب أن يستكثر من المال خشية من الغد»[١٤]، وهو — في كل الأحوال — يريد أن ينفي من ماضيه كل سيء ليحقق غاياته وطموحاته ، وبذلك تصبح صورته في أذهان الناس غاية في المثالية ، ولكن جذوره وأصوله تشدُّه إلى واقع آخر ، هو واقعه النفسي الداخلي الذي يعيش الدُّونية والوضاعة والحقارة ، وهكذا نرى ابن عمار من خلال المنظور الطبقي يخضع لما اكتسبه من طبقته أخلاقاً وسلوكاً ، وهو منظور يختلف عن منظور آخر يرى النفس البشرية عالماً متميزاً لا يتأثر بطبقته إلا بقدر ، فالأخلاق والقيم في المنظور

الأخير ترتبط بالشخص وقدراته ، ومدى مكتسباته الثقافية والاجتماعية ، وأيضاً تأثره بالطبقة التي ينتمي إليها ..

والذي يعنينا في تصور الكاتب لشخصية «ابن عمار» أنه قدم شخصية «ميكافيللية» لا تؤمن بقيم أو مثل إلا بمقدار ما تحقق لها هذه المثل وتلك القيم من فوائد ومكاسب تعود عليها[١٥]، وقد نجح الكاتب في تصويرها وتقديمها حية نابضة في حال فقرها وحال غناها ، ومراحل نجاحها ومراحل فشلها[١٦].

وأمام هذه الشخصية الحية النابضة ــ بالرغم من كرهنا لها ــ تبدو شخصية أبي القاسم محمد بن عباد المعتمد هشة وضعيفة ومنقادة ، أو هي شخصية تتعامل مع الأحداث بمنطق رد الفعل ، لا الفعل ، إنها سلبية في معظم الأحوال ، لا يعنيها إلا الشعر والمتعة ، وقد وجدت في «ابن عمار» الرفيق الملائم الذي يسمع ويقول ، ويهيء لصاحبه جلسات الأنس ، ومن هنا لم يكن غريباً أن يقوم المعتمد برفع ابن عمار من وهدة الفقر والفاقة إلى جاه العز والوزارة .. وبالرغم من أن المعتمد كان ابناً لحاكم قوي مستبد (المعتضد) ، فإنه لم يرث من صفاته ــ فيما يبدو ــ شيئاً ذا بال ، فقد كانت معظم أيامه برفقة «ابن عمار» ، هزائم وإفلاساً ، وغرقاً في المتع .

ولعل ميله إلى الترف والكسل كان سرّ تمسكه بابن عمار باعتباره رجل الملمات ، ومع أنه يعلم خصائص ابن عمار ويعرف عن طموحه الكثير ، إلا أنه يفضل صحبته لأنه يقوم نيابة عنه بما يريد وما لا يريد أيضاً ...

«كان المعتمد يعلم هذا جميعه (طموحات وخصائص ابن عمار) وكان يعلم أيضاً أنه لا يستطيع أن يرفض مطلباً لابن عمار ، فهو يخشى أن تظل هذه الآمال تداعبه ، فيطلب الجيوش والأموال ويضطر المعتمد إلى أداء هذه المطالب وهو كاره ، وإنما يؤديها حباً لابن عمار لا لشيء آخر .. كان المعتمد يتمنى أن يفتح الممالك وأن تنضم إلى ملكه ، ولكنه يريد ذلك بغير عتاد ولا مشقة ، كأنما لا يزهيه من هذا الاتساع إلا أن يقول الشعر ويفخر بمجده ومجد وزيره .. أما إذا كانت الفتوح تكلفه عنتاً من أمره فبحسبه المجد الذي تم له وهو غني كل الغنى عن فتوح أخرى ، وهكذا فرح المعتمد أن ابن عمار عاد إلى الخمر والشعر وأغضى من آماله الواسعة ..»[١٧].

وبالإضافة إلى هذه الصفات والملامح في شخصية المعتمد ، فإننا نجده ضعيفاً أمام المرأة ، ولعل قصته مع الجارية الرومية «روميكا» التي أسرت لبّه توضح لنا كيف ينسى من أجلها شئون الدولة ، وغرق في حبها وفي تنفيذ رغباتها ، وبخاصة حين أرادت أن تقلد فتيات المدينة في ملء الجرار من النهر فيصنع لها بُحَيْرة من المسك وماء الورد تكلف الدولة ما كانت ستبذله لتقوية الجيش فلا يبقى في الخزانة إلا القليل[١٨] بينما الفرنجة يدقون الأبواب من حول اشبيلية .

ومن خلال قوة الشخصية لدى ابن عمار وضعفها لدى المعتمد تنشأ العلاقة بينهما ، بصورة أقرب إلى الشذوذ ، حيث تبدو لهفة الآخر على الأول .. ولذا نجد نهاية هذه العلاقة تبدو غير متوقعة بل «وشاذة» ، إذ ينهيها المعتمد نهاية مأساوية عندما يقتل صديقه الحميم وأنيسه الأثير ابن عمار ، فيهوي على رأسه بقطعة من حديد ذات مقبض ، ويظل يضرب ويضرب حتى يموت ابن عمار بيد صداقة ظلت خمسة وعشرين عاماً !!

لقد كان من المتوقع أن يغفر المعتمد لابن عمار زلته الأخيرة ، كما غفر له من قبل محاولة استئثاره بالإمارة ، واستقلاله عن مملكته ، بيد أن شدة حبه لابن عمار هي التي دفعته ــ فيما يبدو ــ إلى قتله ، فما كان المعتمد يتوقع منه ــ بحال ــ أن يهجوه ويكذب عليه ويبوح بالسر الذي طلب منه أن يكتمه ، حتى لو كان المعتمد ينوي أن يطامن من طموحه ليقبع بجواره خادماً مطيعاً وأنيساً سميراً ..

لا نكاد نعثر في الرواية بعد ابن عمار والمعتمد على شخصيات ذات أهمية رئيسية ، اللهم إلا قادة الفرنج مثل الأذفونش ، وريمون بيرنجيه كونت برشلونة ، وكلاهما يمثل العدو المتربص الذي يستغل خلافات حكام الطوائف المسلمين ، ويذكيها بالفتنة والتحريض ، وكلما لاحت الفرصة لاقتناص امارة أو مملكة أو مدينة تقدم ليحتلها ويطرد منها أهلها وحكامها المسلمين ، ويضمها إلى أملاك الفرنجة .

وقد صور الكاتب شخصية الأذفونش في إطار محدود ، لأن تركيزه الأساسي كان يدور حول «ابن عمار» إذ لم تكن قضية الصراع فيما بين المسلمين أنفسهم ، أو بين المسلمين والفرنجة شاغله الأول ، وإن كنا نلمح في خلفية الرواية سطوراً هنا أو هناك تشير إلى حال الفريقين وتصور الصراع الرهيب بإيجاز ، ويمكن أن نرى الكاتب وهو يشير إلى ما يجري بين أمراء المسلمين من تنافس أو صراع حاد فضلاً عن الفرقة والانقسام والضعف والخضوع للجواري ، والانقياد للمتع ، وتبديد أموال الدولة في اللهو والترف ، بينما تتجلى صورة الفرنجة كوحش متربص لا يترك فرصة لاقتناص فريسته وهضمها ، ولا تطرف عينه في حالة تربصه تلك .. ويلاحظ أن الكاتب كان جهوري الصوت زاعقاً وهو يصف ضعف المسلمين وقوة الفرنجة ، ويحسن أن نورد هنا نموذجاً مما جاء في الرواية ..

«لم تكن الأندلس في ذلك الحين خالصة الحكم لملوكها ، فلقد كانوا أضعف من أن يقوموا بالأمر وحدهم ، وقد انتهز الإفرنج هذا

الضعف فراحوا يهددونهم في ديارهم ويفرضون عليهم الجزية لقاء سكوتهم عنهم ، ولقد أذعن الملوك لهذا التهديد فدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فما كان الخلف بينهم ليترك لها سانحة يفرغون فيها من عدوهم المشترك ، ولو كانوا قد تضامنوا لتغلبوا عليه ، لكن من أين لهم وقد تقطعت بينهم السبل فأصبح ما بينهم وبين بعضهم خراب بلقع لن يعمره الشر الذي يحيق بهم ، ولن يصله العدوّ الذي يتنمّر لهم .

ولقد كان هذا العدو حصيفاً ، فهو لم يهجم ، لأنه يعلم أن جيوشه لا تكفي ، فهو يهدد في تبجح فتهلع نفوس ... فهي خائرة ، وهو يطلب الجزية فتمتد بها أيدي ... صاغرة ذليلة»[١٩].

ويبدو مؤلف «ابن عمار» في هذا الموقف الفني الزاعق متابعاً لعلي الجارم في روايته «هاتف من الأندلس» ، مع الفارق أن الأخير كان دائم الإلحاح على الناحية السياسية ، والتذكير بها من حين لآخر ، مع شدة اللوم والتقريع لحكام المسلمين بسبب تقصيرهم وقصورهم .

وإذا كانت رواية «ابن عمار» قد اهتمت بشكل واضح بشخصيات الرجال ، وركزت عليها ، حتى في مجال الشخصيات الثانوية ، فإن صورة المرأة بدت غامضة وغير واضحة أو مجرد «ديكور» فني يكمل بناء الرواية ، فضلاً عن إكمال أبهة الملك وعظمة الملوك ، ولم نر غير شخصية جارية رومية اسمها روميكا ـــ سبقت الإشارة إليها ـــ تخلب لب المعتمد فيشتريها ويغير اسمها إلى اعتماد ، ويحقق لها رغباتها ، ولو على حساب مطالب المملكة أو الجيش ، كما رأينا عند إنشاء معجنة المسك وماء الورد كي تتمتع بها روميكا وتقلد فتيات المدينة وهن يملأن الجرار من النهر ، ولا يعرف القارىء للرواية أي شيء عن تكوينها العقلي أو تفكيرها الذهني ، نعلم فقط أنها تنشد الشعر ، وتجمع إلى الشعر جمال وجه[٢٠].

وهذه الصورة للمرأة الهامشية في رواية «ابن عمار» ، تذكّرنا ـــ مرة أخرى ـــ بدور المرأة وصورتها في روايات «الجارم» ، وبخاصة في روايته «هاتف من الأندلس» حيث كانت المرأة أكثر إيجابية وأشد فاعلية في الأحداث من الرجال (انظر شخصية «نائلة» الدمشقية في «هاتف من الأندلس» على سبيل المثال) .

على أية حال ، فإن رواية «ابن عمار» استهدفت تصوير شاعر مداح يطمح إلى المجد بكل وسيلة ، فركزت عليه وحده الأضواء ، وسلطتها على شخصيته ، وتركت بقية الشخصيات والأحداث تظهر وفقاً للبناء الفني .

٣) يمكن الآن أن نرى أبرز العناصر الفنية التي اعتمدت عليها الرواية في بناء الشخصية ، وتتمثل في عدة عناصر أهمها : السرد والحوار والاسترجاع والحلم ..

ووظيفة السرد في الرواية تكمن في اتساقه مع طبيعتها التاريخية ، وكالعادة في الرواية التاريخية تعتمد الرواية على ضمير الغائب والفعل الماضي ، بيد أن خطورة السرد بضمير الغائب والفعل الماضي تكمن في تدخل الكاتب عند بعض المواقف أو الأحداث ، والسؤال الآن إلى أي مدى استطاع الكاتب أن يوظف السرد فنياً لخدمة البناء الروائي ؟

لاشك أن الكاتب يملك أسلوباً بيانياً مشرقاً ، يتخير ألفاظه بعناية ، ويبدو في ذلك مقتفياً منهج مدرسة البيان في العناية بالصياغة والتعبير والاستفادة بالصور البيانية ـــ والبديعية على وجه الخصوص ـــ في إقامة جمل وعبارات تعتمد في داخلها على المفارقة والتوازن والترادف ، مع اللجوء إلى التصوير الذي يحول الموقف إلى لوحة تشكيلية فيها الكثير من الألوان والظلال والإيحاءات ، ولنأخذ على سبيل المثال هذه الفقرة التي يبين فيها مشهد ابن عمار وهو فقير جائع يتحرك بحماره بين الناس ، فاقداً لقمة تمسك رمقه أو حفنة شعير يأكلها حماره :

«سار ابن عمار يتلفت في ذلة الجائع وفي عزة الشاعر فلا يجد وسيلة إلى أحد ممن يرى ، وكل الناس ينظرون إليه على حماره هذا الهزيل ، فتبدو على وجوههم بعض الشفقة والإشفاق على هذا الهزال المركب ، وتبدو على وجوه أخرى السخرية من تلك الأسمال التي تكاد تلتئم جنباتها جميعاً من شدة هزال صاحبها والتي كانت تبدو وكأن أحداً لا يلبسها ، وإنما هي منتصبة بقدرة معجزة ، وكانت السخرية تتضح وتستبين حين تنصب عين الساخر على الحمار المضني من كثرة المشي لا من الحمل الذي يحمل فهو لا يحمل شيئاً ..»[٢١].

وتبدو هنا صورة «الحمار» كمركز الدائرة الذي تدور حوله صفات راكبه ابن عمار في حال فقره وذله وجوعه وملابسه البالية ، وهذه الصورة بتفصيلاتها الدقيقة وجزئياتها الفرعية تسجل مرحلة من مراحل حياة ابن عمار ، وتجعل من مراحله التالية صوراً مقابلة تقاس على هذه الصورة وتقوم .

وقد استعان الكاتب بالشعر ، ليسوقه في خضم تصويره لحياة بطل الرواية الذي كان الشعر مهنته أو صنعته التي يتكسب بها ، والتي أوصلته فيما بعد إلى المجد ، والحضيض أيضاً ! ومهمة الشعر هنا ـــ فيما يبدو لي ـــ كسر حدة الرتابة التي تنشأ عن السرد ، وقد استشهد الكاتب بشعر لابن عمار والمعتمد ، بل وصل الأمر إلى حد الاستعانة بشاعر معاصر لنظم شعر مترجم منسوب إلى ابن عمار[٢٢]، وعملية الاستعانة بالشعر وصلت إلى حد إثبات قصائد

طويلة بأكملها ، وبوسيلة ما يتعرض الكاتب لنواحي الجمال في النص الشعري وما يحمله من معان ، مما يبدو معه الأمر درساً في تذوق الشعر[٢٣]، مما ينبيء عن اهتمام المؤلف بالشعر وتذوقه أساساً ، ويمكن أن نشير إلى اهتمامه بقصيدة ابن عمار البائية التي يقول في مطلعها :

أأسلك قصداً أم أعوج عن الركب ... فقد صرت من أمري على مركب صعب

وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي ... فأجعله حظي أم الحظ في القرب

يعلق عليها الكاتب في سياق سرده بقوله :

«وهكذا أنشأ ابن عمار قصيدته تتسابق فيها السياسة مع الشعر فلا تدري لأيهما السبق ، فهو يمهد بالاعتذار والتودد والتخوف ، وهو يذكر بالحب والصداقة ، وهو يوحي إلى المعتمد أنه صافح مؤثر ما يزحزح كرب ابن عمار .. ثم هو في لباقة معجزة يحمّل المعتمد العبء فيما وقع ، بل هو يزيد فيعتب عتباً رقيقاً فيذكره أنه أسلمه للمة فلّت سيفه وحطمت سلاحه ، ولا ينسى ابن عمار أن يقول أنه لم يأت وزراً وأنه ما فعل إلا ما يظنه الخير .. الخ»[٢٤].

وقد يبدو الاستشهاد بالشعر — لكثرته — دخيلاً على النص الروائي ، ولكن طبيعة الشخصية الروائية لابن عمار والمعتمد ، يجعل من الشعر أمراً مألوفاً إن لم يكن مطلوباً .

واهتمام الكاتب بالسرد يجعله يعتمد بطريقة ما على نوع من الأساليب الإنشائية ، واستخدام الاستفهام التعجبي والإنكاري ، وهي مرحلة اتسمت بها المرحلة «المنفلوطية» لزيادة التأثير في القارىء واستجلاب تفاعله ، ولكنها هنا قد تشكل عبئاً على النص ، وبخاصة حين نفترض خلوه منها دون أن يتأثر النص أو يحدث خلل في السياق .

على أية حال ، فإن الأساليب الإنشائية ، وبخاصة التعجب تبدو أحياناً ، وكأنها وسيلة للتشويق والإثارة ، كما نجد في مفتتح الرواية حين يقول : «أهكذا يعود ! يالها من آمال عراض تلك التي صحبها يوم ترك موقفه هذا من سنين»[٢٥]، ولكنها أحياناً تمثل عبارات زائدة عن الحاجة حين نرى في ثنايا السرد ، وفي الفقرة الافتتاحية نفسها تعليقاً يقول : « ألا ما أبخس ثمن الضمير في .... » ، ومثل هذه التعليقات تفلت من الكاتب عندما لا ينتبه إلى طبيعة السرد الروائي وضرورة البعد عن التدخل كما نرى في نهايات بعض الفصول ، وعلى سبيل المثال ، نهاية الفصل الثاني حين يختتمه قائلاً : «فهلمي أيتها الأيام وأرينا ما الذي تخفينه لصداقة جديدة وعهد جديد»[٢٦]. أو نهاية الفصل العاشر الذي يعلق فيها على الحيلة أو الخدعة التي صنعها ابن عمار بضرب نقود مزيفة ليدفعها إلى «ريمون» كونت برشلونة ، حيث يقول : «فهكذا النفس إن رامت أمراً كبيراً ولم تنل منه إلا القليل أو ما هو أقل من القليل حاولت أن تقتنع أن ما نالته كان النصر مؤزراً ، وما أكثر ما تخادع نفسها النفس»[٢٧]، فمثل هذه التعليقات لا علاقة لها بالنص الروائي ، ويمكن حذفها دون أن يحدث تأثير أو تغير يذكر .

بيد أنه من الجدير بالملاحظة أن الكاتب وهو يسرد قصة ابن عمار لجأ إلى قفزات زمنية سريعة هرباً من الرتابة والملل ، وليبعث في نفس القارىء نوعاً من التشويق لما سيأتي من أحداث، وهي بصورة ما عملية اختزال للأحداث ووصف البيئة المكانية والزمانية ، والأشخاص أيضاً .. ونرى الكاتب أحياناً يوجه الخطاب لابن عمار ليكسر رتابة السرد فيما يشبه التعليقات التي أشرنا إليها من قبل ، بيد أنها هنا تقوم بالتشويق . ولنقرأ مثلاً خطابه لابن عمار ، وهو يستعد للوصول إلى مرحلة جديدة من المجد بعد أن توطدت صداقته بالمعتمد :

«هيه ابن عمار ، ما أحسب أن أيامك الخالية أتاحت لك أن تتخيل هذا الذي تمرح فيه اليوم من سعادة .. فهل تقف بك آمالك ابن عمار عند حد تنتهي إليه أم رأيت من الأيام ليناً فأنت توغل غير ناكص .. شأنك والأيام ابن عمار .. شأنك وإياها» .

ثمة ملحوظة أخرى تتعلق بالسرد ، وهي ارتفاع النبرة عند وصف بعض البيئات والأشخاص لدرجة الزعيق ، كما نرى عند وصف الأندلس وملوك الطوائف ، وحيث نستشعر أن الكاتب من شدة أساه على ما جرى هناك يقف خطيباً في ميدان عام ليبكّت — بالمنطق والحجة — ملوك الطوائف ، ويقرعهم على ما اقترفوه في حق أنفسهم وحق بلادهم وحق الإسلام ، من جرائم وآثام . يقول :

«وكانت الأندلس في ذلك الحين مقسمة إلى دويلات على كل منها حاكم ، وقد أصر هؤلاء الحكام أن يسموا دويلاتهم ممالك حتى يتسنى لهم أن يسموا أنفسهم ملوكاً ، ولقد كثر بينهم التنازع ولكنهم لم يتنازعوا في هذه التسمية فقط ، فقد اعترف كل منهم للآخر بها حتى يضمن اعتراف هذا الآخر لنفسه ، ولكن التاريخ أبى أن يعترف باعترافاتهم هذه ولم يقبل أن يطلق عليهم ملوكاً ، ثم سكت عنهم ، وإنما أطلق عليهم اسم «ملوك الطوائف» فكانت هذه التسمية من التاريخ دليلاً على أن هذا التاريخ قد يصدق في بعض الأحايين»[٢٨].

ويعدّ الحوار في رواية ابن عمار أفضل عناصرها على الإطلاق ، فهو حوار دقيق ، وقصير في معظمه ، يؤدي إلى غاية فنية ، ويختزل كثيراً من القضايا ، ويشرح أبعاداً عديدة ، فضلاً عن كونه طبيعياً ، ويجري دون أن نستشعر أدنى تدخل من الكاتب ، وهي ميزة تحسب له بكل المقاييس ، ولنأخذ مثالاً ذلك الحوار الذي دار بين «ريمون»

كونت برشلونة و «ابن عمار» من أجل السيطرة على «مرسية» حيث استعان الأخير بالأول ليضمن نجاح خطته في الاستيلاء عليها دون صعوبات كبيرة .. ويمضي حوار ابن عمار مع الأمير ريمون على النحو التالي بعد أن رأى اقتناعه بفكرة الغزو :

«ما دمت يا مولاي ترى هذا الأمر فما حبسك على أن تعتسف هذه المملكة ، وإنها لثمرة ما تحتاج منك لغير إصبع تمدها .

ــ ومن أين لك بالمال يا ابن عمار ؟

ــ أيمنعك المال أيها الأمير ؟

ــ والله يا ابن عمار إن شئت الحق ، فإن المال وحده لم يكن يمنعني ، ولكنني أخشى أن أثير في الدول الإسلامية الأخرى حفيظة لا أريدها أن تثور .

ــ لقد أصبت فاصلاً من الأمر ، ولكن ماذا تراك تقول لو أن دولة عربية إسلامية هاجمت «مرسية» فاحتلتها وتصيب أنت ربحاً وأنت في مكانك لا تريم .

ــ أكاد أفهم ما تريد .

ــ بل إنك لتفهمه .

ــ فزده إيضاحاً .

ــ أجيئك بالمال وتمدني بالجيش .

ــ أليس الجيش دماء تراق فعائلة يتبدد شملها ، فزوجاً أيماً ، وابناً يتيماً ، وأماً ثكلى .

ــ ولكنه المال .. والحاكم ــ بعد ــ ينظر للمصلحة العليا ، فشأنه الملك ، وما شأنه زوجاً ولا طفلاً ولا أماً .

ــ وهو الملك يا ابن عمار إلا هذه الزوجة وذلك الطفل وتلك الأم ؟

ــ ولكنك تريد مالاً .

ــ وأريد رجالاً ..»[29].

يمضي الحوار على هذا النحو ليظهر من خلاله تفكير كل من الطرفين وخططه تجاه المستقبل ، وطبيعة الصفقة بينهما .. الخ ، وهكذا يؤدي الحوار دوره في إلقاء الضوء على الشخصيات والأحداث ، ويكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل ، ويقوم بمهمته في البناء الفني .

ويستعين الكاتب بما يسمى «الاسترجاع» أو استدعاء الماضي ، أو ما يعرف بلغة السينما «الفلاش باك» ، وفائدة الاسترجاع هنا تكمن في ربط الأحداث ببعضها البعض ، والتذكير بما جرى من قبل ، والكشف عن جوانب عديدة للشخصيات أو للبطل على وجه الخصوص ، وذلك ليظل البناء الروائي متماسكاً ، وتنمو الأحداث نمواً متصاعداً ، ويأتي الاسترجاع أو «الفلاش باك» على نحو مبسط أو في صورة مبسطة تذكر ببعض المواقف في سرعة خاطفة ، كما نرى مثلاً عندما يسترجع ابن عمار ماضيه في شلب بعد أن عاد إليها والياً «إن يكن أهل شلب جهلوا الصلة بين صاحب الحمار وصاحب الموكب ، فإن ابن عمار يدرك هذه الصلة تماماً ، وهو إن يكن اليوم في هذا الموكب الضخم الأنيق من الطبول والزمور فهو لم ينس هذا الموكب الضخم الحقير من الفقر والعوز الذي تسلل به إلى شلب ، وكل أمانيه أن تعمى العيون عنه وأن يصيب حفنة من غلال ..لم ينسَ ابن عمار الحمار والتاجر والشعر والصبي والشعير ، بل إنه أخذ نفسه أن تذكر هذا الذي كان فيه حتى يحمد ما هو اليوم فيه ..»[30].

ويرتبط بالاسترجاع ، التذكير بالماضي في الحوار والمناسبات لتحقيق غاية فنية ما ، ويلح ابن عمار على استعادة الموقف المتعلق بفقره مع جوعه وجوع حماره ، الذي سبقت الإشارة إليه (استرجاع ماضيه في شلب) كما نرى في حواره مع المعتمد حين يطلب إليه ولاية شلب ، حيث يقول :

« ... ولكنني يا مولاي شهدت نفسي بشلب هذه وأنا فقير ، وربيت فيها وأنا لا أملك شيئاً ، حتى لقد تركتها وخرجت أطوف بالملوك أمدحهم فما أصبت من ذلك شيئاً ، ثم عدت إليها عودة لا كانت ، لقد شهدت نفسي هناك جائعاً على حمار جائع عريان ، على حمار متهالك ، حتى لقد أسمحت لي نفسي أن أمدح تاجراً لأصيب منه حفنة من شعير»[31].

وواضح أن ابن عمار يلح على استعادة ماضيه والتذكير به ، ليستغله في تحقيق حلمه ، وإقناع المعتضد بمنحه ولاية شلب .

ويرتبط بالاسترجاع والتذكير بالماضي ، المقارنة بين الحاضر والماضي ، وبخاصة تلك الحال البائسة التي كان عليها ابن عمار ، والحال الزاهرة التي وصل إليها[32]، وتبدو فائدة هذه المقارنة في تفسير سلوكيات البطل أو ابن عمار ، كما أنها تربط الأحداث ، وهذا التفسير الذي يوضح سلوكيات ابن عمار قديماً وحديثاً يخدم بطريقة ما الرؤية الطبقية للأخلاق من وجهة نظر الرواية ، التي ترى الأخلاق الكريمة مرتبطة بالطبقة الكريمة ..

وللمقارنة بين الماضي والحاضر أهمية أخرى تتمثل في إفساح المجال أمام ما سوف يتتابع أو يتلاحق من أحداث حتى يمكن رؤيتها في إطار مقبول من المنطق الفني والتسلسل الروائي .

ويبقى عنصر «الحلم» في رواية ابن عمار ، وتكمن دلالته في تنمية الأحداث بطريقة ما ، والحلم في هذه الرواية يشير إلى نهاية قصة ابن عمار مع المعتمد، وإن كان تفسيره الآني أو اللحظي يشير إلى اعتباره نتيجة لرأس مخمور يحكمه الفزع بسبب طموحه

البعيد .. «فإن الأحلام لتتواكب أمام ابن عمار ثم تنشق عن رجل أشيب جليل ناصع الإشراق يومىء إلى ابن عمار ويتحدث في هدوء ، فيقول زائر الحلم :

« هيه يا ابن عمار .. هل أمنت .... ؟ استراح بك المقام ووثقت من المعتمد ؟ فأنت إذن تمرح في سرور مطمئن ونشوة صافية .. أفق أيها المخمور ، لذ بنفسك إن المعتمد سيقتلك .. نعم هذا الصديق الحبيب .. نعم هذا الذي انتشلك من على ظهر الحمار إلى دست الوزارة .. هو نفسه سيقتلك»[٣٣].

إن الحلم هنا أقرب ما يكون إلى ما يعرف بالهاتف الذي يأتي ليقول للنائم : افعل أو لا تفعل[٣٤]، فهو حلم مرتب ، لا تتداخل فيه الشخوص والأحداث كما يحدث في الأحلام التي لا يحكمها منطق الحياة العادية أو اليومية ، بل إنه يبدو حلماً نشازاً إزاء الواقع الذي يعيشه ابن عمار ، وهو واقع لا يوحي أبداً بهذا المصير الأسود الذي ينتظره ، ولكن الرواية انتهت بهذا المصير المأساوي .. ويمكن القول إن طبيعة ابن عمار النزاعة إلى السلطة بأية وسيلة تجعل من هذا الحلم أو الهاتف أمراً طبيعياً كتعبير عن باطنه الممتلىء بالقلق والخوف والغموض .

ومهما يكن من أمر ، فإن عنصر الحلم مع بقية العناصر قد جعلت من البناء الفني في رواية «ابن عمار» كياناً متماسكاً أقرب إلى النضج والكمال .

وبعد ..

فإن هذه الرواية تقدم شخصية إنسانية يمكن أن تكون موجودة في كل العصور ، هذه الشخصية التي تستخدم مواهبها في تحقيق أهدافها الأنانية ، دون أن تصغى لصوت القيم أو الأخلاق أو الدين .. بل تضع في حسبانها المبدأ الانتهازي الشهير «الغاية تبرر الوسيلة» ، وعلى هامش شخصية «ابن عمار» وقصته المأساوية ، ظهرت مأساة المسلمين في الأندلس حكاماً وإمارات يقتلها التنافس والصراع ، بينما العدو المتربص على الأبواب يتحفز لالتهام بلاد المسلمين قطعة قطعة ..

إن شخصية ابن عمار في هذه الرواية غنية فنياً ومثيرة ، واستطاعت بحيويتها أن تحجب شخصيات أخرى يفترض أنها أكثر تأثيراً في الأحداث كشخصية المعتضد وابنه المعتمد .. وغيرهما ..

ولعل هذا الغنى المثير لشخصية ابن عمار ، كان نتيجة لتركيز الكاتب على سلوكها وتفسيرها دونما تورط كبير في الواقع التاريخي لهذه الحقبة في الأندلس التي عرفت باسم «عصر الطوائف» والذي انتهى على يد المرابطين في عام ٤٨٤ هـ .

وفي كل الأحوال، فإن رواية «ابن عمار» التاريخية تبدو وثيقة الصلة بواقعنا المعاصر ، باعتبار شخوصها وحوادثها التي تكاد أن تكون متطابقة مع شخوص وأحداث يشهدها عصرنا ولا يزال ، ومن ثم يصبح الغوص في أعماق التاريخ غوصاً في أعماق واقعنا الذي نحياه ونعايشه ونعانيه ..

الهوامش

(١) ثروت أباظة (١٩٢٧ ــ ٠٠٠) من مواليد الشرقية ، نشأ في عائلة أدبية مشهورة ، ونال ليسانس الحقوق عام ١٩٥٠ م ، كتب للإذاعة والصحافة ، وعمل بالمحاماة ، ورأس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون ، ثم استقر مؤخراً بجريدة الأهرام رئيساً للقسم الأدبي ، له أعمال روائية وقصصية كثيرة منها : ابن عمار ، هارب من الأيام ، قصر على النيل ، شيء من الخوف ، الضباب ، جذور في الهواء ، نقوش من ذهب ونحاس ، خائنة الأعين ، النهر لا يحترق ، طارق من السماء ... وقامت هيئة الكتاب المصرية بجمع مؤلفاته في مجلدات تصدر تباعاً .

(٢) كان بطل «شيء من الخوف» قد أرغم البطلة على الزواج منه ، وعندما اعترض أحد أهل القرية (الشيخ إبراهيم) قتل ابنه ، فخرج إلى الطريق والناس يهتفون وراءه «جواز نوارة من عتريس باطل» ، وكان هذا أكبر تحد للبطل الطاغية .

(٣) يؤكد «عبد العزيز شرف» في كتابه «النماذج البشرية في أدب ثروت أباظة» أن رواية «ابن عمار» هي أول رواية كتبها ثروت أباظة ونشرها عام ١٩٥٤ . (راجع الكتاب ــ ص ١٩ وما بعدها) .

(٤) راجع : محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس والعرب المتنصرين ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م ، ص ٤٣٥ وما بعدها . وانظر : علي أدهم ، المعتمد بن عباد ، مكتبة مصر ١٩٦٢ ، ص ٢٤٩ وما بعدها ، ويلاحظ أن كثيراً من الأدباء اهتموا بهذه الفترة ، وقد كتب «علي الجارم» رواية بعنوان «شاعر ملك ــ قصة المعتمد بن عباد» ، ولعل ذلك يرجع إلى خصوبة تلك الفترة بالأحداث ، وازدهارها بالعلم والأدب والفنون .

(٥) مؤلفات ثروت أباظة ، جـ ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م ، (رواية ابن عمار) ، ص ٧ ، ويلاحظ أن الرواية صدرت في طبعتها الأولى عن دار المعارف ، سلسلة «اقرأ» ١٩٥٤ .

(٦) الرواية : ص ٧ .

(٧) الرواية : ص ٢٩ .

(٨) الرواية : ص ٤٠ .

(٩) الرواية : ص ٥٧ .

(١٠) الرواية : ص ٢٣ ، وقد وصف ابن بسام في الذخيرة ابن عمار بقوله : «كان زير قيان وغلمان ، وصريع راح وريحان ، أمله شرب كأس وشم آس ، وجزله في نصب حباله لغزال أو غزالة حتى ثل ذلك عرشه وطأطأ من سموه» هذا الوصف من ابن بسام لايبعد كثيراً عن وصف الرواية ، وإن كان ابن بسام قد ركز على العنصر السلوكي الشخصي لابن عمار ، فهو في كل الأحوال ضائع ومضيع (راجع المعتمد بن عباد ـــ ص ١٥١) .

(١١) راجع الرواية : ص ٧٠ .

(١٢) الرواية : ص ٨٣/٨٤ .

(١٣) الرواية : ص ٤٦ .

(١٤) الرواية : ص ٤٧ .

(١٥) يبدو الكاتب مهتماً بتصوير أمثال هذه الشخصية في بعض رواياته وقصصه القصيرة ، تأمل على سبيل المثال بطل روايته «جذور في الهواء» ، وكيف انتقل من الحضيض ـــ بفضل التسلق والانتهازية ـــ إلى أعلى المناصب ، من خلال انتمائه للتنظيم السياسي القائم الذي تسانده السلطة .

(١٦) انظر نماذج لنجاحه وفشله على صفحات ١٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩٥ من الرواية .

(١٧) الرواية : ص ٧٢ – ٧٣ .

(١٨) راجع القصة على صفحتي ٥٠–٥١ من الرواية ، ويلاحظ أن للقصة وجهاً آخر نقله علي أدهم عن المراكشي في المعجب ، بيد أن الروميكا التي سميت فيما بعد باسم «اعتماد» كانت تتوق للخوض في الطين الذي يسير فيه الناس ، فصنع لها المعتمد تلك المعجنة من المسك وماء الورد . انظر : المعتمد بن عباد لعلي أدهم ص ١٠٣ ، واقرأ في الصفحة ذاتها قصة مماثلة تدل على مدى خضوع المعتمد لنزوات ورغبات روميكا .

(١٩) الرواية : ص ٤٩، وانظر ما بعدها ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢٠) الرواية : ص ٣٢ ، وقد نقل «علي أدهم» في كتابه صورة أكثر ثراء لروميكا (راجع المعتمد بن عباد ، صفحات ١٠١ ، ١٠٥) .

(٢١) الرواية : ص ٩ .

(٢٢) استعان الكاتب بالشاعر الراحل «العوضي الوكيل» الذي نظم مقطوعة منسوبة إلى ابن عمار ، راجع ص ١٥ وما قبلها .

(٢٣) يلاحظ أن «الجارم» يستشهد في رواياته التاريخية بالشعر ، ولا يتوقف كثيراً عند تذوقه أو بيان معالمه الجمالية ، ولكنه كان يبين أحياناً بعض عيوبه أو يفاضل بين نص وآخر معتمداً على الحس والانطباع .

(٢٤) الرواية : ص ٦٨ .

(٢٥) الرواية : ص ٧ .

(٢٦) الرواية : ص ٢١ .

(٢٧) الرواية : ص ٧٠ .

(٢٨) الرواية : ص ١٢ .

(٢٩) الرواية : ص ٥٩ وما بعدها .

(٣٠) الرواية : ص ٤٦ وانظر الصفحات ٤٥ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٤ .

(٣١) الرواية : ص ٤٣ .

(٣٢) انظر مثلاً : ص ٣٣ من الرواية .

(٣٣) الرواية : ص ٤١ .

(٣٤) أشار المراكشي في المعجب إلى هذا الحلم الذي رآه ابن عمار بلفظ «الهاتف» ، ونقله عنه علي أدهم في كتابه عن المعتمد (راجع ص ٩٧) .

سِفرُ السَّعادةِ وَسَفيرُ الإفادة

للسَّخاوي

بتحقيق محمد الدالي

عبد الإله نبهان

حمص - سورية

السخاوي ، علي بن محمد/سفر السعادة وسفير الإفادة ؛ تحقيق محمد أحمد الدالي .ـ دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ٢ ج : ١٠٨٨ ص ؛ ٢٥٤ فهارس .

اتجه التأليف اللغوي عند العرب في مسارات عديدة متزامنة ، كان منها التأليف في غريب القرآن الكريم ، وغريب الحديث الشريف ، وكان منها التأليف في المترادف والمتضادّ ، ومن جملة تلك الاتجاهات كان الاتجاه إلى التأليف في الأبنية ، وصحيح أن الأبنية شأنها شأن ألفاظ اللغة جميعاً من حيث اشتمال المعجمات عليها ، إلا أنها لأهميتها ، ولكثرة ذكرها والتمثيل بها في كتب النحو واللغة قد خصّها اللغويون بالتأليف ، ولسنا مجانبين للصواب إذا ما قلنا : إن كتاب سيبويه بما اشتمل عليه من نوادر الأبنية ، هو الذي فتح الباب للغويين للتأليف في هذا الميدان ، فقد اشتغل النحاة بأبنية سيبويه ، ونظراً لغرابة كثير منها فإنهم أفردوها بالتصنيف ، فنجد مثلاً أبا عمر صالح بن إسحاق الجَرْمي (توفي ٢٢٥ هـ) يصنّف كتاب (الأبنية) و(غريب سيبويه) . وأبا حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) يصنف «تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية» كما نجد أبا محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) يصنف (كتاب شرح أبنية سيبويه) وذُكر أيضاً أن لأبي العلاء المعرّي أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ) كتاب «تفسير أمثلة سيبويه وغريبها» كما نجد أبا بكر الزبيدي محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) يصنّف «الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات» .. كلّ هذا التراث مما ذكرناه ومما لم نُحط به خُبراً كان إرثاً خصباً غنيّاً مباركاً ، استمدّ المتأخرون منه مادتهم ، وعليها بنوا مؤلفاتهم ، فعلى هذا التراث المعجميّ الهائل بنى علم الدين السخاوي قسماً كبيراً من كتابه «سِفر السعادة» وبنى قسمه الآخر على ما وصل إليه من مجالس النحاة وغرائب المسائل مما سيأتي ذكره ، فمن هو علم الدين السخاوي ؟

إنه عليّ بن محمّد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب ابن غطّاس الهَمْداني السَّخاوي . والسَّخاوي نسبة إلى «سخا» ، بُليدة بالغربيّة من أعمال مصر ، ولد فيها سنة ٥٥٨ هـ وتلقى فيها مبادىء العلوم ، وغادرها سنة ٥٧٢ هـ إلى الإسكندرية فالقاهرة ، وفيها تلقّى العلم على كبار الحفّاظ وأعيان الشيوخ ، وكان في بداية عهده مالكيّ المذهب ، ولكنه انتقل إلى المذهب الشافعي، وسكن مسجد القرافة بالقاهرة ، وأمّ الناس فيه مدّة طويلة ، وعمل معلماً لأولاد الأمير ابن موسك الذي حمله معه فيما بعد إلى دمشق ، مما أتاح له أن يجالس علماءها وأئمتها ، ثم أدّى فريضة الحجّ عام ٥٩٨ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٦٤٣ هـ ودفن فيها بالتربة الصالحية .

قرأ السخاوي على أعلام عصره ، وحسبنا أن نذكر منهم أبا طاهر السِّلَفي (ت ٥٧٦ هـ) والشاطبيَّ أبا القاسم بن فيّره إمام القراء (ت ٥٩٠ هـ) وصاحب «حِرز الأماني» ، ونذكر أيضاً أبا اليمن الكِنْديّ زيد بن الحسن تاج الدين شيخ القرّاء والنحاة (ت ٦١٣ هـ) . وترك السخاويّ عدداً من المؤلفات المهمة ، منها ما لا يزال مخطوطاً ــ حسب علمنا ــ ككتابه «جمال القُرّاء وكمال الإقراء» و«المفضّل في شرح المفصّل» و«نظم الضوابط النحوية» وله أيضاً مؤلفات لم نعد نعرف عنها إلّا عنوانها ، وقد عددها إسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» كما ذكرها مترجموه في ترجماته . ومن كتبه التي أتيح لها أن تحقّق وتنشر وتُخدم كتابه «سِفْرُ السعادة وسفير الإفادة» .

الكتاب :

كنا ألمحنا إلى أن السخاويّ كان من شرّاح مفصّل الزمخشري ، الذي أقدم على شرحه عدد جمّ من الشراح ، ولأمرٍ ما ظنّ بعضهم أن كتاب سفر السعادة ما هو إلّا كتاب في شرح المفصّل ، ذكر ذلك بروكلمان في تاريخه ، وذكره أيضاً بأخرة عبد السلام

هارون . ثم أتيح لهذا الكتاب أن يظهر ، فقطعتْ جَهيزةُ قول كلّ خطيب ، وتبيّن أنّ الكتاب لا علاقة له بالمفصّل ، وإنما هو كتاب ينقسم إلى قسمين . فأمّا أولهما فقد قسمه مؤلفه إلى ثمانية وعشرين باباً ، على حروف الألفباء ، بادئاً بالهمزة منتهياً بالياء ، بعد مقدّمة وجيزة ، أنبأ فيها عن مضمونه وأفصح عن غاياته ، فذكر أن هذا الكتاب «سفر السعادة وسفير الإفادة يتحفك بالمعاني العجيبة ، ويقفك على الأسرار الغامضة الغريبة ، ويسلك بك إلى مُرادك المسالك القريبة ... شرحت فيه معاني الأمثلة ومبانيها المُشكلة ، وأودعته ما استخرجته من ذخائر القدماء وتناظر العلماء ، وختمته بأغرب نظم وأسناه ، فيما اتّفق لفظه واختلف معناه ، وأضفت إلى الأبنية ألفاظاً مستطرفةً ، واقعة أحسن المواقع عند أهل المعرفة ، ورتبت الأبنية على الحروف» .

واتخذ المؤلف — رحمه الله — من ترتيب الألفباء منهاجاً ، ولكن يجب أن نذكر ههنا أنه لم يكن دقيقاً في ترتيب الأبنية داخل الحرف الواحد ، فقد كسر نظامه في عدد من المواضع لأنه لم يراع ثواني الأبنية وثوالثها . ويمكننا الآن أن ندلف إلى معرفة هذا الجزء .

كان المؤلفون في الأبنية الذين أُتيح لنا الاطّلاع على كتبهم يكتفون بذكر البناء وذكر معناه فقط ، فأبو حاتم السجستانيّ يذكر لنا مثلاً أن الشِّمْلال هي الناقة السريعة ، وأنّ القَرْدَدَ هو الطريق الواسع ، وأن الحَوْصَلاء هي الحوصلة ، وأن الخَنْفَقِيق هو الداهيةُ ، ولم يقدّم ابن الدهان النحوي في كتابه شرح أبنية سيبويه أكثر مما قدّمه أبو حاتم على صعيد المعنى ، بينما أدخل النظام والترتيب فرتب الأبنية حسب الحروف ، فهو يخبرنا مثلاً أن الفاتور هو الماء الفاتر ، وأنّ الفِردوس اسم للجنّة ، وأن الجَحْمَرِش هي العجوز ... أما مؤلفنا السخاوي فإنه يقدّم البناء بمعناه اللغوي مع خلاصة موجزة تشتمل على جماع ما قاله اللغويون والنحاة في هذا البناء . فقد بدأ أبنيته باسم الجلالة (الله) فذكر في بضع صفحات أقوال العلماء ومذاهبهم في هذا البناء ، فالخليل بن أحمد وسيبويه ذهبا إلى أنّ أصله : إلاه ، مثل : كِتاب ، ثم دخلت الألف واللام عليه فقالوا : الإلاه ، ثم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام ، ثم أدغموا اللام في اللام فقالوا : الله تبارك وعلا . وشبّه سيبويه هذا بقولهم : أُناس ، ثم أدخلوا الألف واللام ، فقالوا : الأُناس ، ثم قالوا : الناس . وأورد السَّخاويُّ هنا نقولاً عن الزجّاج وعن الجوهري وعن غيرهم ، ثم عرض للرأي الثاني الذي ذهب إلى أنّ أصل كلمة (الله) : لاه على وزن فَعَل مثل : ضَرَبَ ، ونسب هذا الرأي إلى أبي العباس المبرّد ، الذي ذهب إلى أنّ الألف واللام دخلتا عليه تعظيماً له وإبانةً له عن كل مخلوق . ثم ذكر الرأي الثالث الذي ذهب إليه بعضهم وهو كون أصله : وِلاه ، وأبدلت الواو همزةً كما قالوا في وِسادة : إسادة . ثم ذكر القول الرابع الذاهب إلى أن (أله يأله) إذا تحيّر ، لأنّ العقول تألّه عند التفكّر في جلاله أي تتحيّر . أمّا القول الخامس فقد نحا إلى أن لفظ الجلالة إنما هو من أله يأله إلاهة بمعنى عبد يعبد عبادة . والتألّه : التعبّد ، وقد ورد هذا في قول رؤبة :

لله درّ الغانيـــاتِ المدّهِ سبّحْنَ واسترجَعْنَ من تألّهي

أي تعبدي . فمعنى الإله هو المعبود ، وأورد السَّخاوي أقوالاً أخر في اشتقاق لفظة الجلالة ، واتجه إلى إقرار الرأي الذي ورد عن الخليل في غير رواية سيبويه بأن (الله) اسمٌ علمٌ غير مشتق ، لا يجوز حذف الألف واللام عنه كما يجوز من الرحمن الرحيم . وذهب إلى هذا القول جماعة من أهل العربية ، وجماعة من الفقهاء منهم الشافعيُّ وأبو حنيفة ومحمّدُ بن الحسن ، قالوا : هو اسمٌ علمٌ غير مشتقٍ من شيء . وهنا قال السخاوي : «وهذا الذي حكيناه عن الفقهاء ، ومَنْ وافقهم هو الذي يعوّل عليه ، ويجب المصير إليه ، لأنّ ما تقدّم من الأقوال ظنٌ وتخمينٌ لا دليل عليه» ويتتالى البحث في الأبنية على هذا النحو من الدقة ، وإن كان يتّجه في بعضها إلى الإيجاز الشديد والاختصار ، فنجده مثلاً يتسع في بناء (أحمد وآدم وإِرْزَبّ وأوّل) والإرزبّ : الغليظ الضخم ؛ بينا لا يتجاوز كلامه في بناء (الأُرْدُنّ) كُليمات معدودة ، قال : الأُرْدُنّ : نهرٌ معروف ، وتُسمّى تلك الكُورة أيضاً بذلك قال :

حَنَّتْ قَلُوصي أمسِ بالأُرْدُنِّ

على أن المؤلف سار في سائر الأبنية على سَنَنٍ من الاعتدال ، فلم يطنب فيها إطنابه في الحديث عن اسم الجلالة ، ولم يوجز كلامه دائماً كما أوجزه في بناء (الأُرْدُنّ ورَضْوَى) فنجده مثلاً يقف عند كلمة «تَرَنَمُوت» فيقول : هو ترنُّمُ القوس ، وهو من قولهم : ترنّم يترنّم إذ رجّع صوته ، والترنيم من ذلك . والواو والتاء فيه زائدتان كما في : ملكوت . ووزنه : تَفَعَلُوت . وقال يصف قوساً :

تُجَـاوِبُ الصوتَ بتَرْنَمُـوتها تستخرج الحبّة من تابوتها

يريد حبّة القلب .

وهذا المثال يمثل نمط الاعتدال الذي سار عليه المؤلف . وأهم المصادر التي اعتمدها السخاوي في هذا الجزء هي معجم صحاح اللغة للجوهري وكتاب أبي عمر الجَرْميّ في الأبنية ، وكتاب الاستدراك على أبنية سيبويه للزبيدي ، والمعرّب لأبي منصور الجواليقي ، والمنصف في شرح تصريف المازني لابن جنّي ، وسرّ صناعة الإعراب لابن جني أيضاً ، وكُتب أبي عليّ الفارسي ، وكتاب جمهرة اللغة لابن دريد ، والاشتقاق له أيضاً ، وغير ذلك من معجمات اللغة وكتبها ، ككتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، والاقتضاب لابن السيد ، والغريب المصنّف لأبي عُبيد .

واختتم السخاوي الجزء الأوّل من كتابه ببناء «اليهيرّى» بمعنى

الكذب ... ثم قال : «هذا آخر الكلام في الأبنية وما اتّصل بذلك من تفسير ألفاظ عربيّة ، وتبيين مسائل أدبية» ثم مهّد للجزء الثاني بقوله : «وقد رأيت أن أصل ذلك بتُحف ممّا جرى بين النحاة ، وبفوائد تفرح قلب مَنْ قصد هذا العلمَ ونحاه» ومن الجدير بالذكر أن عدة الأبنية في هذا الكتاب بلغت — كما ذكر محققه — نيّفاً وثلاثين مثالاً وثمانمائة مثال ، ثم قال — أي المحقق — : «ولا أعرف أحداً فيما وقفت عليه من كتب القوم ، تقدّم المؤلف إلى هذا الترتيب ، وهو عمل شاقّ عسير لا يُؤمن فيه أن يفوت مَنْ يتصدى له أمثلةٌ كثيرة»

ويمكن أن نستعرض الآن الجزء الثاني الذي اشتمل على تُحف مما جرى بين النحاة ، فقد ذكر فيه المؤلف المناظرة المعروفة التي جرت بين سيبويه والكسائي في مجلس البرامكة ، وهي المشهورة باسم «المسألة الزُّنبورية» لأنها انصبّت على هذا القول : «قد كنت أظنّ أن العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبور فإذا هو إياها» وأصر سيبويه على أن الصواب : فإذا هو هي . ولا أحد اليوم يشك في أن الصواب كان وما زال فيما ذهب إليه سيبويه ، ولكن «أعراب الحُطمية» نصروا الكسائيّ ففلج على سيبويه بغير حق . وأتبع السخاوي هذه المناظرة بذكر مسألة سأل عنها ابنُ أبي زيدٍ الفصيحيُّ أبا محمد القاسم بن عليّ الحريري . وأتبع ذلك بذكر ست مسائل جرت بين أبي جعفر النحاس وبين أبي العباس بن ولّاد . وأغنى السخاوي كتابه بعد ذلك بذكر طرف من أبيات المعاني . والتأليف في أبيات المعاني نمط معروف في تراثنا ، ومن أشهر الكتب التي تمثله : كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، وكتاب معاني الشعر للأشناندانى، ولم يشأ السخاوي لسفر السعادة أن يخلو من فوائد في هذا الباب ، فذكر طائفة من أبيات تحتاج إلى إيضاح وتبيين نظراً لما فيها من غموض ، فمن ذلك مثلاً بيت الكُميت بن زيد الأسدي :

بني ربّ الجواد فلا تفيلوا فما أنتم فنعـذِركم لِفيـل

وفسّر هذا البيت بقوله : «أراد يابني ربّ الجواد ، أي يابني ربيعة الفرس ، لأن ربيعة الفرس بمعنى صاحب الجواد ، ويقال : رجلٌ فِيلٌ أي مخطيء الرأي ، والجماعة أفيال ، وقد فال رأيه أي أخطأ» ولم يقتصر السخاوي في أبيات المعاني على توضيح المعنى وتفسيره، ولكن تطرّق الأمر إلى الإعراب ، في بعض الأبيات ، فمن ذلك بيت الأعشى :

أرى رجلاً منكم أسيفاً كأنما يضمّ إلى كشحيه كفّاً مخضبا

قال : (إن شئت جعلت «أرى» من رؤية القلب ، فيكون منكم مفعولاً ثانياً ، وإن جعلته من رؤية العين ، فهو منصوب صفة لـ «أسيف» و «مخضّبا» صفة لكف ، والكفّ مؤنثة ، ومجازه أن التأنيث غير حقيقي ، ولك أن تتأوّله بمعنى العضو كما تأوّلت في قوله :

.... ولا أرض أبقل ..

ويجوز أن تجعل «مخضباً» صفة لرجل ، أو تجعله حالاً من الهاء في كشحيه).

وأتبع السخاوي أبيات المعاني بنقول نقلها عن النحاة ، وأهميتها أنّ منها ما انفرد بنقله ، وعُدّ المصدر الوحيد له حتى الآن ، فمن ذلك مثلاً كلام أبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي الذي ذكره السخاوي ، ولا نعرف له مصدراً آخر حتى الآن إلّا في سفر السعادة ، فمن ذلك قول أبي اليمن : «وعطف البيان يتعلق بالاسم تعلّق الصفة ، ويفارق الصفة بأنه غير مشتق ، فإذا كان الاسم مشتقاً أو في معنى المشتقّ سمّاه النحويون صفة ، وإذا كان جوهراً غير مشتقّ سمّوه عطف بيان .

والجوهر عندهم من الأسماء ما كان غير مشتقّ ، فمن ذلك قولهم : مررت بهذا زيدٍ ، وقام هذا زيد» ونقل السخاوي مسائل أخر عن أبي الفتح بن جني وعن ابن برّي وغيرهم .

ثم أتبع السخاوي ذلك بذكر المسائل العشر المتعبات إلى الحشر ، وهي مسائل لأبي نزار الملقّب في زمانه بملك النحاة ، وهي ضرب من المسائل المعقّدة التي كان النحاة الكبار يبدون براعتهم ، ويظهرون قوة عارضتهم من خلال مناقشتها وتحليلها واستعراض آراء المخالفين والردّ عليها ، وقد لا تكون بعض المسائل على تلك الدرجة من التعقيد التي يوحي بها العنوان ، وسأذكر مثالاً لذلك أقصر مسألة ذكرها السخاوي ، وسأجعلها ملحقة بآخر البحث .

وبعد المسائل العشر ذكر السخاوي طرفاً من أحكام المبنيات ، فخص طائفة من الأسماء المبنية بالذكر والحديث ، فتحدث عن حيث ومنذ وأين وكيف والآن ، وذكر من الأفعال الفعل الماضي ، وأشار إلى علّة البناء في المبهمات والمضمرات ، على نحو موجز قال «والمبهمات والمضمرات ، علّتهما في البناء سواء ، وهو أنهما لا يلزمان ما يرجعان إليه ، ويقعان عليه ، وليس كذلك الأسماء ، فلمّا خرجا عمّا عليه الأسماء بُنيا ، وأن شئت قلت : شابها الحرف فبنيا ، وذلك لافتقارهما ، والضمائر كالمبهمات ، والأصوات مبنياتٌ كلها ، لأنّها مدّات كأصوات المزامير» .

وذكر السخاوي طرفاً من علوم القافية أتى به منظوماً وقفاه بشرح موجز ، وختم كتابه بإيراد قصيدة في ٢٤٣ بيت سمّاها «ذات الحُلل ومهاة الكِلَل» وقال فيها إنها «تغرّ بالألفاظ المؤتلفة ، وتسرّ بالمعاني المختلفة ، تخدع سامعها خدْع الساحر ، وتُجنّ في باطنها خلاف الظاهر ، لها وجهان معشوقان ، ولسانان موموقان ، تتلوّن في أثوابها ، وتتفنن في مخارج أبوابها ، فإن أضلّك ظاهرها وحيّر ، دلّك باطنها وخبّر» والقصيدة اشتملت على كثيرٍ من

الكلمات التي لها معنى بعيد وآخر قريب ، أو لنقل لها معنى غريب يندر استعمال مثلها في مثله ، ومعنى آخر مألوف يكثر استعمالها فيه ، فيستخدمها المؤلف في الوجه البعيد الذي لا يتهدّى إليه إلا بعد الشرح والتفسير ، والبحث في المعجمات والتنقير ، ومن ذلك قوله :

سأخبر بالغريب من المعاني وأطرف بالعجيب السامعينا
بأمّ بيـــنَ مَرْجِعُهـــم إليها وما وَلَدتْ ولا حملت جنينا

ويقدّم السخاوي شرحاً للبيت الثاني فيقول : «الأم : الراية التي معها الجيش ، وهو المراد بالأم هنا ، والأم أيضاً : المفازة البعيدة ، يقال لها : أم التنائف ، وأمّ المثوى : صاحبة المنزل . والأم : الأصل ، والأمّ : رئيس القوم ، وأمّ النجوم : المجرّة» فقد افتتح السخاوي لنفسه باباً بتفسير قوله «أم بنين» واستطرد لذكر المعاني المختلفة للفظ «أم» . وبعض أبيات هذه القصيدة يمكن أن تدخل في عداد الألغاز التي تحتاج بالإضافة إلى المرجع اللغوي ، إلى الثقافة الفقهية لفهمها على وجهها ، فمن ذلك هذان البيتان :

وأمٌ لم تزل تؤتى حراماً وحِلّاً لا تعيب الواطئينا
إذا ما الحطّ عنها ابنٌ أتاها أبوه وعدّ ذلك منه دينا

وظاهر الأبيات أنّ الأمّ المذكورة ترتكب أشنع الفواحش وتنتهك المحرمات ، ولكن الشارح يقدّم لنا التفسير الآخر البعيد كلّ البعد عن هذا المعنى فيقول :

«المراد : أم الطريق وهي معظمه ، والحرام : أرض الحرم . والحِلّ : ما سوى ذلك ، أي يطؤها الناس في أرض الحِلّ وأرض الحرم ، الابن وأبوه وغيرهما ، وإذا كانا في سفر طاعة لله عزّ وجلّ كالحجّ وزيارة النبي ﷺ ونحو ذلك ، فذلك معدود في الدّين» وكان المؤلف في أثناء شرح هذه القصيدة يستطرد إلى ذكر أمثلة وشواهد أخرى تتّصل بسببٍ من الأسباب بسياق الشرح ، فقد استطرد مثلاً لدى شرحه كلمة (الخال) إلى ذكر قصيدة في ٢٨ بيتاً ينتهي كلّ منها بكلمة (الخال) ، وشرحَها كلها ، فلا عجب أن امتدّت قصيدة ذات الحلل وشرحها لتشغل حوالي مائتي صفحة من صفحات الجزء الثاني ، وبها انتهى كتاب سفر السعادة وسفير الإفادة .

ولابد لنا ههنا من أن نذكر أن مصادر المؤلف في الجزء الثاني كانت الكتب التالية أسماؤها : جواب المسائل العشر لابن برّي ، وهو الرادُّ على ملك النحاة أبي نزار ، وكتاب آخر لابن برّي لم يسمّه المؤلف ، وكتاب معاني الشعر للأشناندانى ، وكتاب القوافي للأخفش وكتاب مجالس العلماء للزجاجي ، والكامل للمبرّد ، والصاهل والشاحج للمعرّي ، وديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ... وغير ذلك من الكتب التي قد يتهدّى إليها بمراجعة الكتاب ومدارسته .

التحقيق :

ولقد بات من اللازم بعد أن اتضحت طبيعة كتاب سفر السعادة ، أن ينهض بعبء تحقيق هذا الكتاب محقّقٌ كفء خبير بالتراث ، وبزواياه وخفاياه وخباياه .

ومن هذا المنطلق انتدب محمد أحمد الدالي نفسه لهذا العمل ، وقدّم ثمرة السنوات الطوال إلى مجمع اللغة العربية بدمشق ، فرأى المجمع بين يديه ثمرة ناضجة وعملاً غميساً بالجهد والتعب ، فأدرجه في عداد منشوراته لعام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ، فما الذي قدّمه المحقق للكتاب ؟

إذا ما تركنا جهد المحقق في جمع ما استطاع جمعه من مخطوطات الكتاب واختيار أقدم النسخ ، وتركنا جهده في مقارنة النسخ بعضهابعض ، وما هو بالجهد النزر ، ولا الجهد الذي يمكّن لناقدٍ أن يتغاضى عنه ، بل إن كثيراً من المحققين سقطوا في هذه المرحلة ، إذا تركنا هذا كلّه مما نعدّه ألفباء التحقيق فماذا نجد ؟

إن أهمّ ما نجده زيادةً على العناية بالضبط وتخريج الشواهد تخريجاً متقناً ، هو عرضه مادّة الكتاب على الأصول التي استقى منها المؤلف مادته ، سواء منها المخطوط والمطبوع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ومن الفوائد المترتبة على هذا العمل الشاق أنه يساعد على تصحيح ما يقع من التصحيف والتحريف عادة على أيدي النسّاخ بفضل تطاول الزمن والابتعاد عن الأصل ، كما يساعد على إعادة ما سقط إلى موضعه ، ولم يكن المحقق ضنيناً بالتعليق ، صحيح أنه اعتمد الإيجاز الشديد ، لكنه أيضاً لم يدع مشكلةً أو موضعاً مما يحتاج إلى تعليق إلا أعطاه حقّه ، كما أنه لم يسمح لنفسه بأن يغيّر كلمة في الأصل حتى ولو كانت خطأً ، فإنه أثبتها كما هي ، ونصّ في الحاشية على ما يراه صواباً . وإذا كان التحقيق المتقن يتطلب خاتمةً فإن مسك الختام هو الفهرس المتقن . وحسناً فعل المحقق عندما ألحق بالمجلدين مجلداً صغيراً في (٢٢٥) صفحة ، ضمّنه فهارس تفصيلية لموادّ الكتاب ، ففهرسَ الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث والآثار النبوية الشريفة ، وفهرس الأمثال والأشعار والأرجاز ، وصنع فهرساً للأبنية الواردة في الجزء الأوّل ورتّبها على الحروف (الألفباء) وخصّ ألفاظ قصيدة ذات الحلل بفهرسٍ خاص ، وصنع فهرساً للغة ، وآخر للمسائل النحوية والصرفية والعروضية والمسائل النحوية .

ورأى المحقق بين يديه فوائد وشوارد جديرة بالإفراد ، فأفردها بالفهرسة وصنع فهرساً للكتب التي ذكرها المؤلف ، وتلا ذلك فهرس للأمكنة وآخر للأعلام مع إحالة موجزة إلى موضع ترجمة كل علم من الأعلام . ويعدّ هذا المجلد الصغير دليل القارىء والباحث معاً إلى ما جلّ وما استدقّ في هذا السفر الذي هو حقاً سفرٌ من أسفار السعادة .

وسنجعل خاتمة القول في ذكر المسألة التاسعة من المسائل العشر المتعبات إلى الحشر ، وهي مسألة غير عويصة ، وربما كان سبب إيرادها بين تلك المسائل العويصة هو كثرة خلاف النحاة فيها :

المسألة التاسعة :

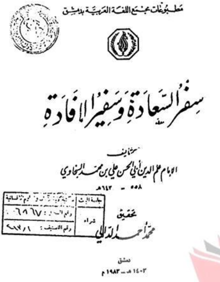
[قال أبو نزار : سُئلتُ في بغداد عن قول الشاعر :

غيرُ مأسوفٍ على زمنٍ ينقضي بالهمّ والحَزَنِ

فلم يُعرفْ وجه رفع «غير» وأوّل مَنْ أخطأ فيه شيخنا الفَصيحي رحمه الله ، فعرّفته ذلك ، والذي ثبت الرأي عليه أن المعنى : لا يؤسف على زمنٍ ، فـ «غير» مرفوع بالابتداء ، وقد تمّ الكلام بمعنى الفعل فسدّ تمامُ الكلام وحصول الفائدة مسدَّ الخبر ، ولا خبر في اللفظ ، كما قالوا : أقائمٌ أخواك ، والمعنى : أيقوم أخواك ؟ فـ «قائم» مبتدأ ، وسدّ تمام الكلام مسدَّ الخبر ، ولا خبر في اللفظ .

فقيل له : قد عجبنا أن أخطأت مرّةً بالصواب ، وجريت في توجيه هذه المسألة عن سنن الإعراب] .

ومن الجدير بالذكر أن البيت المتقدم ذكره منسوب لأبي نواس في مغني اللبيب وشرح أبيات المغني للبغدادي . والبيت ليس في ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي .


مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

سفر السعادة وسفير الإفادة

تأليف

الإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي

٥٥٨ - ٦٤٣هـ

تحقيق

محمد أحمد الدالي

دمشق

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مدخل عام لعلوم وتقنيات المعلومات والتوثيق

لجينشا ومينو

حشمت قاسم

قسم المكتبات والوثائق - كلية الآداب - جامعة القاهرة

جينشا ، كلير وميشال مينو/مدخل عام لعلوم وتقنيات المعلومات والتوثيق ؛ ترجمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .ـ تونس : المنظمة ، ١٩٨٧ ، ٤٠٣ ص .

تمهيد :

في إطار جهودها الرامية لتوفير مقومات التأهيل والتنمية المهنية في مجال المكتبات وتنظيم المعلومات ، أصدرت اليونسكو الطبعة الفرنسية من هذا الكتاب عام ١٩٨١ ، ثم تضافرت جهودها مع جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في إصدار الطبعة العربية التي نعرض لها ، عام ١٩٨٧ ، حيث تكفلت المنظمة العربية بمهمة الترجمة ، بناء على طلب اليونسكو التي عاونت في تمويل النشر . وكما ورد في تقديم الطبعة العربية ، فقد «تولت إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة إسناد هذا العمل إلى متخصصين في مجال التوثيق بالتعاون مع مركز التوثيق القومي بتونس . وقد أسهم هؤلاء في الترجمة واختيار الأمثلة والنماذج وتم ذلك تحت إشراف المنظمة» . ويعد هذا العمل نموذجاً طيباً للجهد المشترك ، سواء في طبعته الفرنسية أو في ترجمته العربية . ونودّ قبل الحديث عن هذا الكتاب وترجمته العربية

الإشارة إلى السياق العام الذي ظهر فيه .

يلاحظ المتتبع لنشاط اليونسكو أنها تعد أكثر المنظمات الدولية اهتماماً بالمكتبات وتنظيم المعلومات ، وخاصة في الدول النامية ، والشواهد على ذلك كثيرة في برامج عمل المنظمة ومشروعاتها ومؤتمراتها ومطبوعاتها ، وما تقدمه من دعم ومساعدات مباشرة لبعض الدول . وإذا ما اتخذنا المطبوعات دليلاً على ما تبذله المنظمة من جهد ، فإننا نجد مطبوعات اليونسكو في مجال المكتبات وتنظيم المعلومات متنوعة ، تتراوح ما بين تقارير البعثات الميدانية ونتائج البحوث الاستكشافية ، مروراً بأعمال المؤتمرات والتقارير القطرية حول أوضاع المكتبات ومرافق المعلومات في بعض المجتمعات ، والخطط المستقبلية للنهوض بهذه المرافق ، وأدوات العمل المهني ، والموجزات الإرشادية التي تركز على بعض قطاعات العمل في المجال ، والأعمال الشاملة التي تتناول قضايا تنظيم المعلومات على المستويين الوطني والعالمي ، والكتب الدراسية ... وغيرها من أدوات التنمية المهنية . وبعض هذه الأعمال تنتظمها سلاسل متصلة . هذا بالإضافة إلى المجلة القيمة التي كانت تمثل منبراً عالمياً للمتخصصين في المجال ، التي كانت تترجم إلى العربية طوال ما يزيد عن العقد بقليل ، ثم توقفت عام ١٩٨٣ دون سبب معلوم ، وهي «مجلة اليونسكو للمكتبات» التي تغير اسمها إلى «مجلة اليونسكو للمكتبات وعلم المعلومات وإدارة المحفوظات» .

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإنها تقوم من خلال إدارة التوثيق والمعلومات بجهد مشكور في رعاية المجال في الوطن العربي ، كما أصدرت العديد من المطبوعات المتخصصة ، المؤلفة منها والمترجمة إلى العربية ، بالإضافة إلى «المجلة العربية للمعلومات» إلا أن الكتاب الذي نحن بصدده اليوم يعتبر — في حدود علمي — أول كتاب شامل في المكتبات وتنظيم المعلومات يصدر عن المنظمة .

السياق العام والأهداف :

وفي سياق الاهتمام بالتأهيل المهني والتعليم المستمر أو التنمية المهنية في مجال المكتبات وتنظيم المعلومات ، يبرز أمامنا من بين مطبوعات اليونسكو كتابان ، يسيران على النهج نفسه ، ويتجهان إلى الهدف نفسه ، مع اختلاف في المستوى يحقق التكامل فيما بينهما . أما الأول فقد قامت بتحريره بولين أثرتون ، وصدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٧٧ بعنوان : "Handbook for information systems and services" وقد قمنا بترجمته ، ونشر في القاهرة بعنوان : «مراكز المعلومات : تنظيمها وإدارتها وخدماتها» . عام ١٩٨١ . أما الكتاب الثاني فهو «مدخل عام لعلوم وتقنيات المعلومات والتوثيق» الذي نحاول التعريف به في هذه السطور .

قلنا إن العلاقة بين الكتابين — على الرغم من اتفاقهما في الموضوع — علاقة تكامل ، حيث يخاطب كل منهما مستوى مهنياً بعينه ؛ فإذا كان كتاب بولين أثرتون يخاطب دارسي المعلومات والعاملين بمرافق المعلومات في الدول النامية ، ممن يمكن أن يعهد إليهم بمهمة التخطيط والتطوير ، فإن الكتاب موضوع اهتمامنا في هذه السطور موجه «للمبتدئين من أبناء الدول النامية الذين يعملون في وحدات المعلومات دون تدريب أساسي سابق في علوم وتقنيات هذا المجال». وتأكيداً لعلاقة التكامل نسجل أن كتاب أثرتون يعد موجزاً إرشادياً لمن يضطلعون بمهام إدارة مرافق المعلومات لأول مرة ، حيث يتعين عليهم اتخاذ القرارات المالية والإدارية والتنظيمية . ومن ثم فإنه يفيد في إلقاء نظرة شاملة على المجال تغطي قضايا التخطيط الاستراتيجي للمعلومات ، وإدارة مرافق المعلومات ، بالإضافة إلى الإجراءات الفنية ، وقضايا التوحيد القياسي وتأهيل العاملين ، وقد نشأت فكرة هذا الموجز الإرشادي من الحاجة إلى تجميع مفاهيم المجال وممارساته ، وعرض هذه المفاهيم والممارسات في شكل موجز مبسط ، وكذلك النظر في أنشطة تنظيم المعلومات في سياق نظام تدفق المعلومات من المنتج إلى المستفيد ، والحاجة إلى تشجيع الجهود التعاونية على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية .

أما كتاب جينشا وميتو فإنه يهدف — كما ورد في التمهيد — إلى إتاحة الفرص للقارىء للحصول على تدريب متخصص أثناء ممارسة عمله ، وذلك بالتوعية بالغرض الأساسي للأنشطة التي يكلف بأدائها ، وعلاقة هذه الأنشطة بالوسائل المستخدمة في مجال تنظيم المعلومات . هذا بالإضافة إلى تقديم وصف دقيق لمختلف العمليات والأدوات والمفاهيم الخاصة بنظم المعلومات . ويؤكد المؤلفان على أن هذا الكتاب لا يمكن بحال أن يكون بديلاً عن التدريب الأساسي الذي لا غنى عنه بالنسبة لكل من يعمل في مرافق المعلومات . فهو إذن علاج مؤقت لمواجهة القصور الناجم عن عدم توافر فرص التدريب المناسب . ولايهدف هذا الكتاب إلى إكساب القارىء مهارة خاصة ، وإنما تقتصر مهمته — بالطبع — على توضيح العمليات الفنية ، ووضع هذه العمليات في إطارها المتكامل ، ذلك لأن اكتساب الخبرات العملية لا يتحقق إلا بالممارسة والتدريب أثناء العمل . ومن أهداف هذا الكتاب أيضاً تشجيع المبتدئين وإحاطتهم بآفاق المهنة التي يمكن أن تجتذب اهتمامهم .

القائمون على الكتاب :

ورد في التمهيد أن فكرة إعداد هذا الكتاب قد نشأت في لقاء جمع المسئولين عن برامج التدريب في كل من النظام الدولي للمعلومات

النووية اينس INIS والنظام الدولي لمعلومات البحوث الزراعية أجرس AGRIS والنظام الدولي للمعلومات العلمية والتقنية يونيسست UNISIST ، حيث لاحظ هؤلاء تفاوت مستوى كفاءة المشاركين في الدورات التدريبية في التوثيق والمعلومات ، على الرغم من العناية المبذولة في اختيارهم ، سواء أكانت هذه الدورات تنظم على المستوى الوطني أو الإقليمي أو الدولي . كما لاحظوا أيضاً أن مرافق المعلومات ، وخاصة في الدول النامية ، غالباً ما تضطر لتعيين عاملين مفتقرين إلى التدريب المناسب والخبرة الكافية في المجال . «ومن هنا بدت الحاجة واضحة إلى إعداد كتاب مبسط» يلبي حاجة هذه الفئة من العاملين في مرافق المعلومات . وبادرت اليونسكو بالتعاقد مع ميشال مينو على وضع الخطة المفصلة لهذا الكتاب ، وعاونه في ذلك ثلاثة من المتخصصين بينهم اثنان من العاملين في نظامين دوليين لاسترجاع المعلومات ، وهما الاينس INIS والأجرس AGRIS ويرتبط الثالث بنظام اليونيسست . ثم عهد بعد ذلك بمهمة التحرير لكل من كلير جينشا وميشال مينو ، يعاونهما الثلاثة المشاركون في التخطيط بالإضافة إلى أربعة عشر خبيراً آخرين ، معظمهم من أعضاء لجنة وبرامج التدريب والتأهيل ، ومن بينهم عدد من الخبراء العرب ، وبعض الأسماء المألوفة في مجال تنظيم المعلومات مثل فلاديمير سلاميكا V. Slamecka ونيلاميغان Neelameghan وهارولد بوركو H. Borko . ويمكن القول بأن هذا الكتاب حصيلة جهد تسعة عشر خبيراً بما فيهم المؤلفان اللذان يتحملان مسئولية إخراج العمل في صورته هذه ، فضلاً عن المساعدات الإدارية والتنظيمية التي قدمتها اليونسكو بالطبع .

وبقدر وضوح المسئوليات وتحديدها في الطبعة الفرنسية فإن مسئولية إعداد الترجمة العربية تبدو موزعة على ثلاثة أطراف ، وهي إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وعدد من المتخصصين في مجال التوثيق ومركز التوثيق القومي بتونس ، دون تحديد واضح للأدوار . ولا زلنا نتساءل عن سر إغفال ذكر أسماء المشاركين في مثل هذا العمل المهني أياً كان دورهم .

محتويات الكتاب :

بالإضافة إلى المقدمات يشتمل الكتاب على سبعة وعشرين فصلاً تتناول جميع أوجه النشاط في مرافق المعلومات ، سواء أكانت هذه الأنشطة تتصل بالمدخلات أو المخرجات أو إجراءات التجهيز الفني . هذا بالإضافة إلى أنواع الوثائق التي تهتم بها هذه المرافق ، وبعض القضايا الإدارية والتنظيمية الخاصة بالتنسيق والتعاون في خدمات المعلومات على المستويين الوطني والعالمي ، فضلاً عن بعض القضايا العلمية والمهنية العامة للمجال كالتدريب والتأهيل والبحث . وتشغل مقدمة الكتاب إحدى وعشرين صفحة ، وهي تمهيد عام للمجال من المنظورين التاريخي والمعاصر ، يبدأ بوضع مرافق المعلومات في سياقها العام وهو نظام الاتصال ، مبيناً مكونات هذا النظام ، ومشيراً في ذلك إلى دور مرافق المعلومات ، وأهمية المعلومات في مختلف مجالات النشاط ، والجهود الرامية للتحكم في تدفق المعلومات ، وتفجر المعلومات ، ودور تقنية المعلومات في التخفيف من حدة هذا التفجر . ثم يتناول بعد ذلك المكونات والوظائف الرئيسية لمرافق المعلومات والعمليات الفنية للاقتناء والتنظيم والبث ، ويبين كيف تختلف صورة هذه المرافق المعاصرة عما كانت عليه في عصور سابقة . وينتهي هذا الفصل التمهيدي بالإشارة إلى دور البحث الأساسي في مجال تنظيم المعلومات ، وجهود التأهيل والتدريب الرامية إلى توفير الموارد البشرية القادرة على الاضطلاع بمهامها الوظيفية في المجال . وقد ألحق بهذا الفصل قائمة مراجع تضم سبعة عشر مرجعاً ، منها أحد عشر مرجعاً بالفرنسية وستة مراجع بالإنجليزية . ومعظم المراجع الفرنسية صادرة عن منظمات إقليمية أو دولية ، وتتوافر منها طبعات إنجليزية . ومن بين المراجع الواردة في هذه القائمة ١٢ مرجعاً ، أي حوالي ٧٠,٦٪ صادرة في السبعينيات ، وأربعة مراجع ، أي حوالي ٢٣,٥٪ صادرة في الستينيات ، ومرجع واحد فقط صادر في الأربعينيات . وبمقارنة المراجع الواردة في هذه القائمة بالمراجع المستشهد بها في هوامش صفحات الفصل ، يتبين وجود عدد كبير من المراجع التي لم يتم الاستشهاد بها .

ويتناول الفصل الثاني «أنواع الوثائق» ويبدأ بتحديد المقصود بالوثيقة في هذا السياق ، ثم يعرض بعد ذلك للخواص التي يمكن اعتماداً عليها التمييز بين الوثائق ، وتشمل الخواص المادية ، وطرق التعبير عن المحتوى ، وطريقة إنتاج الوثائق ، وأنماط استخدام الوثائق ، وأهدافها ، ومستويات إعدادها ، وحدود تداولها ، والشروط التي ينبغي توافرها في الوثيقة ، وعمر الوثيقة . ويشغل هذا الفصل اثنتي عشرة صفحة .

والفصل الثالث مكمل للفصل الثاني ، حيث يشتمل على «تعريف بأهم أنواع الوثائق» . ويشتمل هذا الفصل على تعريف لخمسين مصطلحاً من المصطلحات المتصلة بأشكال أوعية المعلومات . وقد وردت هذه المصطلحات بالعربية في ترتيب هجائي دون تسجيل المقابل بأي لغة أخرى . وربما كان من الأفضل ، وخاصة في هذه المرحلة التي نحاول فيها البحث عن المقابل العربي المناسب لمصطلحات المفاهيم الجديدة ، ربط المصطلح العربي بما

يقابله في اللغات الأخرى . وكثير من تعريفات هذه المصطلحات منسوب إلى المنظمة العربية للمقاييس ASMO . وسواء أكانت هذه المجموعة من المصطلحات وما صاحبها من تعريفات من إعداد المؤلف أو من تجميع المترجم فإن القارىء معها يشعر بالغربة في المجال بدلاً من توثيق ارتباطه به ؛ فقد وردت ضمن المصطلحات الخمسين مفردات لاتمت للمصطلح المتخصص بصلة ، مثل «الاستعراض» و«السحب المستقل» . فإذا كان المصطلح الأول يقابل الكلمة الإنجليزية Review فإنه يعني «العرض» بالكتب للكتاب و«المراجعة العلمية» بالنسبة للإنتاج الفكري في موضوع معين . أما «السحب المستقل» فيفهم من التعريف المصاحب أنه يقابل كلمة Reprint الإنجليزية ، ولها في أوساط المكتبيين مقابلان في العربية ، وهما «مستلة» و «فصلة» بكسر الفاء . ومن التعريفات التي لاتقدم شيئاً ما ورد بصحبة مصطلح «الخارطة الموضوعية» ، حيث ينص : «وثيقة يتم إعدادها بناء على دراسة خاصة ، وتحتاج إلى إعداد تفسيرات وتتطلب تأويلات وتحليلات ، أو مادة مكتوبة تتعلق بموضوع معين» ، فما الذي يمكن الخروج به من قراءة هذه العبارات المتراصة ؟ وأثر الترجمة واضح حتى في التعريفات المنسوبة إلى المنظمة العربية للمقاييس، بل إننا ندرك مما بين أيدينا أن المترجم لم يكن يشعر بالراحة في تعامله مع النص الأصلي .

ويرتبط الفصل الرابع «البيبليوغرافيات والكتب المرجعية» موضوعياً بالفصلين السابقين ، حيث يتناول فئة متميزة من أوعية المعلومات ، وهي الأوعية المرجعية ، مع التركيز على الوراقيات (البيبليوغرافيات) والفهارس والموسوعات والمعاجم والأدلة . وتتسم المعالجة هنا بالإيجاز المخل ، حيث اختلطت الأمور في كثير من المواضع ؛ فقد عولجت الفهارس باعتبارها فئة في حد ذاتها ، كما لم يتم التمييز بين فهرس الدوريات وسجل متابعة الدوريات ، كما اختلط الحديث عن أدلة المنتجات الصناعية بالحديث عن فهارس الناشرين والموزعين ، كما ضاعت معالم المراجعات العلمية Reviews وكذلك كتب الحقائق ، حيث وردت الإشارة إليها في معرض الحديث عن الموسوعات ، كما وردت الوراقيات التجارية في سياق الحديث عن الأدلة . والأمثلة على هذا الخلط كثيرة في هذا الفصل الذي يقدم صورة مشوهة لهذه الفئة من الأوعية التي استقر تقسيمها الوظيفي في الإنتاج الفكري المتخصص منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان .

ويلحق بهذا الفصل المكون من اثنتي عشرة صفحة خمسة مراجع ، كلها نشرت في السبعينيات ، من بينها ثلاثة بالفرنسية واثنان بالإنجليزية .

وبعد محاولة التعريف بأوعية المعلومات في الفصول الثلاثة السابقة يتناول الفصل الخامس «الانتقاء والاقتناء» طرق وإجراءات توفير هذه الأوعية في المكتبات ومرافق المعلومات . ويشغل هذا الفصل تسع صفحات ، ويبدأ بتعريف المقصود بالانتقاء ، وينقسم إلى أربعة أقسام ، يتناول الأول سياسة الاقتناء ، حيث يبين العناصر التي تضعها هذه السياسة في الاعتبار ، ويتناول القسم الثاني تتبع الوثائق ورصدها ، حيث يبين المصادر التي يمكن الاعتماد عليها ، وأسس الانتقاء ومسئوليته ومراجعة نتائجه . أما القسم الثالث فيتناول طرق الاقتناء ويقسمها إلى فئتين : الشراء والاقتناء المجاني . وفي معرض الحديث عن الشراء يشير إلى الشراء المباشر من الناشر ، والشراء عن طريق المورد ، والاشتراك في الدوريات . كما يشير أيضاً إلى الاقتناء التعاوني . وفي معرض الحديث عن الاقتناء المجاني يشير إلى التبادل والإهداء والإيداع ، ويبين في نهاية هذا القسم بعض القيود التي تتحكم في الاقتناء ، ويقسمها إلى ثلاث فئات ؛ قيود مالية ، وقيود مكانية ، وقيود معنوية تتمثل في مقتضيات السياسة والإعلام . ويتناول القسم الرابع الأخير إجراءات الاقتناء مرتبة وفقاً لتتابع تنفيذها ، بدءاً بالإجراءات التي تسبق إصدار أمر التوريد وانتهاء بإجراءات القيد أو التسجيل ، مروراً بإجراءات المتابعة والمراجعة وحفظ السجلات . ويلحق بهذا الفصل خمسة مراجع ، نشرت أربعة منها في السبعينيات وواحد في الستينيات . أما التوزيع اللغوي فالغالبية (أربعة مراجع) بالإنجليزية ، أما المرجع الخامس فهو الطبعة الفرنسية من كتاب اليونسكو حول التبادل الدولي للمطبوعات الذي صدر بعدة لغات .

وإذا كانت الفصول الأربعة السابقة تتناول أحد عناصر المدخلات وهو أوعية المعلومات من حيث نوعياتها وسبل الحصول عليها فإن إجراءات التجهيز ، ثاني مكونات المكتبة كنظام ، يبدأ بالفصل السادس «حفظ الوثائق» الذي يضم خمسة أقسام ، يتناول أولها أشكال حفظ الوثائق ونظم الحفظ الثلاثة ، وهي الحفظ الأفقي والحفظ الرأسي أو القائم والحفظ المعلق . ويتناول القسم الثاني طريقتي الترتيب ، وهما الترتيب المسلسل ، والترتيب المصنف . ويتناول القسم الثالث إجراءات الجرد ، بينما يتناول القسم الرابع عوامل التلف . أما القسم الخامس الأخير فيتناول الصيانة والترميم . والمعالجة في هذا الفصل الذي يشغل ثماني صفحات غاية في الإيجاز . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل تسعة مراجع ، صدرت سبعة منها في السبعينيات واثنان في الستينيات . أما عن التوزيع اللغوي فتحظى الإنجليزية بأربعة مراجع .

ويتناول الفصل السابع «الوصف البيليوغرافي» الفهرسة

الوصفية ، ويبدأ بتحديد مفهوم الوصف الوراقي وأهدافه ، وينقسم إلى أربعة أقسام : يبين الأول حقول البيانات أو عناصر الوصف بالنسبة لكل من الكتاب والدورية ، بينما يتناول الثاني تسلسل إجراءات الفهرسة الوصفية . ويتناول القسم الثالث القواعد والتقنينات ، ولكن تحت عنوان غامض «المقاييس والنماذج» ، ويشير في هذا السياق إلى القواعد الأنجلوأمريكية للفهرسة ، والتقنين الدولي للوصف الوراقي ، ونظام الفهرسة المقروءة بواسطة الآلات (مارك MARC) بكل صيغة ، ومستويات الفهرسة ، وقواعد المدخل وأشكاله بالنسبة للكتب والدوريات وغيرها من أوعية المعلومات . ويتناول القسم الرابع فهرسة المواد السمعبصرية . ويشغل هذا الفصل سبع عشرة صفحة ، وتضم قائمة مراجعه أحد عشر مرجعاً ، نشرت جميعها في السبعينيات ، ومنها تسعة باللغة الفرنسية ، واثنان باللغة الإنجليزية .

وبينما يعالج الفصل السابع إجراءات الوصف المادي للأوعية يتناول الفصل الثامن «وصف المحتوى» المعالجة الموضوعية للوثائق . وبالإضافة إلى التمهيد ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام ، يتناول أولها أهداف المعالجة الموضوعية وأشكالها ومستوياتها ، والعوامل المؤثرة فيها ، أما القسم الثاني فيتناول الإجراءات الأساسية للمعالجة الموضوعية ، وتسلسل هذه الإجراءات ، بينما يتناول القسم الثالث الأخير أساليب العمل في هذا القطاع ، والأشكال المحتملة للناتج . ويشغل هذا الفصل أربع عشرة صفحة ، ويعتمد على عدد من خرائط التدفق وأشكال العرض البياني في توضيح المفاهيم والإجراءات . أما فيما يتعلق بالمراجع ، فإنه يحيل القارىء إلى المراجع الملحقة بفصلي «الفهرسة والاستخلاص» وربما كان المقصود التكشيف والاستخلاص .

وإذا كان الفصل الثامن يمثل مقدمة للمعالجة الموضوعية فإن الفصل التاسع «اللغات التوثيقية» يتناول أحد عناصر هذه المعالجة ، وهو اللغات المستعملة في التعبير عن ناتج التعرف على المحتوى الموضوعي للوثائق ، أو ما يعرف بلغات التكشيف . ويشغل هذا الفصل اثنتين وعشرين صفحة ، وينقسم إلى خمسة أقسام ، فضلاً عن التمهيد الذي يحدد مفهوم لغة التكشيف . ويتناول القسم الأول اللغة الطبيعية وأشكال استخدامها في نظم استرجاع المعلومات المعتمدة على التجهيز الآلي ، وما يكتنفها من غموض ، وسبل التغلب على آثار هذا الغموض . ويتناول القسم الثاني لغات التكشيف من حيث مكوناتها ، وطرق عرضها ، وأنواعها ، ولغات الربط المسبق ، ولغات الربط اللاحق ، ونماذج وخصائص كل من الشكلين . ويعرض في هذا السياق بإيجاز لكل من تصنيف ديوي العشري ، والتصنيف العشري العالمي ، وتصنيف الشارحة (الكولون) لرانجاناثان ، مع الإشارة إلى بعض خطط التصنيف المتخصصة . ثم ينتقل بعد ذلك إلى قوائم رؤوس الموضوعات . ويتناول القسم الثالث المكانز باعتبارها شكلاً متميزاً من لغات التكشيف ، حيث يعرض لطبيعتها وخصائصها ، وطرق استخدامها . أما القسم الرابع فيتناول سبل الربط وتحقيق التناغم بين لغات التكشيف المختلفة .

ويتناول القسم الخامس الأخير طرق إعداد لغات التكشيف بإيجاز شديد . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل تسعة عشر مرجعاً معظمها (١٦) مرجعاً أي حوالي ٨٤,٢٪ في السبعينيات ، بينما بلغ نصيب الستينيات ثلاثة مراجع فقط . ويبلغ نصيب الإنجليزية أحد عشر مرجعاً ، أي حوالي ٥٧,٩٪ ، ونصيب الفرنسية ثمانية مراجع ، أي حوالي ٤٢,١٪ منها ثلاثة من لغات التكشيف ، وكتابان مترجمان عن الإنجليزية . أما المراجع الإنجليزية فتضم ثلاثة من لغات التكشيف ، وكتابين من مطبوعات اليونسكو ، وكتاباً من مطبوعات الاتحاد الدولي للتوثيق .

ويتناول كل فصل من الفصول الثلاثة التالية ، من العاشر حتى الثاني عشر ، قطاعاً من قطاعات المعالجة الموضوعية للوثائق ، حيث يتناول الفصل العاشر «التصنيف» ويبدأ ببيان علاقة التصنيف بالمعالجة الموضوعية للوثائق ، وينقسم إلى أربعة أقسام ، يناقش الأول أهداف التصنيف ، بينما يتناول الثاني خطواته الإجرائية ، ويعرض الثالث لمشكلات تحديد الموضوعات الرئيسية أو الترجيح ، أما القسم الرابع الأخير فيحلل مشكلات تحديد أرقام التصنيف وضمانات التطابق بين المحتوى الموضوعي للوثيقة والوسيمة التي اختيرت للدلالة على هذا المحتوى واحتمالات البحث عن الوثيقة في مرحلة الاسترجاع ، ويميز الكتاب هنا بين استعمال الأقسام العامة في خطة التصنيف واستعمال الموضوعات الفرعية . ومن الجدير بالذكر أن مناقشة هذه القضايا المتصلة بالشمول والتخصيص ومدى التعمق لاتقتصر فقط على التصنيف ، وإنما ترتبط بكل أشكال التعبير عن ناتج التعرف على المحتوى الموضوعي للوثائق . ويشغل هذا الفصل سبع صفحات ، وتضم قائمة مراجعه ثلاثة مراجع إنجليزية ، صدر اثنان منها في السبعينيات وصدر الثالث في نهاية الخمسينيات . ويحيل المؤلفان القارىء إلى قائمة مراجع الفصل الخاص بلغات التكشيف .

ويتناول الفصل الحادي عشر «التكشيف» ويضم أربعة أقسام بالإضافة إلى التمهيد ، ويشغل تسع صفحات . ويبين التمهيد طبيعة التكشيف وعلاقته بقطاعات المعالجة الموضوعية الأخرى وحدوده

ومستوياته والعوامل التي تتحكم في نوعيته . ويتناول القسم الأول أساليب ممارسة التكشيف والأدوات اللازمة لها ، بينما يعرض القسم الثاني لتسلسل إجراءات التكشيف ، ويتناول الثالث مشكلات تكشيف الأوراق غير المكتوبة . أما القسم الرابع الأخير فيقدم إشارة سريعة للتكشيف الآلي . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل سبعة مراجع ، نشرت خمسة منها في السبعينيات واثنان في الستينات . ومن بين هذه المراجع ستة نشرت بالإنجليزية وواحد فقط نشر بالفرنسية ، وهو صادر عن اليونسكو في سلسلة مطبوعات اليونيسست .

ويتناول الفصل الثاني عشر «الاستخلاص» في ثماني صفحات ، وينقسم إلى أربعة أقسام ، بالإضافة إلى التمهيد الذي يوضح طبيعة الاستخلاص ووظيفة المستخلصات . أما القسم الأول فيعرض لأنواع المستخلصات ، بينما يعرض القسم الثاني لمحتوى المستخلص ، ويتناول القسم الثالث إجراءات إعداد المستخلص ، والشروط التي ينبغي توافرها في المستخلص الجيد ، ويشير القسم الرابع الأخير إلى مشكلات استخلاص بعض أنواع الوثائق ، كالتقارير ومحاضر الاجتماعات والمراجعات العلمية وكتب الحقائق ... الخ . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل ثلاثة مراجع كلها بالإنجليزية ، صدر منها اثنان في السبعينيات وواحد في الستينيات .

هذا ويتناول الفصل الثالث عشر «الفهارس والملفات» في تسع صفحات ، ويتكون من تمهيد وثلاثة أقسام . ويوضح التمهيد طبيعة الفهرس باعتباره مفتاح الوصول إلى مقتنيات مرافق المعلومات ، ويشير إلى تعدد أنواع الفهارس ، ويبين وظيفة الفهرس . ويقدم القسم الأول صورة سريعة لأشكال الفهارس ، بينما يتناول القسم الثاني طرق إعداد الفهارس ، أما القسم الثالث فيتناول بتفصيل نسبي أنواع الفهارس ، حيث يشغل أكثر من نصف صفحات الفصل . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل ثلاثة عشر مرجعاً ، تسعة منها صادرة في السبعينيات ، وثلاثة في الستينيات ، وواحد في الخمسينيات . أما عن التوزيع اللغوي فإن الفرنسية تحظى بسبعة مراجع ، من بينها الطبعة الفرنسية من القواعد الأنجلوأمريكية للفهرسة ، ومرجعان من مطبوعات اليونسكو . أما الإنجليزية فتحظى بستة مراجع من بينها مرجع واحد من مطبوعات اليونسكو .

ومع الفصل الرابع عشر «المنشآت والتجهيزات» ننتقل إلى قطاع جديد في الكتاب يهتم ببعض عناصر المقومات المادية لمرافق المعلومات . ويشغل هذا الفصل تسع عشرة صفحة ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام بالإضافة إلى التمهيد ، ويتناول القسم الأول برنامج الإنشاء والتجهيز وما ينبغي مراعاته من اعتبارات مالية وتقنية ومناخية وبيئية وإدارية في هذا البرنامج ، وشروط التصميم الوظيفي للمباني ، والاعتبارات التي ينبغي مراعاتها في التجهيز ، ومعايير اختيار التجهيزات . ويتناول القسم الثاني قضايا المقر والأثاث ، بينما يتناول القسم الثالث الأخير المعدات من حيث أنواعها ومجالات استخدامها ، وأجهزة الاتصالات الداخلية والخارجية ، وأجهزة الطباعة والاستنساخ ، وأجهزة قراءة وإنتاج المصغرات الفيليمة . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل ثمانية مراجع ، نشرت جميعها في السبعينيات ، منها ستة باللغة الفرنسية واثنان باللغة الإنجليزية .

ويعتبر موضوع الفصل الخامس عشر «الحاسوب في وحدات المعلومات» استطراداً لمعالجة موضوع الفصل الرابع عشر . ويشغل هذا الفصل عشرين صفحة ، وينقسم إلى سبعة أقسام ، بالإضافة إلى تمهيد الذي يشتمل على اعتبارات عامة لاستخدام الحاسبات الألكترونية في تنظيم المعلومات واسترجاعها . ويأتي القسم الأول في هذا الفصل بمثابة مقدمة عامة تحدد العناصر الأساسية للنظم الآلية . ويتناول القسم الثاني أول هذه العناصر وهو العنصر البشري ، حيث يحدد فئات العاملين وطبيعة كل فئة ودورها في النظام . ويتناول القسم الثالث المكونات الأساسية للحاسبات الألكترونية ، وأجهزة المدخلات والمخرجات وأدواتها وأجهزة الاختزان والتجهيز ، وأجهزة الاتصال . ويتناول القسم الرابع برامج التشغيل من حيث فئاتها ووظائفها ، وتحليل النظم . ويقدم القسم الخامس إشارة سريعة للغات البرمجة . أما القسم السادس فيتناول أساليب التعامل مع النظام الالكتروني على أساس التجهيز على دفعات والاتصال على الخط المباشر . ويقدم القسم الرابع أحد نماذج النظم الألكترونية وهو نظام (ايزيس Integrated Set of Information Systems (ISIS ، الذي أعده مكتب العمل الدولي ، وتتولى اليونسكو تطويره وصيانته . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل اثني عشر مرجعاً . نشرت تسعة منها في السبعينيات ، وثلاثة في الستينيات . وتحظى الفرنسية بسبعة مراجع ، بينما تحظى الإنجليزية بستة . والفصل مزود بعدد من الرسوم التوضيحية وخرائط التدفق .

ومع الفصل السادس عشر «استرجاع المعلومات» نبدأ قطاعاً جديداً يتناول جوانب مخرجات مرافق المعلومات . ويضم هذا القطاع أربعة فصول . ويشغل هذا الفصل عشرين صفحة ، وينقسم إلى خمسة أقسام بالإضافة إلى التمهيد . ويتناول القسم الأول إجراءات البحث وصياغة استراتيجية البحث ، أما القسم الثاني فيتناول مراحل استرجاع المعلومات ، بينما يتناول القسم الثالث سمات المستفيدين كشكل من أشكال استراتيجيات البحث . أما القسم الرابع الموسوم بـ «أنواع البحث والاسترجاع» فيتناول الاسترجاع اعتماداً على النظم النصف الآلية ، وهي الأشكال المبكرة

لنظم الربط اللاحق المتمثلة في نظم المضاهاة البصرية ونظم المضاهاة الضوئية ونظم البطاقات المثلومة الحافة . ويتناول القسم الخامس الأخير الاسترجاع في النظم الألكترونية ، حيث يعرض لإجراءات البحث الراجع والبحث في الملفات التسلسلية والملفات المصنفة ، والبحث على الخط المباشر . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل خمسة مراجع صدرت جميعها في السبعينيات ، منها أربعة مراجع بالإنجليزية من بينها مرجع واحد من مطبوعات اليونسكو ، ومرجع واحد فقط باللغة الفرنسية . والفصل مزود بعدد من الرسوم التوضيحية وخرائط تدفق الإجراءات .

ويتناول الفصل السابع عشر «تقييم نظم اختزان المعلومات واسترجاعها» معايير وإجراءات تقويم نظم استرجاع المعلومات ، ويشغل ثماني صفحات ، ويضم ثلاثة أقسام بالإضافة إلى التمهيد . ويغطي القسم الأول قياس كفاءة الاسترجاع ، بناء على معدلات الاستدعاء Recall والتحقيق Precision بالإضافة إلى عدد من القياسات الأخرى المتصلة بمدى اكتمال تغطية النظام لوثائق الموضوع ، والجهد المبذول من جانب المستفيد في التعامل مع النظام ، ومدى الحداثة ، ومدى سرعة الاستجابة . ويحلل القسم الثاني أسباب القصور في أداء النظام ، بينا يتناول القسم الثالث الأخير تقويم فاعلية التكلفة . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل أربعة مراجع ، نشرت ثلاثة منها في السبعينيات وواحد في الستينيات . وتحظى الإنجليزية بثلاثة مراجع ، أما الفرنسية فنصيبها مرجع واحد فقط ، وهو من مطبوعات اليونسكو ضمن سلسلة اليونيسست .

هذا ويتناول الفصل الثامن عشر «أنواع وحدات المعلومات وشبكاتها» تنظيم مرافق المعلومات ، ويشغل إحدى عشرة صفحة ، ويضم خمسة أقسام بالإضافة إلى التمهيد الذي يبين مدى تنوع مرافق المعلومات ووظائفها الأساسية ، ومعايير التمييز فيما بينها ، الاتجاه نحو المشابكة . ويتناول القسم الأول المكتبات ودور المحفوظات تحت وسيمة «وحدات المعلومات التي ترتكز على الوثائق الأولية» وهي وسيمة غير دالة على محتوى القسم بشكل مناسب . ويعرض القسم بإيجاز للأرشيف الوطني والأنواع المختلفة من المكتبات . أما القسم الثاني فيتناول تحت وسيمة «مراكز التوثيق» المكتبات التي تهتم بالمواد غير المطبوعة . وتبدو الأمور مختلطة في هذا القسم إلى حد بعيد ؛ فبالإضافة إلى هذه الفئة من المكتبات يتعرض القسم للمرافق الوراقية Bibliographic Utilities التي تقوم بتوفير التسجيلات الوراقية على نطاق مركزي ، ووسطاء نظم الاسترجاع على الخط المباشر ، من أمثال مؤسسة لوكهيد ، ومؤسسة تطوير النظم ، هذا فضلاً عن مراكز التوثيق الوطنية . ويتناول القسم الثالث مراكز تحليل المعلومات ، أما الرابع فيتناول بنوك ومراصد «قواعد» البيانات ، ويبدو أن المقصود هنا هو نظم استرجاع الحقائق في مقابل نظم استرجاع الوثائق أو الإشارات الوراقية . وقد خلط الكتاب هنا بين هذه المرافق والخدمات الإرشادية التي تقدم لبعض الفئات وخاصة المهنية . أما القسم الرابع الأخير فيعرض لشبكات المعلومات من حيث تكوينها ومبرراتها وأشكالها . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل تسعة مراجع ، نشرت ثمانية منها في السبعينيات ، وواحد في الخمسينيات . ويبلغ نصيب الفرنسية ستة مراجع ، من بينها أربعة من مطبوعات اليونسكو ، بينا تحظى الإنجليزية بثلاثة مراجع ، صدر منها اثنان عن اليونسكو .

والفصل التاسع عشر «خدمات بث المعلومات» هو الأخير في قطاع المخرجات ، ويشغل ثمان وعشرين صفحة ، وينقسم إلى سبعة أقسام ، يتناول أولها أساليب البثّ وأشكاله ومعوّقاته بوجه عام ، ويتناول القسم الثاني سبل إتاحة الوثائق وتداولها ، سواء في شكلها الأصلي أو بإحدى طرق التصوير ، ولغة التعبير في هذا القسم غير واضحة بما فيه الكفاية ، فقد عجزت عن تقديم النظامين الأساسيين لإتاحة الوثائق في المكتبات ، وهما نظام المخازن أو الأرفف المغلقة ، ونظام الأرفف المفتوحة ببساطة . ويتناول القسم الثالث تبادل الإعارة بين المكتبات من حيث مقوماته وطرق تنفيذه ويتناول القسم الرابع إحدى القضايا الأساسية المرتبطة بإتاحة الوثائق وتداولها من جانب مرافق المعلومات والمستفيدين من خدماتها ، وهي قضية حقوق التأليف . ونفاجأ في معرض تناول هذه القضية وبدون إشارة بالحديث عن الاتصال بين المؤلفين من خلال تبادل النسخ التجريبية ، ثم البث الانتقائي والقصاصات الصحفية ومكتبات الإعارة وخدمة الترجمة (ص ٢٧١ ، ٢٧٢) ما علاقة كل هذا بحقوق التأليف التي كان ينبغي التركيز على جوانبها القانونية ؟ ويتناول القسم الخامس تحت عنوان «توزيع الوثائق الثانوية» بث المعلومات اعتماداً على النشرات الوراقية والكشافات ونشرات المستخلصات ، سواء منها ما تم إعداده في مرفق المعلومات أو ما يتم الحصول عليه من خارج المرافق ، ويمكن أن تدخل هذه الفئة تحت مظلة الإحاطة الجارية . أما القسم السادس فيتناول خدمة البث الانتقائي للمعلومات من حيث طبيعتها ومقوماتها وتنظيمها وتقويمها . أما القسم السابع الأخير فيتناول الخدمات المعتمدة على الاتصال المباشر بين مرفق المعلومات والوسط المستفيد من خدماته ، من خلال ضباط الاتصال . وقد جاءت معالجة هذا النوع من الخدمات تحت عنوان غير واضح «توزيع الوثائق من النوع الثالث» ولايدل على الموضوع . وتهدف هذه الخدمات إلى توثيق العلاقة بين

الجمهور المستفيد ومرفق المعلومات بما يحقق التفاعل المثمر لكل من الطرفين . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل سبعة مراجع ، صدرت جميعها في السبعينيات ، منها أربعة باللغة الإنجليزية ، من بينها مرجع واحد صادر عن اليونسكو ، وثلاثة مراجع باللغة الفرنسية صادرة كلها عن اليونسكو .

هذا ويتناول الفصل العشرون «التعاون الدولي في مجال المعلومات» . ويشغل هذا الفصل وملحقه أربعاً وأربعين صفحة ، ويضم خمسة أقسام ، بالإضافة إلى الملحق الذي يعرف بأربعة عشر نظاماً ، وشبكة للمعلومات تقدم خدماتها على المستوى الدولي . ويبدأ الفصل بتمهيد يتناول فكرة التعاون الدولي في المجال وأشكال هذا التعاون وأهدافه . أما القسم الأول فيتناول نشاط منظمات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة البالغ عددها حوالي ثلاثين منظمة ووكالة موزعة في جميع أنحاء العالم . ويتناول القسم الثاني نشاط المنظمات الإقليمية ، بينما يتناول القسم الثالث نشاط الهيئات الوطنية ، ويتناول القسم الرابع نشاط المنظمات الدولية غير الحكومية ، كالمجلس الدولي للاتحادات العلمية ، والاتحاد الدولي للاستنساخ ، والاتحاد الدولي لمعالجة المعلومات ، والاتحاد الدولي للجمعيات والمؤسسات المكتبية (افلا) والاتحاد الدولي للتوثيق ، والمجلس الدولي للمحفوظات . ويتناول القسم الخامس الأخير النظم الدولية للمعلومات من حيث دوافع ومبررات نشأتها ومقوماتها وإدارتها ومصادر تمويلها . ويأتي هذا القسم بمثابة تمهيد للتعريف بهذه النظم في الملحق . وتبدأ هذه النظم والمشروعات والبرامج ببرنامج اليونسكو العام للمعلومات GIP ، ونظام تبادل المعلومات حول السياسات العلمية والتقنية SPINES ، والنظام الدولي لبيانات الدوريات ISDS ، والترقيم المعياري الدولي للكتاب ISBN ، والنظام الدولي للمعلومات النووية INIS ، والنظام الدولي لاسترجاع المعلومات الزراعية AGRIS ، والنظام الدولي للمعلومات البيئية International Referral System for The Environment والنظام الدولي لمعلومات علوم التنمية DEVISIS ، ونظام تحليل واسترجاع الإنتاج الفكري الطبي MEDLARS ، وخدمات المستخلصات الكيميائية C.A.S ، والخدمة الكندية للبث الانتقائي للمعلومات CAN/SDI ، وخدمة معالجة النسيج TITUS ، وشبكة نقل المعلومات على الخط المباشر Euronet . ويقدم هذا الملحق وصفاً عاماً لكل نظام من هذه الأنظمة على حدة . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل ثمانية مراجع ، نشر سبعة منها في السبعينيات وواحد فقط في الستينيات ، وجميعها باللغة الإنجليزية .

ويعرض الفصل الحادي والعشرون «التقنيات والمقاييس» بإيجاز شديد في أقل من خمس صفحات لقضية التوحيد القياسي والمعايرة في مجال تنظيم المعلومات ، حيث يبين أنواع المواصفات القياسية والمعايير الموحدة ، والهيئات المسئولة عن وضعها وإقرارها على المستويين الوطني والعالمي ، والمراحل التي تمر بها إجراءات المراجعة والإقرار ، وأخيراً مجالات الإفادة منها . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل ثلاثة مراجع ، جميعها صادرة في السبعينيات بالفرنسية ، منها الطبعة الفرنسية لموجزين إرشاديين صادرين عن اليونسكو ، ومطبوع صادر عن المنظمة الدولية للتوحيد القياسي .

ويتناول الفصل الثاني والعشرون «المستفيدون» الجوانب المتصلة بالمستفيدين من خدمات مرافق المعلومات ، من حيث دورهم في هذه الخدمات ، وفئاتهم ، ومعوّقات الاتصال بين المستفيد والمسئول عن تقديم الخدمات ، وسبل التعرف على المستفيدين ، ثم تدريب المستفيدين . ويشغل هذا الفصل تسع صفحات ، وتضم قائمة مراجعه سبعة مراجع ، كلها صادرة في السبعينيات ، منها أربعة بالإنجليزية ، من بينها مطبوعان لليونسكو ، وثلاثة بالفرنسية من بينها مطبوع واحد صادر عن اليونسكو .

أما الفصل الثالث والعشرون «إدارة وحدة المعلومات وسياساتها» فيتناول الجوانب الإدارية والتنظيمية لمرافق المعلومات . ويشغل تسع عشرة صفحة ، ويضم ستة أقسام ، بالإضافة إلى التمهيد الذي يعرف الإدارة ويبين أهدافها . أما القسم الأول فيتناول مجالات الإدارة وأساليب ممارستها ، بينما يتناول القسم الثاني أسس وأنماط تنظيم مرافق المعلومات . ويتناول القسم الثالث تحليل المهام والوظائف ، ويحلل القسم الرابع عناصر الإنفاق وموارد التمويل . أما القسم الخامس فيتناول تسويق خدمات مرافق المعلومات . ويتناول القسم السادس والأخير تقويم أنشطة المعلومات . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل أحد عشر مرجعاً جميعها بالإنجليزية ، نشرت تسعة منها في السبعينيات ، وواحد في الستينيات ، وواحد في الخمسينيات .

ويتناول الفصل الرابع والعشرون «الإدارة وسياسات المعلومات على المستويين الوطني والدولي» القضايا الاستراتيجية في تنظيم خدمات المعلومات ، ويشغل اثنتي عشرة صفحة ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام ، يتناول أولها السياسة الوطنية للمعلومات من حيث طبيعتها وأهدافها ومهامها . ويتناول القسم الثاني النظام الوطني لمرافق المعلومات من حيث بنيته ومكوناته وأهدافه . أما القسم الثالث الأخير فيتناول المشاركة في الأنشطة الدولية من حيث مبرراتها ومقوماتها ومستوياتها . وتضم قائمة مراجع هذا الفصل اثني عشر مرجعاً ، نشرت جميعها في السبعينيات ، منها ستة مراجع

بالإنجليزية ، من بينها مرجع واحد صادر عن اليونسكو ، وستة مراجع بالفرنسية ، من بينها أربعة صادرة عن اليونسكو ، ومرجع واحد صادر عن إحدى المنظمات الإقليمية الأوربية .

وتحظى قضايا تأهيل العاملين في مرافق المعلومات بالاهتمام في الفصل الخامس والعشرين «التأهيل والتدريب» الذي يعرض لفرص التدريب وأنواعه ، وقضية التخصص في أحد المجالات الموضوعية كعنصر من عناصر التأهيل ، ويشغل هذا الفصل ثماني صفحات ، وتضم قائمة مراجعه أربعة عشر مرجعاً ، نشرت ثلاثة عشر منها في السبعينيات ، وواحد فقط في الستينيات . أما عن التوزيع اللغوي فإن الفرنسية تحظى بتسعة مراجع ، صدرت ثمانية منها عن اليونسكو ، بينما تحظى الإنجليزية بخمسة مراجع .

أما الفصل السادس والعشرون «المهنة» فيتناول بعض القضايا المهنية العامة في المكتبات وتنظيم المعلومات ، كالتخصص ومجالاته وأخلاقيات المهنة وقيمها ، ومنافذ الانتساب للمهنة ، ومجموع القواعد التي تحدد الوظائف ومؤهلاتها وشروطها ومزاياها ومسئولياتها . وأخيراً مصادر المعلومات المهنية . ويشغل هذا الفصل ثماني صفحات ، وتضم قائمة مراجعه خمسة مراجع ، صدرت أربعة منها في السبعينيات وواحد في الستينيات . أما عن التوزيع اللغوي فإننا نجد أربعة مراجع بالإنجليزية في مقابل مرجع واحد بالفرنسية .

ويأتي الفصل السابع والعشرون «البحث في علوم المعلومات وتقنياتها» في ختام مجموعة الفصول التي تناولت القضايا المهنية والعلمية للمجال ، وفي ختام فصول الكتاب بوجه عام . ويشغل هذا الفصل أربع صفحات ، ويتناول بإيجاز شديد دور البحث والتطوير في المجال ، والقطاعات والقضايا التي تحظى باهتمام الباحثين ، ومناهج البحث وطرقه .

وفضلاً عن وسائل الإيضاح المصاحبة للنص في معظم الفصول ، يرد في نهاية كل فصل عدد من أسئلة المراجعة . ويأتي هذا العنصر تأكيداً للطابع التعليميّ للكتاب.

وتضم قائمة المراجع الأساسية الواردة في نهاية الكتاب سبعة عشر مرجعاً ، منها أربعة عشر مرجعاً نشرت في السبعينيات ومرجعان في الستينيات ، بالإضافة إلى إحدى المراجعات العلمية السنوية التي بدأ صدورها عام ١٩٦٦ م ولا تزال جارية حتى الآن . أما عن التوزيع اللغوي لهذه المراجع ، فإننا نجد ثلاثة عشر مرجعاً بالإنجليزية في مقابل أربعة مراجع بالفرنسية .

ملاحظات عامة :

سعدت بهذا الكتاب سعادتي بأي عمل مخلص في المجال . إلا أنه قد وقع في بعض المزالق التي نردّها في معظمها إلى اتساع المجال ، والتي كان يمكن تجنبها بشيء من الانتقاء الواعي لما يناسب الجمهور المستهدف . ونسجل فيما يلي بعض الملاحظات العامة .

١ . جاء اتساع مجالات اهتمام هذا الكتاب وتنوع موضوعاته على حساب مستوى المعالجة ومدى السيطرة على المحتوى ، والقدرة على تجنب مزالق التكرار .

٢ . لما كان هذا الكتاب موجهاً أساساً «للمبتدئين من أبناء الدول النامية ...» وهؤلاء المبتدئين قدراتهم واهتماماتهم وحدود التزاماتهم الوظيفية ، وما ينتظر لهم تحمله من أعباء العمل في مرافق المعلومات ، فكل هذه الأمور كان ينبغي أن تكون واضحة بالنسبة لمن خططوا لهذا الكتاب ولمن قاموا بإعداده ، بحيث تأتي محتوياته ملبية لمتطلباتها ، بدلاً من الطابع الموسوعي الشامل الذي أدى إلى هبوط مستوى المعالجة إلى درجة الإيجاز المخل في معظم الأجزاء .

٣ . كان من الممكن إذا ما أحسن التخطيط لهذا العمل ، وكان الشمول أحد أهدافه ، التمييز في المعالجة بين تلك الموضوعات المتصلة اتصالاً وثيقاً باحتياجات الجمهور المستهدف اهتماماته ، التي ينبغي أن تنال حظها من التفصيل والتوضيح ، وتلك الموضوعات اللازمة لمجرد استكمال الإطار العام للمجال ، التي يكفي مجرد المرور بها مرور الكرام . وهذا مالم يتحقق ، ومن ثم فإن المبتدىء لا يجد في هذا الكتاب الأساس المناسب لممارسة أي نشاط في مرفق المعلومات .

٤ . وعلى ذكر «أبناء الدول النامية» في هذا السياق يمكن أن نتساءل : كيف يمكن لمدخل عام أو كتاب تمهيدي في أي مجال علمي أن يختلف بأي شكل من الأشكال ، أو يتخذ صورة بالنسبة لأبناء الدول النامية تختلف عن صورته بالنسبة لأبناء الدول المتقدمة ؟ هل يمكن لأي عقل أن يتصور علماً لصالح النامي يقابله علم لصالح المتقدم ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يقدّم العلم للنامي لكي يظل دائماً في مرحلة النمو بينما يقدّم للمتقدم لتحقيق المزيد من التقدم ؟ هل نسينا أن العلم محايد ولكل أن يأخذ منه حسب حاجته ، أم أن هناك أوصياء حسبوا أنفسهم قادرين على إعطاء كل قدر حاجته ؟ هل نريد لأبناء الدول النامية أن يتعلموا الصيد أم نريد أن نقدم لهم ما يقيم أودهم فقط ؟ إذا كنا نريد لهم أن يتعلموا الصيد ، فهذا الكتاب ليس بالأداة المناسبة . وعلى اليونسكو وغيرها ألا يسيء الظن بالدول النامية ، وأن يدرك أن كثيراً ممن ابتلي بهذه التسمية قد شب عن الطوق إن لم يكن قد بلغ الرشد وامتلك القدرة على التقويم والاختيار . فكم من الآثام ترتكب باسم التنمية والدول النامية . وإذا كان توجيه هذا الكتاب للمبتدئين في الدول النامية مسوغاً للمستوى الهابط الذي قدم به فينبغي أن نعلن أن المشجب لم يعد صالحاً للاستعمال .

٥ . لاندري سرّ إغفال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاسم المترجم ، فهل هذا نوع من إنكار الذات أم تنفيذ لسياسة تتبعها المنظمة . إن كانت الأولى فلا إنكار للذات في المسئولية ، والعمل العلمي مسئولية من يتصدى له . وإن كانت الثانية فإننا نشفق على حامل لواء التربية والثقافة والعلم في وطننا العربي من تحمل أوزار ما اكتنف الترجمة العربية لهذا الكتاب من قصور ، وإن كنا لانتردد في اعتبار المنظمة مشاركاً على الأقل في اختيار هذا الكتاب للترجمة ، اللهم إلا إذا كان دورها قد جاء نزولاً على رغبة اليونسكو لا أكثر . وهذا موقف لانرضاه للمنظمة العربية .

٦ . يحاسب معدّو الكتاب الأصلي على العمل في مبناه ومحتواه ، بينا يحاسب المترجم على النص العربي أولاً . وقد شاب الترجمة العربية كثير من الأخطاء اللغوية ، الأسلوبية والنحوية والإملائية . ومن أمثلة القصور في الأسلوب ما أشرنا إليه في عرض المحتوى. أما الأخطاء النحوية فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في السطر السابع ص ٢٠ ، والسطر الخامس عشر ص ٦٦ ، والسطر قبل الأخير ص ١٢٦ ، والسطر الرابع عشر ص ١٥٩ ، والسطر ١٨ ص ١٨٠ ، والسطر ١٧ ص ٢٢٠ ، والسطر الخامس ص ٣٦٠ ، والسطر ١٧ ص ٣٧١ ، والسطر الثامن ص ٣٨٠ .

٧ . أخطأ المؤلفان وجاراهما المترجم في تسجيل بعض أسماء الأعلام كما هو الحال في ص ١٧ ، بالنسبة للعالم الهندي نيلاميغان وليس نكلاميغان ، وما ورد في ص ١٣٥ بالنسبة للمحامي البلجيكي أحد مؤسسي الاتحاد الدولي للتوثيق بول أوتليت وليس بيار أوتليت .

٨ . يتبين من تحليل قوائم مراجع هذا الكتاب مدى الحرص على ملاحقة التطورات الجارية في المجال ؛ فالغالبية العظمى من مراجع الكتاب صادرة في السبعينيات ، مع عدد قليل من المراجع الصادرة في الستينيات ، وعدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من المراجع الصادرة قبل ذلك . أما عن التوزيع اللغوي للمراجع فإنه يدل على مدى سيطرة الإنتاج الفكري الصادر باللغة الإنجليزية ، حيث يحظى هذا الإنتاج بحوالي ٥٧,٨٪ من مجموع المراجع ، بينا تمثل المراجع الصادرة بالفرنسية ٤٢,٢٪. هذا مع مراعاة أن الغالبية العظمى من المراجع الصادرة بالفرنسية طبعات موازية لأعمال متاحة بالإنجليزية . وتدل هذه النتيجة على أن الحاجز اللغوي الفرنسي لم يحل بيننا وبين شيء يذكر من الإنتاج الفكري المتخصص في المكتبات وتنظيم المعلومات .

٩ . على ذكر المراجع لوحظ ترجمة المؤلفين لبعض عناصر الوصف الوراقي إلى الفرنسية ، كما هو الحال مثلاً في أماكن النشر ، ولاندري وفق أي من قواعد الوصف تم هذه الترجمة .

١٠ . على الرغم من كل ما سجلناه من ملاحظات حول هذا العمل ، فإننا نرحب به كأحد الأعمال الشاملة النادرة التي نعول عليها كثيراً في بثّ الوعي بقضايا المكتبات وتنظيم المعلومات في مجتمعنا العربي ، ونهنىء المترجم على ما بذل من جهد مضن في التعامل مع مفاهيم جديدة لم تحظ بالمعالجة الواعية الناضجة في النص الأصلي ، ونتمنى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كل التقدم والازدهار .

المصادر في التربية

RIE

صالح محمود القاسم
مكتبة جامعة اليرموك - الأردن

بالإضافة إلى الكشاف الجاري للمجلات في التربية (CIJE) الذي يصدر عن (أريك ERIC) كذلك يصدر هذا المركز ERIC أهم الأدوات الببليوجرافية الجارية على شكل دوري تحت عنوان المصادر في التربية Resourses in Education وذلك حتى يكتمل هذا النظام في خدماته في مجال التربية والتعليم وما يتعلق بهما من موضوعات أخرى . فالكشاف الجاري للمجلات في التربية (CIJE) Current Index to Journals in Education يقتصر على تغطية الأبحاث والمقالات المنشورة في الدوريات Periodicals ، في حين أن المصادر في التربية تغطي كل الوثائق المتعلقة في التربية والتعليم غير المنشورة في المجلات ، كالأبحاث وتقارير البحوث

وأوراق المؤتمرات ووصف البرامج والخطب والأدلة ... الخ .

لمحة تاريخية وطريقة صدورها :

صدر العدد الأول من هذه الدورية عام ١٩٦٦ ، وظلت تصدر شهرياً بعنوان البحث في التربية Research in Education حتى عام ١٩٧٤ . وابتداء من المجلد العاشر الذي صدر في كانون الثاني ١٩٧٥ صارت الدورية تصدر بعنوان : المصادر في التربية (RIE) وبطريقة صدور شهرية أيضاً . إضافة إلى الفهرس النصف السنوي الذي يصدره نظام أريك لهذه الدورية .

التغطية والشمول وطريقة عمل الدورية :

لاتختلف كثيراً طريقة تنظيم دورية المصادر في التربية (RIE) عن طريقة عمل الكشاف الجاري للمجلات في التربية (CIJE) ، ففي كلتا الحالتين تقوم المراكز المتخصصة التابعة لنظام أريك (ERIC) بالعمل الاعتيادي لها : الاختيار والتجميع والاستبعاد والاستخلاص والتكشيف . فبعد أن يقوم المختصون في مراكز أريك الستة عشرة بعمليات اختيار الوثائق وتجميعها ، يتلو ذلك عملية الاستخلاص والتكشيف واختيار المصطلحات الواصفة Descriptors والمصطلحات المميزة Indentifiers ، تحال إلى غرفة في النظام ERIC Facility . وتقوم هذه بدورها بتحويل المداخل المقننة على شرائط الكمبيوتر المغنطة ، بعد ذلك تحول هذه الشرائط إلى مكتب المطبوعات الحكومية الاتحادي Government Printing Office الذي يقوم بدوره بطبع الشرائط المغنطة في صورة دورية المصادر في التربية ، التي نجد بها فهرسة وصفية متكاملة للوثائق مع استخلاص لها ومحللة في كشافات تحت الموضوع والمؤلف والمركز المسؤول عن الوثيقة وغير ذلك من الكشافات التي سنتناولها بالتفصيل .

ومن الجدير بذكره أنه لا تدرج في هذه الدورية إلا الوثائق التي يمكن الحصول على النصوص الكاملة لها إما من خدمة أريك لاستنساخ الوثائق ERIC Document Reproduction (EDRS) Service أو من مصدر آخر . وإذا ذكرت وثيقة أنه لا يمكن الحصول على النصوص الكاملة لها عن طريق (EDRS) فإن الرقم العام للوثيقة يأتي متبوعاً بالعلامة (II) . ويمكن للمؤسسات أو الأفراد الحصول على النصوص الكاملة للوثائق بعدة أشكال ميكروفيلم (MF) أو أوراق (HP/HC) .

طريقة تنظيم الدورية أو كيفية استخدامها :

تتكون الدورية (RIC) من قسمين رئيسين هما :

١ ـــ قسم الوثائق ومستخلصاتها Document Section

٢ ـــ قسم الكشافات Index Section

أولاً : قسم الوثائق ومستخلصاتها Document Section :

قلنا سابقاً إن لنظام أريك ستة عشر مركزاً متخصصاً ، ترد هذه المراكز في قسم الوثائق مرتبة هجائياً حسب الرموز المعطى لها ، وتحت هذه المراكز ترد الوثائق متسلسلة بحسب أرقامها العامة في نظام أريك ERIC Document (ED) . كما أن لكل وثيقة رقماً خاصاً يأخذ رمز المركز المتخصص التابع له . من هنا يمكن الوصول للوثيقة الواحدة بواسطة رقمين ، عن طريق الرقم العام في نظام أريك ، أو عن طريق رقم الوثيقة الخاص بالمركز الذي قام باختيار وتبويب واستخلاص وتكشيف هذه الوثيقة . ولأجل هذا الغرض يوجد كشاف خاص بذلك سنتحدث عنه لاحقاً .

ولتوضيح طريقة عمل هذه الدورية نأخذ المثال التالي لوثيقة في قسم الوثائق :

١ **ED 654 321** — ١١ CE 123 456
٢ *Smith, John D.* *Johnson, Jane*
٣ **Career Planning for Women.**
٤ Central Univ., Chicago, IL.
١٢ Spons Agency—National Inst. of Education (ED), Washington, DC.
١٣ Report No. — CU-2081-S
٥ Pub Date — May 83
٦ Contract— NIE-C-83-0001
١٤ Note — 129p.; Paper presented at the National Conference on Career Education (3rd, Chicago, IL, May 15-17, 1983).
٧ Available from—Campus Bookstore, 123 College Ave., Chicago, IL 60690 ($3.25).
٨ Language—English, French
Pub Type—Speeches/Meeting Papers (150)
٩ ١٥ **EDRS Price—MF01/PC06 Plus Postage.**
١٠ Descriptors — Career Guidance, *Career Planning, Careers, *Demand Occupations, *Employed Women, *Employment Opportunities, Females, Labor Force, Labor Market, *Labor Needs, Occupational Aspiration, Occupations
١٦ Identifiers — Consortium of States, *National Occupational Competency Testing Institute

١٧ Women's opportunities for employment will be directly related to their level of skill and experience and also to the labor market demands through the remainder of the decade. The number of workers needed for all major occupational categories is expected to increase by about one-fifth between 1980 and 1990, but the growth rate will vary by occupational group. Professional and technical workers are expected to have the highest predicted rate (39 percent), followed by service workers (35 percent), clerical workers (26 percent), sales workers (24 percent), craft workers and supervisors (20 percent), managers and administrators (15 percent), and operatives (11 percent). This publication contains a brief discussion and employment information concerning occupations for professional and technical workers, managers and administrators, skilled trades, sales workers, clerical workers, and service workers. In order for women to take advantage of increased labor market demands, employer attitudes toward working

women need to change and women must: (1) receive better career planning and counseling, (2) change their career aspirations, and (3) fully utilize the sources of legal protection and assistance that are available to them. (SB) ——— ١٨

١ ــ الرقم المتسلسل العام للوثيقة في نظام أريك .
٢ ــ اسم المؤلف .
٣ ــ عنوان الوثيقة .
٤ ــ اسم الجهة التي صدرت عنها الوثيقة .
٥ ــ تاريخ النشر .
٦ ــ رقم العقد أو المنحة الذي عم بمقتضاه البحث .
٧ ــ مصدر الحصول على الوثيقة بالإضافة إلى EDRS .
٨ ــ لغة الوثيقة .
٩ ــ نوع الوثيقة.
١٠ ــ السعر (سعر الاستنساخ لدى EDRS) .
١١ ــ رقم الوثيقة الخاص بالمركز .
١٢ ــ الهيئة المشرفة على البحث وتمويله وإدارته .
١٣ ــ رقم التقرير .
١٤ ــ الوصف الببليوجرافي للوثيقة .
١٥ ــ الواصفات . وهي التي تحدد الموضوعات الجوهرية للوثيقة . ويلاحظ أن بعضها مسبوقة بنجمة ، وهذه هي فقط المستخدمة في كشاف الموضوعات الذي سنتحدث عنه لاحقاً .
١٦ ــ المميزات : الكلمات التي تحدد هوية الوثيقة .
١٧ ــ المستخلص : مستخلص محتوى الوثيقة يعرف بها .
١٨ ــ الأحرف الأولى من اسم الشخص الذي قام باستخلاص هذه الوثيقة.

ثانياً : قسم الكشافات Index Section

ويشتمل على :

١ ــ الكشاف الموضوعي	Subject Index
٢ ــ كشاف المؤلف	Author Index
٣ ــ كشاف المعاهد	Isntitution Index
٤ ــ كشاف أنواع المطبوعات	Puplication Type Index

٥ ــ كشاف أرقام نظام أريك العامة وأرقام المراكز الخاصة Clearing house Number/ED Number Cross-Reference Index.

١ ــ الكشاف الموضوعي Subject Index :

رتبت في هذا الكشاف موضوعات الوثائق هجائياً ، وتحت كل موضوع وردت عناوين الوثائق مرتبة هجائياً أيضاً ، مع ذكر الرقم المتسلسل للوثيقة كما وردت في قسم الوثائق (DS) والمثال التالي يوضح ذلك :

١ — **Microcomputers**
٢ —— Public Education and Electronic Technologies.
ED 226 725 ——— ٣

١ — **National Assessment of Educational Progress**
٢ —— Reading, Science, and Mathematics Trends. A Closer Look.
ED 227 159 ——— ٣

١ ــ الموضوع .
٢ ــ عنوان الوثيقة .
٣ ــ الرقم المتسلسل للوثيقة كما جاء في قسم الوثائق Document Section .

٢ ــ كشاف المؤلف Author Index

وفي هذا الكشاف رتبت مداخل المؤلفين هجائياً ، وتحت كل واحد منهم وردت عناوين الوثائق مرتبة هجائياً أيضاً ــ إذا كان للمؤلف أكثر من وثيقة ــ مع ذكر رقم الوثيقة العام في نظام أريك كما ورد في قسم الوثائق . والمثال التالي يوضح ذلك :

١ -**Norberg, Kenneth D.**
٢ -Iconic Signs and Symbols in Audiovisual Communication. An Analytical Survey of Selected Writing and Research Findings. Final Report.
ED 013 371 — ٣

١ ــ اسم المؤلف (المدخل)
٢ ــ عنوان الوثيقة .
٣ ــ الرقم المتسلسل العام في نظام أريك كما ورد في قسم الوثائق .

٣ ــ كشاف المعاهد Institution Index

نظراً لكثرة المعاهد والمؤسسات التي تشترك وثائقها في إعداد هذه الدورية ، فقد خصص لها كشاف خاص بها . وطبعاً رتبت أسماء هذه المؤسسات هجائياً ووردت عناوين وثائقها مرتبة هجائياً مع ذكر الرقم المتسلسل العام لها في نظام أريك كما ورد في قسم الوثائق .

مثال :

١ - **Sacramento State College, Calif.**
٢ - Iconic Signs and Symbols in Audiovisual Communication. An Analytical Survey of Selected Writings and Research Findings. Final Report.
ED 013 371— ٣

١ ــ اسم المعهد (المؤسسة) .
٢ ــ عنوان الوثيقة .
٣ ــ رقم الوثيقة العام في نظام أريك .

٤ ـ كشاف أنواع الوثائق Publication Type Index

في هذا الكشاف رتبت الوثائق حسب أنواعها بحسب الأرقام المعطى لها من قبل نظام أريك ، حيث أعطي لكل نوع رقم خاص به ، والمثال التالي يوضح ذلك :

Code ـــ ١ ـــ (052) Guides - Classroom - Teacher ـــ ٣ ـــ Publication Type

Title ـــ ٢ ـــ The First Amendment: Free Speech & a Free Press. A Curriculum Guide for High School Teachers.

ED 261 929 ـــ ٤ ـــ Accession Number

٥

PUBLICATION TYPE CATEGORIES

CODE	CATEGORY	CODE	CATEGORY
010	BOOKS	080	JOURNAL ARTICLES
	COLLECTED WORKS	090	LEGAL/LEGISLATIVE/REGULATORY MATERIALS
020	– General	100	AUDIOVISUAL/NON-PRINT MATERIALS
021	– Conference Proceedings	101	– Computer Programs
022	– Serials		
030	CREATIVE WORKS (Literature, Drama, Fine Arts)	110	STATISTICAL DATA (Numerical, Quantitative, etc.)
	DISSERTATIONS/THESES	120	VIEWPOINTS (Opinion Papers, Position Papers, Essays, etc.)
040	– Undetermined		REFERENCE MATERIALS
041	– Doctoral Dissertations	130	– General
042	– Masters Theses	131	– Bibliographies
043	– Practicum Papers	132	– Directories/Catalogs
		133	– Geographic Materials
	GUIDES	134	– Vocabularies/Classifications/Dictionaries
050	– General		
	– Classroom Use		REPORTS
051	– Instructional Materials (For Learner)	140	– General
052	– Teaching Guides (For Teacher)	141	– Descriptive
055	– Non-Classroom Use (For Administrative & Support Staff, and for Teachers, Parents, Clergy, Researchers, Counselors, etc. in Non-Classroom Situations)	142	– Evaluative/Feasibility
		143	– Research/Technical
		150	SPEECHES, CONFERENCE PAPERS
060	HISTORICAL MATERIALS	160	TESTS, EVALUATION INSTRUMENTS
070	INFORMATION ANALYSES (Literature Reviews, State-of-the-Art Papers)	170	TRANSLATIONS
		171	– Multilingual/Bilingual Materials
071	– ERIC Information Analysis Products (IAP's)	999	OTHER/MISCELLANEOUS (Not Classifiable Elsewhere)

١ ـ رقم نوع الوثيقة حسب تقسيم نظام أريك لها وكما هو موضح في الجدول أعلاه .

٢ ـ عنوان الوثيقة .

٣ ـ نوع الوثيقة .

٤ ـ الرقم العام للوثيقة حسب ما وردت في قسم الوثائق .

٥ ـ أنواع الوثائق التي تغطيها دورية المصادر في التربية .

ولاشك أن إضافة نوع الوثيقة المكشفة في دورية المصادر في التربية يفيد الباحث في معرفة نوع المعلومات وشكلها قبل الرجوع إليها وطلبها من خدمات EDRS .

٥ ـ وأخيراً هناك الكشاف الذي يشتمل على أعمدة بأرقام الوثائق الخاصة بالمراكز التابعة لها ومقابلها أرقام الوثائق العامة في نظام أريك . وهذا فيه فائدة للباحث فيما لو كان يعرف فقط رقم الوثيقة الخاص بأحد مراكز نظام أريك . حيث به يستطيع معرفة الرقم العام للوثيقة والرجوع بواسطته إلى قسم الوثائق للوقوف على معلومات أكثر عن الوثيقة موضع الطلب أو الاهتمام ، وهذا مثال على ما ذكرناه :

AA001166	ED283935
CE046859	ED283936
CE047190	ED283937
CE047192	ED283938
CE047294	ED283939
CE047295	ED283940
CE047348	ED283941
CE047350	ED283942
CE047352	ED283943
CE047381	ED283944
CE047432	ED283945
CE047484	ED283946

١ ـ الرقم الخاص للوثيقة مسبوقاً برمز المركز .

٢ ـ الرقم المتسلسل للوثيقة في نظام أريك العام .

هوامش حول ألفية الآثاري في النحو

هلال ناجي
الأعظمية - العراق

باستمتاع قرأت مقالة محمد السعيد عبد الله عامر حول ألفية الآثاري في النحو، المنشورة في العدد الثاني من المجلد العاشر من «عالم الكتب» الغراء، فرأيته يترسّل في كلامه ويترتّل، ويخوض في الموضوع غماره، ويعلو ثبجه، ويشق أوساطه، يفعل كل هذا عن معرفة راسخة مطمئنة بالموضوع الذي يعالجه، وإلمام واسع بأطراف الأمر وأبعاده.

وبعد: فلأنّي كنت أول المهتمين بتراث الآثاري، النافضين غبار القرون عنه حين نشرتُ من آثاره:

١ — «وسيلة الملهوف عند أهل المعروف» في العدد الأول من المجلد الثالث من مجلة المورد العراقية الصادر سنة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م.

وقد اعتمدت في نشرها مخطوطتين من دار الكتب الوطنية في باريس.

٢ — «بديعيات الآثاري» — بغداد، وزارة الأوقاف — سلسلة كتب التراث ٣٠، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م، اعتمدت في نشرها ثلاث مخطوطات من مكتبات عارف حكمت والآستانة وباريس.

٣ — «العناية الربانية في الطريقة الشعبانية» وهي ألفية في الخط قال القلقشندي عنها في صبح الأعشى: إنه لم يسبق إلى مثلها. وقد اعتمدت في نشرها ثلاثة أصول مخطوطة. مخطوطة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب، ومخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس، ومخطوطة جامعة برنستون الأمريكية.

نشرت هذه الألفية مزودة بنماذج قلمية رائعة في العدد الثاني من المجلد الثامن من مجلة المورد العراقية الصادر سنة ١٩٧٩ م.

٤ — «كفاية الغلام في إعراب الكلام» حققتها بالاشتراك مع زميلي زهير غازي زاهد — رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكوفة حالياً — وطبعت في بيروت سنة ١٩٨٧. وتجدون صورة غلاف الكتاب المطبوع إلى جانب مقالتي. لقد اعتمدنا في نشرتنا هذه نسخة كاملة من الألفية كتبت سنة ٨٦٥ هـ، من ميزاتها أنها كتبت في القرن الذي عاش فيه المصنف، وأنها نقلت من نسخة قرئت عليه وأصلحها بخطه. وحين يظفر المحقق بمثل هذه النسخة وتكون كاملة تامة، فإنه يصبح في غنى عن أية نسخة أخرى مجهولة تاريخ النسخ وناقصة، شأو النسخ التي ذكرها محمد السعيد في مقالته. وإنه لأمر محزن حقاً أن تصدر كتب في بيروت قبل ثلاثة أعوام وتنتشر في الآفاق، ولا يسمع بها المثقفون المختصون في الجامعات السعودية، بالرغم من أن خبر صدور هذه الألفية قد نشر في مجلتين تراثيتين هما مجلة أخبار التراث الإسلامي، ومجلة أخبار التراث العربي.

وما كنت أكتب هذا لولا أن محمد السعيد وعد بأن ينشر هذه الألفية «كاملة محققة قريباً إن شاء الله». فأردت من كلمتي هذه شدّ نظره إلى سبق نشرها وتجنيبه العناء منعاً للازدواجية، وصرف قدراته وطاقاته الخيرة إلى ما لم ينشر من مصنفات الآثاري، مما هو أجدر بالنشر والتحقيق.

وتسوقني مقالة الباحث الفاضل إلى محاولة استكمال القائمة النفيسة عن مؤلفات الآثاري، التي ساقها بين يدي بحثه. فمما يضاف إليها مما فاته:

١ — نيل المراد في تخميس بانت سعاد. وعندي منها نسخة مخطوطة.

٢ — منظومة في النحو لاميّة عدتها خمسمائة بيت، وأولها:

باسم إله العرش أبدأ أوّلا فقيراً على فتح الغنيِّ مُعَوّلا

وعندي منها مصورة.

٣ — «الفرج القريب في معجزات الحبيب»: وهي قصيدة عارض بها قصيدة البردة تقع في مائة وعشرين بيتاً على بحر البسيط على روي الميم المكسورة وأولها:

سل ما عراني عن سلمى بذي سَلَمِ يوم الرحيل من الأحزان والألمِ

٤ — «مسك الختام في أشعار الصلاة والسلام»: وهي أبيات على البحور الستة عشر تتضمن الصلاة والسلام على خير البشر، وأولها:

إذا شئت أن تحيا حياة طويلةً وتغنم في الدنيا أماناً وفي الأخرى
فَصَلِّ على خير الأنام محمدٍ يُصَلِّي عليك الله عن مرةٍ عشرا

٥ — «شفاء السقام في نوادر الصلاة والسلام»: وهي أربعون نادرة، منها خمسة وثلاثون في الصلاة، وخمسة في السلام.

٦ — «الخير الكثير في الصلاة والسلام على البشير النذير»: وهي أربعون حديثاً في الصلاة والتسليم على النبي الكريم.

وتسوقني مقالة الباحث الفاضل أيضاً إلى الحديث عن شيوخ الآثاري، فقد ذكر في مقالته ثلاثة منهم هم: الزفتاوي والغماري،

وابن ظهيرة ، وأشار في الهامش إلى آخرين .

ونودّ هنا أن نوقف الباحث الكريم على خبر أوراق من مخطوطة نادرة-ذكر فيها الآثاري أسماء مشايخه الذين أخذ عنهم العلم وأين درس عليهم ، فمنهم :

١ — شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، وقد قرأ عليه في مدرسته بحارة بهاء الدين بالقاهرة .

٢ — شيخ الإسلام سراج الدين بن الملقن . وقد قرأ عليه في المدرسة السابقية بالقاهرة .

٣ — شيخ الإسلام شمس الدين الغماري ، المار الذكر ، وقد قرأ عليه في المدرسة الجاولية بين القاهرة ومصر المحروستين .

٤ — الشيخ شمس الدين بن القطان الشافعي المصري ، قراءة عليه في الجامع العمروي وفي جامع القراء وفي المدرسة الخروتية بمصر .

٥ — الشيخ صدر الدين الابشيطي ، وقد قرأ عليه في المدرسة الشريفية بالقاهرة .

٦ — الشيخ برهان الدين الابناسي . وقد قرأ عليه في المدرسة المقسّية بالقاهرة .

٧ — الشيخ عز الدين بن جماعة ، وقد قرأ عليه بجامع الأقمر بالقاهرة ، وبالجامع الجديد بمصر .

٨ — الشيخ بدر الدين الطنبدي ، وقد قرأ عليه في المدرسة الحسامية بالقاهرة ، وبالمدرسة المسلميَّة بمصر .

٩ — الشيخ برهان الدين الدجوي ، وقد قرأ عليه في حانوت الشهود بسويقة الريش بالقاهرة .

١٠ — ومنهم الشيخ مجد الدين إسماعيل الحنفي قاضي القضاة الحنفية ، وقد قرأ عليه بالمدرسة السيوفية بالقاهرة .

حتى قال : « ... وغيرهم لكن يطول ذكرهم على ما نحن بصدده ، وإنما ذكرت له أعيانهم ليعلم أن العلم بالتعلم ، ولولا المربّي لما عرفت ربّي :

ومن لا له شيخٌ وعاش بعقله فذاك هباء عقلُهُ وجنونُ»

وفي المخطوط ذاته تحدث الآثاري عن سنده في علم النحو فقال :

«وأما سندي في هذا العلم فأخذته عن شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن محمد بن علي الغماري المالكي النحوي ، وأخذه هو عن الشيخ أثير الدين محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، وأخذ هو عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي بغرناطة ، وأخذ هو عن علي بن محمد بن علي الكتامي الشهير بابن الصائغ ، وأخذ هو عن الأستاذ الكبير أبي علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشهير بالشلوبين ، وهو الذي انتهت إليه رئاسة هذا الفن النحوي ، اقرأه نحواً من ستين عاماً . وأخذ هو عن الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن ملكون ، وأخذ هو عن الحافظ المستنجز أبي بكر محمد بن عبد الله الفهري ، وأخذ هو عن أبي الحسن علي بن مهدي التنوخي الشهير بابن الأخضر . وأخذ هو عن أبي الحجاج الأعلم الشنتمري ، وأخذ هو عن أبي بكر مسلم بن أحمد الأديب ، وأخذ هو عن أبي عمرو ابن أبي الحباب ، وأخذ هو عن أبي علي القالي ، وأخذ هو عن المبرد ، وأخذ هو عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وأخذا عن أبي الحسن الأخفش وأخذ هو عن سيبويه ، وأخذ هو عن الخليل بن أحمد ، وأخذ هو عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ هو عن نصر بن عاص الليثي ، وأخذ هو عن أبي الأسود الدؤلي ، وأخذ هو عن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه ورضي عنه —» .

وقد نظم الآثاري هذا السند ليسهل حفظه على من يحتاج إليه فقال في إجازة لتلميذ من تلامذته-هو يحيى أبو السعود محيي الدين :

الحمد لله على ما علّما — أحمده مصلّياً مُسَلِّما
وهذه إجازة لسيدي — وساعدي وعضدي وسندي
الفاضل الشيخ الإمام العالم — الكامل الخير الهمام الحاكم
يحيى أبو السعود محيي الدين — ونجل خير ناصر للدينِ
قاضي لقضاة الشافعي بن صالح — مفتي الأنام والإمام الصالح
دامت على أفق العلى محامده — ودام في أوج المعالي والده
فليروِ علم النحو عن شعبانِ — عن الغماري عن أبي حيّانِ
عن ثقفيّهم عن الكتامي — عن الشلوبين الرضى الإمامِ
عن ابن ملكون عن ابن الفهر — محمد ثم عن ابن الأخضر
عليّهم عن الإمام الأعلم — عن ابن أحمد الرضي مُسْلِمِ
عن الإمام بن أبي الحباب عنْ — أبي علي القالي الإمام المؤتمنْ
عن المبرد عن الجرمي عن — سعيدهم اخفشهم أبي الحسن
عن سيبويه المرتضى شيخ الملا — عن الخليل ثم عن نجل العلا
عن نصرٍ بن عاصمٍ والدؤلي — من قبله يروي الأصول عن علي
لأنه هو الذي قد أصّلا — وبعده جاء الخليلُ فَصّلا
وبعد هذا عمّت الإفادة — إذ كل نحوي له زياده
فهذه عشرون شخصاً منّي — إلى الإمام إن أخذت عنّي
وذاك أعلى سند الرواة — فيه تقدمتُ على النحاةِ
فاسأل اللهَ وسيع رحمته — لي ولهم وسابغات نعمته
والمسلمين كلّهم مُحَمْدِلا — مُصَلّيا مسلّما مُحَسْبِلا

وتحدث الآثاري في المخطوطة ذاتها عن كتب ابن مالك النحوي الشهير ، فقال إنه يرويها من طرق عديدة بسند متصل بابن مالك ، فمنها عن الغماري عن أبي حيان عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس عن ابن مالك . ومنها عن ابن القطان عن صهره الشيخ بهاء الدين بن عقيل عن الشهاب محمود عن ابن مالك ومنها عن ابن الملقن عن

المسند أحمد بن كشتغدي عن ابن مالك ، وهذا أعلاها .

وبعد ، فإني أرجو أن ينتفع الباحث الكريم بما عقبت عليه ، فإن هدفي الأساس هو التجرد لخدمة تراثنا العربي الإسلامي . والحمد لله أولاً وآخراً .

ألفية الآثاري

كفاية الغلام في إعراب الكلام

صنعة

زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري

٧٦٥ - ٨٢٨ هـ

حققه وقدم له

الدكتور زهير زاهد و الأستاذ هلال ناجي

مكتبة النهضة العربية عالم الكتب